



مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق

السنة الثالثة

آب - كانون الاول ١٩٨٠ م.

العدد المزدوج ٩ - ١٠

رمضان ١٤٠٠ هـ - صفر ١٤٠١ هـ

مِشْتَمَل

الصفحة

- ١ - التنافس وأثره على النحو والنحاه
للدكتور محمود حسني محمود
٥
 - ٢ - عقيدة الخيام
للاستاذ عبد الحق فاضل
٢٨
 - ٣ - المستعمرات الالمانية في فلسطين ما بين عامي ١٨٦٨ و١٩١٨
للدكتور علي المحافظه
٤٦
 - ٤ - كتاب « نهاية السؤل والامنية » في تعاليم أعمال الفروسية
للدكتور أحمد سعيدان
١٠٠
 - ٥ - ازدواجية اللغة : نظرة في حاضر اللغة العربية وتطلع
نحو مستقبلها ، في ضوء الدراسات اللغوية
للدكتور محمد راجي الزغول
٢١٩
 - ٦ - وقائع مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة في دورته السادسة
والاربعين
للدكتور عدنان الخطيب
١٥٤
 - ٧ - مع كتاب « الفرج بعد الشدة » للتنوخي
للدكتور ابراهيم السامرائي
١٩٤
- تعليقات ومناقشات
- ١ - مناقشة رأي في علامة التأنيث
للاستاذ محمد شيت الحياوي
٢٢٢
 - ٢ - حول كتاب مباديء التحليل الرياضي
للدكتور احمد سعيدان
٢٢٩

أخبار جمعية

- ٢٣٦ ١ - الدورة الخامسة للجنة الاستشارية لمكتب تنسيق التعريب
- ٢٣٩ ٢ - استقبال زملاء
- ٢٤٠ ٣ - إعادة انتخاب الدكتور حسني سبح
رئيساً لمجمع اللغة العربية
- ٢٤٠ ٤ - الاستاذ عبد الكريم زهور
- ٢٤١ ٥ - تأبين البطريرك يعقوب الثالث ، وتنصيب البطريرك
الجديد اغناطيوس زكا الاول
- ٢٤١ ٦ - كتب العلوم للسنة الجامعية الاولى

المنافسُ واثره على النحو والنحاة

للدكتور محمود حسني محمود

(الجامعة الاردنية)

أني علم من العلوم يكون في حاجة الى التنافس بين علمائه لكي يتطور وينمو نحو النضج والكمال . ولا اظن ان علما ما يمكن ان يسير سيرا حثيئا ، وينمو نموًا متزايدا ، اذا لم تكن روح المنافسة بين علمائه متقدمة متوهجة ، كلُّ يزاحم الآخر على احتلال مكان بارز ، وكلُّ ينافس الآخر ليثبت أنه اتي بما لم يستطع احد ان يأتي به ؛ ولكن الفرق يكون كبيرا وشاسعا بين منافسة ومنافسة : فالمنافسة الشريفة النابعة من الحرص والصدق لن تأتي الا بثمار يانعة طيبة الرائحة ، أما اذا تغلبت الاهواء وتصادمت المصالح فلن تأتي المنافسة الا بسلبيات كثيرة يكون لها ابعاد الاثر واخطره .

وعلم النحو كان واحدا من تلك العلوم التي تطورت ونضجت سريعا ، وكانت ساحته مجال سباق ومنافسة ؛ بدأت هادئة هدوءا فيه الخير كله لعلم النحو ، ولكنها اضطربت فجأة فتصادمت العلماء تصادما خلف نتائج عكسية، وتركت ثغرات عديدة .

لم يكن علماء النحو في البداية — حين كانت مدرسة البصرة النحوية وحدها في الميدان — منشغلين بشيء ، غير تطوير النحو وتثبيت دعائمه ،

وفرض سيطرته على مجالات انشطته ، وبخاصة مجال الشعر حيث حدث تصادم بين النحاة والشعراء ، كذلك الذي كان بين ابي اسحاق — اكثر النحاة تشدداً — وبين الفرزدق — اكثر الشعراء عنفاً — حينما تَبَّع الاول الثاني في شعره وخطاه (١) في أكثر من موضع ، الامر الذي استفز الفرزدق وأضجره ، وجعله يقول لاحد النحاة بعد أن سأله عن غامض في شعره من ناحية الاعراب : (٢) « علي أن أقول وعليكم أن تحتجوا » .

و غاية تطوير النحو عند اوائل النحاة جعلتهم يتنافسون في هدوء وابهانة واتزان ؛ فاذا ما احرز السبق احدهم ، اكبره الآخرون وقدروه حق قدره : أتى عيسى بن عمر (ت ١٤٩ هـ) الى ابي عمرو بن العلاء (ت ١٥٤ هـ) وقال له (٣) : يا ابا عمرو ! ما شيء بلغني أنك تجيزه ؟ قال : ما هو ؟ قال : بلغني أنك تجيز : « ليس الطيب الا المسك » بالرفع . فقال له ابو عمرو : نَمَتَ يا ابا عمر (كنية عيسى بن عمر) وأدلج الناس ؛ ليس في الارض حجازي الا وهو ينصب ، ولا في الارض تميمي الا وهو يرفع . ثم ارسل ابو عمرو تلميذين يسألان اعرابا حجازيين واعرابا تميميين ، فنطق الاعراب بما قال ابو عمرو ، فلما سمع عيسى ما وصل اليه التلميذان من اقوال الاعراب، أخرج خاتمه من يده ، ثم قال لابي عمرو (٤) : « لك الخاتم ؛ بهذا والله فقت الناس » . فلم تكن نتيجة هذه المناظرة الا اكبارا من عيسى لابي عمرو ، واجلالا .

(١) انظر : الشعر والشعراء ، ص ٢٣ (المقدمة) . وانظر : الموشح : ص ١٢٤، ١٢٥ .

وخزانة الادب : ج ١ / ٢٢٧ .

(٢) الشعر والشعراء : ص ٢٣ (المقدمة) .

(٣) ١٢٠ . لس العلماء : مجلس ١ . طبقات النحويين واللغويين : ص ٢٨-٢٩ .

(٤) مجالس العلماء : مجلس ١ . طبقات النحويين واللغويين : ص ٢٨-٢٩ .

ولم يكن النحاة آنذاك يفرقون في المعاملة بين نحوي أتى اليهم من البصرة أو نحوي أتى اليهم من الكوفة ليستفيد من علمهم ويستنير به . فلم يجد الكسائي القادم الى البصرة من بغداد ، لدراسة النحو فيها ، أي عنق أو مجافاة ؛ درس النحو على الخليل (٥) بن أحمد ، ثم درس على يونس ابن حبيب الذي شجعه وأثنى (٦) عليه، ثم (٧) « صدره في موضعه »، وقد قال له مرة بعد اجابة من اجاباته (٨) : « اشهد ان الذين راسوك راسوك باستحقاق » . ولم يك عند يونس أو الخليل تلك الروح التنافسية التي توغلت في نفوس النحاة فيما بعد ؛ اذ لم يك في نفسيهما غير ارادة الافادة، وغير رغبة التطوير في علم النحو ونشره ؛ وهذا ما جعل الكسائي لا يحمل لهما في نفسه شيئاً غير التقدير والاحترام ، فأثنى على الخليل ثناء عطرا امام الفراء حين سأله عنه ، قال (٩) : « مات والله الفهم يوم مات الخليل، لو رأيت لم يعظم في عينك بشر بعده »، ثم قال : « والله ما تمثلت في صدري جلاله أدب من وجهه ولا علم الا وجدت ذلك فرعا من أصل اغترسه، أو سببا من باب افنتحه ، وما رأيت احدا اعترضه باب من علم فأخال به ثقة يعتمد عليه ، أو مثال حسن يستمد منه ، الا والخليل صاحب قصته » .

وليت هذه الروح — روح التنافس النظيف ، والتقدير المتبادل — بقيت منغرسه في نفوس النحاة وواصلت سيرها ؛ فالمتبوع للأمر ، المستقصى شعابه المتعددة ، يجد أن هذه الروح داخلها شيء من الغثائفة

(٥) نزعة الالباء : ص ٥٩ . انباء الرواة : ج ٢ / ٢٥٨ .

(٦) انظر : مجالس العلماء : مجلس ١٠ ، مجلس ١١٤ ، وانظر : انباء الرواة ج ٢ / ٢٦٥ .

(٧) نزعة الالباء : ص ٥٩ .

(٨) انباء الرواة : ج ٢ / ٢٦٥ .

(٩) مجالس العلماء : مجلس ٢٢ ، ص ٢٥٨ .

وشيء من مخلفات التعلق بمغريات الحياة على حساب النحو وحقائقه ،
فانعطف مسار النحو في بعض محطاته ، وانحنى انحناءات هنا وهناك ،
جعلته يسير في اتجاه غير سليم تماما ، وسجلت على دربه نتوءات بارزة ،
وسلبات كثيرة .

عاد الكسائي الى بغداد — مثقلا بما حمله في جعبته من علم نحاة
البصرة ، ومما جمعه من لغة البادية — وبدا يعلو ذكره ، وبدأت شهرته
تتزايد ، فقد واثاه الحظ حينما دعاه (١٠) المهدي ليسأله عن فعل الامر من
« السواك » ، فأعجب المهدي باجابته والحقه ليؤدب ابنه الرشيد . ثم
صار (١١) مؤدبا فيما بعد للأمين بن الرشيد . وكان نجاح الكسائي في هذا
المجال نجاحا له وللكوفيين جميعا ؛ فقد خلفه (١٢) الاحمر الكوفي على
تأديب الأمين . وصار ابن (١٣) قادم الكوفي مؤدبا للمعتز قبل ان يصير
خليفة . وصار (١٤) ثعلب مؤدبا لطاهر بن محمد ، ولعبد (١٥) الله بن
المعتز . وهذا دليل على أن الكوفيين كانوا مقربين عند الخلفاء والأمراء
والوزراء والقادة في بغداد ، يؤدبون اولادهم ويعلمونهم النحو على طريقة
المذهب الكوفي . فحققوا من وراء ذلك مركزا اجتماعيا بارزا ، وثناء
طائلا . فكان الكسائي عند الرشيد في مكانة لا تقل عن مكانة ابي يوسف
القاضي . وقد استشارت هذه المكانة ابا يوسف الذي كان يقول عمن

(١٠) نزعة الالباء : ص ٦١ .

(١١) المصدر نفسه : ص ٦١ .

(١٢) المصدر نفسه : ص ٩٠ .

(١٣) انباء الرواة : ج ٢ / ١٥٨ .

(١٤) المصدر نفسه ج ١ / ١٤٧ .

(١٥) فحى الاسلام ج ٢ / ٢٩٨ .

الكسائي (١٦) : « اي شيء يحسن ؟ انما يحسن شيئا من كلام العرب » .
وكان قال للرشيد عنه (١٧) : « هذا الكوفي قد استفرغك ، وغلب عليك »
فقال له : « يا ابا يوسف ، انه ليأتيني بأشياء يشتمل عليها قلبي » . وكان
الأحمر ثريا لكثرة المكافآت التي كانت تنهال عليه ؛ فقد روي عنه انه قال :
« قعدت مع الأمين ساعة من نهار فوصل الي فيها ثلاثمائة الف درهم ،
فانصرفت وقد استغنيت » . ولم يكن ثعلب بأقل من الأحمر في الثراء ، فقد
خلف بعد موته : (١٨) « أحدا وعشرين ألف درهم ، وألفي دينار ، ودكاكين
بباب الشام قيمتها يومئذ ثلاثة آلاف دينار » . وكان محمد بن عبد الله بن
طاهر قد أجرى (١٩) عليه في كل شهر ألف درهم ، وعلى خليفته خمسمائة
درهم ، وعلى ختنه ثلاثمائة درهم .

هذا الجاه العريض ، وهذا الثراء الواسع الذي حققه الكوفيون ،
دفع البصريين الى أن ترنو ابصارهم نحو بغداد ، فبدأوا يتعاقبون تباعا .
فأحس الكوفيون بأن ما حققوه معرض للاندثار ، وسيندرثر فعلا اذا لم يكونوا
اكفيا في الحفاظ عليه . وراوا أن الأمر يتعلق بحياة ومستقبل ، وأن فشل
أحد الكوفيين سيكون فشلا للمدرسة الكوفية نفسها ، وأن انتصار أحد
البصريين سيكون انتصارا للمدرسة البصرية نفسها ؛ فلا بد أن يتأهبوا ،
ويكونوا صلابا اقوياء في المجابهة ، ولا بد أن يتخذوا كل وسيلة ويلجأوا الى
كل حيلة لردّ البصريين واعادتهم من حيث اتوا . ومن هذا المنطلق ، ومن
هذا المناخ النفسي بدأ التنافس عنيفا ؛ ولكنه بدأ أعنف وأشد حين كان

(١٦) نزهة الالباء : ص ٦٢ .

(١٧) طبقات النحويين واللغويين : ص ١٢٨ .

(١٨) انباء الرواة : ج ١ / ١٤٨ .

(١٩) المصدر نفسه ج ١ / ١٤٩ .

يتجلى في قصر خليفة، أو بين يدي أمير أو وزير ؛ فقد أشعل هؤلاء ن نار
التنافس بين النحاة ، وزادوها اضطراما ؛ فكانوا يعقدون المناظرات
بينهم ، ولا يترددون في دعوة نحوي بصري الى بغداد من أجل مناظرة نحوي
كوفي ، أو من أجل البتّ في مسألة نحوية دار الخلاف عليها .

ولعل ابرز هذه المناظرات تلك التي دارت بين سيبويه والكوفيين،
وعلى رأسهم الكسائي ، والتي استوقفت نحاة قداماء (٢٠) ومحدثين (٢١)
ادلوا بأرائهم فيها ، وقد حقق البصريون في هذه المناظرات تفوقا واضحا ،
وصاروا يؤدّبون في القصور كما كان الكوفيون يؤدّبون ، وصاروا يُستدعون
من البصرة للبتّ في مسألة استعصت على الحل ؛ فهذا اليزيدي (٢٢) يؤدّب
المأمون بن الرشيد كما كان الكسائي يؤدّب أخاه الأمين ، وهذا قطرب (٢٣)،
تلميذ سيبويه، يعلم ولد أبي دلف القاسم بن عيسى العجلي صاحب الكرخ،
ثم يؤدّبهم ابنه الحسن بن قطرب فيما بعد ؛ ثم هذا المازني يدعوه
الواثق (٢٤) لبيان اعراب بيت من الشعر من البصرة الى بغداد ، ثم يجالس

(٢٠) انظر : أمالي ابن الشجري : ج ١ / ٢٢٩ - ٢٣٠ . ومغني اللبيب : ص ١٢٠-١٢٦ .

(٢١) انظر : سيبويه امام النحاة : ص ١٠٣ - ١١٣ . نشأة النحو : ص ٣٧-٤٠ .

القواعد النحوية : ص ٩٥ - ٩٧ . في اصول النحو : ص ١٨٠-١٨٢ . من تاريخ النحو :

ص ٤٩-٥٠ ، المدرسة البغدادية في تاريخ النحو : ص ٦١-٦٥ .

(٢٢) كان اليزيدي والكسائي يتقارضان لتأديبهما ابني الرشيد (انظر : اخبار النحويين

البصريين ص ٤٠) اذ كان اليزيدي يؤدّب المأمون ، والكسائي الامين ، وكان الاثنان

يجلسان في أيام الرشيد ببغداد مما في مسجد واحد بقرنان القرآن (انظر : تاريخ بغداد

ج ١٤ / ١٤٧) .

(٢٣) انباء الرواة : ج ٢ / ٢٢٠ .

(٢٤) انباء الرواة : ج ١ / ٢٤٩ .

المتوكل (٢٥) فيما بعد .

وقد اساء التنافسُ في المناظرات الى العلاقات بين نحاة المدرستين،
ودفع نحاة المدرسة الواحدة الى الطعن على نحاة المدرسة الاخرى ،
ومحاولة الانتقاص من علمهم ومكانتهم في قسوة وتَجَنُّ شديدين ، وادى بهم
الى تبادل التهم • وكان البصريون في هذا المجال اقسى واشد ؛ فمن جانبهم
كان ابو حاتم يقول : (٢٦) « لم يكن لجميع الكوفيين عالم بالقرآن ولا كلام
العرب ؛ ولولا ان الكسائي دنا من الخلفاء فرمعوها من ذكره لم يكن شيئا ،
وعلمه مختلط بلا حجج ولا علل الا حكايات عن الأعراب مطروحة » . وكان
ابو زيد يقول : (٢٧) « قدم الكسائي البصرة ، فأخذ عن ابي عمرو ويونس
وعيسى بن عمر علما كثيرا صحيحا ، ثم خرج الى بغداد ، فقدم اعراب
الخطمة ، فأخذ عنهم شيئا فاسدا ، فخلط هذا بسذاك فافسده » . وكان
البرد يقول (٢٨) : « ما عرف الرؤاسي بالبصرة ؛ وقد زعم بعض الناس
انه صَنَّف كتابا في النحو ، فدخل البصرة ليعرضه على اصحابنا ، فما التفت
اليه ، ولم يجسر على سماعهم لما سمع كلامهم » . اما من جانب الكوفيين
فكان ابو موسى الحامض يقول للزجاج (٢٩) : « صاحبكم الاكبر — يعني
سيبويه — كان اغلف اللسان عيبا عن البيان » . وكان ثعلب يؤازره في
قوله ، فيقول الزجاج ردا عليهما : « اما نحن فلا نذكر « حدود » الفراء ،

(٢٥) انباء الرواة ج ١ / ٢٥٠ .

(٢٦) مراتب النحويين : ص ٧٤ .

(٢٧) اخبار النحويين البصريين : ص ٥٦ .

(٢٨) انباء الرواة : ج ٤ / ١٠٢ .

(٢٩) المصدر نفسه : ج ٢ / ١٤١ .

لان خطاه فيها أكثر من أن يُعدّ . وقد عمل الزجاج على رد (٣٠) الكثير من الفاظ « النصيح » لثعلب ، ولهجت بها الالسن السى أن سئم ثعلب « النصيح » وانكر أن يكون له .

ولم تكن التهم متبادلة بين نحاة المدرستين فحسب ، وانما تفشست العدوى لاتساع نطاق التنافس، فُكِّرَت بين نحاة المدرسة الواحدة ؛ فكان الأحمر يزعم (٣١) أن الكسائي لم يكن يبصر التصريف، ويزعم انه علمه . مع أن الأحمر هذا لم يقبل (٣٢) عرض الكسائي عليه تأديب الامين بسن الرشيد الا بعد أن وعده بأنه يلقنه كل يوم مسألتين في النحو، وثنتين في معاني الشعر قبل أن يأتيه . وكان الفراء يقول (٣٣) : « مات الكسائي وهو لا يحسن حد « نَعْم » و « بئس » و « ان » المفتوحة ، ولم يكن الخليل يحسن « النداء » ولا سيبويه يدري حد « التعجب » . مع أن الفراء هذا كان يفتني على الكسائي ويقول (٣٤) : « مدحني رجل من النحويين فقال لي : ما اختلافك الى الكسائي وانت مثله في النحو ؟ فأعجبني نفسي ، فأتيته ، فناظرته مناظرة الأكفاء ، فكانني كنت طائرا يغرف من البحر بمنقاره » . ولعل مرّد طعن الفراء يعود الى أن الكسائي كان يرى فيه منافسا (٣٥) على زعامة المدرسة الكوفية، ولذلك فان الكسائي خَلَف بعده الأحمر الكوفي على تأديب ابن الرشيد، ولم يخلّف الفراء، مما أدى الى فارق كبير في نمط

(٣٠) انباه الرواة ج ٣ / ١٤٢ .

(٣١) مجالس العلماء : مجلس ١٧١/٧٦ .

(٣٢) معجم الادباء : ج ٦/١٣ .

(٣٣) بنية الوعاة : ج ١٦٢/٢ .

(٣٤) معجم الادباء : ج ١٩٢/١٣ .

(٣٥) المصدر نفسه : ج ٦/١٣ .

الحياة بين الاثنين، فبينما كان التلاميذ يأتون الأحمر ليلقاهم بوجه منطلق
وبشر حسن، كانوا يأتون الفراء ليخرج (٣٦) اليهم معبسا قد اشتغل
بكسائه ، وليجلس لهم على باب بيته، ويجلسون هم في التراب بين يديه .

وعلى غرار ما كان بين الفراء والكسائي ، وبين الكسائي والأحمر،
كان الأمر بين البصريين ؛ فكان أبو حاتم يقول في أستاذه الأخفش الأوسط
سعيد بن مسعدة (٣٧) : « لم يكن بالحاذق في النحو » ، مع أن الأخفش
عرف أنه الطريق الى كتاب سيوييه ، وكان الجاحظ يعترف بفضلته وعلمه
ويقول له (٣٨) : « أنت أعلم الناس في النحو » . وكان ابن جنى يدافع
عنه ويرى أن الذين يطعنون عليه إنما هم (٣٩) : « أقوام نزلت من معرفة
حقائق هذا العلم حظوظهم، وتأخرت عن ادراكه أقدامهم » . حتى الفراء
الذي عرف بالغرور ، والاعتداد بالنفس ، كان يعترف بفضل الأخفش ؛
فقد روى أنه دخل على سعيد بن سلمة فقال سعيد (٤٠) : « قد جاءكم سيد
أهل اللغة وسيد أهل العربية » فقال الفراء : « أما ما دام الأخفش يعيش
فلا » . وكان أبو هلال العسكري يقول في الأخفش (٤١) : « وله نحو
كثير، ليس كثير من النحويين من ينظر في النحو ، يدرس كثرة علمه » .

وقد أدى التنافس أيضا الى انطواء كل مدرسة نحوية على نفسها،
وانزوائها عن الأخرى ، وبالتالي عدم اطلاع نحاة المدرسة الواحدة على

(٣٦) معجم الأدباء : ج ١٣ / ٩ .

(٣٧) نزعة الأدباء : ص ١٤٦ .

(٣٨) الحيوان : ج ١ / ٩١ .

(٣٩) الخصائص : ج ٢ / ١ .

(٤٠) وليات الأعيان : ج ٢ / ١٢٢ . مرآة الجنان ج ٢ / ٦١ .

(٤١) المصون : ص ١١٩ .

آراء نحاة المدرسة الأخرى الآخفية أو لما رب في النفس . غير أن المدرسة البصرية كانت في هذا المجال — أيضا — أكثر تحفظا ، وأكثر تشددا فسي نظرتها الى مدرسة الكوفة ؛ فلم يأخذ احد من علمائها عن احد من علماء الكوفة الا (٤٢) أبا زيد فانه روى عن المفضل الضبي * وقد بلغ التشدد بالبصريين الى درجة انهم نفوا (٤٣) أن يكون الفراء قد استكثر في دراسته على يونس بن حبيب البصري . أما من ناحية مدرسة الكوفة، فمع ان الكسائي درس على الخليل ويونس بن حبيب — وهذان يخرجان من دائرة التنافس، لأنهما سبقا مرحلة الصدام بين المدرستين — الا انه حين أراد أن يدرس كتاب سيويه — وسيويه يأتي في لبّ الصدام — قراه (٤٤) على الأختى الأوسط سرا ، ووهبه (٤٥) سبعين ديناراً . لقد كان الكسائي يخشى فعلا أن يعلم البصريون قراءته هذه فيعمروا الكوفيين بذلك . وكان يخشى ان يعلم الامراء والوزراء الذين كان يفاخر امامهم ويعتدّ ، والذين حكموا له بالغلبة على سيويه في المناظرة المشهورة بينهما . ومثل الكسائي كان الفراء أيضا : فقد عرف عنه أنه كان يقرأ كتاب سيويه سرا ، ويضعه (٤٦) تحت وسادته ؛ مع انه كان (٤٧) « زائد العصبية على سيويه » فكان الجاحظ يقول (٤٨) : « ان الفراء لم ينتفع بالنظر في هذا الكتاب كبير نفع لانه لم ينظر فيه نظر ناصح لنفسه ، ولا شاكرا لمن وصل

(٤٢) اخبار النحويين البصريين : ص ٥٧ .

(٤٣) مراتب النحويين : ص ٨٦ .

(٤٤) معجم الابهاء : ج ١١ / ٢٢٩ .

(٤٥) المصدر نفسه : ج ١١ / ٢٢٤ .

(٤٦) انباه الرواة : ج ٤ / ٨ .

(٤٧) بنية الرواة ج ٢ / ٢٢٢ .

(٤٨) انباه الرواة ج ٤ / ٩ .

اليه العلم من جهته ولا معترف بالحق فيه . أما ثعلب الكوفي فانه جنب نفسه التهم في هذا الامر فلم يطلع على مذهب البصريين ، وانما حصر نفسه في المذهب الكوفي؛ فدرس كتب الكسائي والفراء ، وكان يعود الى اقوالهما في مناظراته مع البصريين ويلجأ اليها (٤٩) « فاذا سئل عن الحجية والحقيقة . . لم يفرق في النظر » . ولم يك ثعلب مكتفيا بتطبيق ذلك على نفسه ، وانما كان يحاول أن يطبقه على تلاميذه ؛ فكان يعاتب ختته ابا علي الدينوري لانه كان يتركه ليقرأ كتاب سيبويه على المبرد ، ويقول له (٥٠) : « اذا راك الناس تمضي الى هذا الرجل وتقرأ عليه يقولون ماذا ؟ » .

وكان النحوي يشعر بالحرج الشديد والخجل من نفسه اذا ما غلبه نحوي آخر في مناظرة بين يدي خليفة او وزير : فهذا ابن السكيت يلسوم المازني لانتصاره عليه في مناظرة بين يدي الخليفة الواثق ، ويقول له (٥١) : « ما حملك على هذا وبينني وبينك من المودة الخالصة ؟ » فيقول المازني : « والله ما قصدي تخطئتك ، ولم اظن انه يعزب عنك ذلك » . وكان النحوي يتعصب لنحوي آخر من مدرسته ، ويثور اذا ما غلبه نحوي آخر من المدرسة الاخرى : فهذا ابن قادم يقول (٥٢) : « قدم ابو عمر الجرمي على الحسن ابن سهل ، فقال لي الفراء : بلغني ان ابا عمر الجرمي قدم ، وانا احسب ان اللقاء . فقلت له : فاني اجمع بينكما . فأتيت ابا عمر فأخبرته ، فأجاب الى ذلك . وجمعت بينهما . فلما نظرت الى الجرمي قد غلب الفراء وأفحمه ، ندمت على ذلك . فقال ثعلب لابن قادم ولم ندمت .؟ قال : لان علمي علم

(٤٩) طبقات النحويين واللغويين : ص ١٥٥ .

(٥٠) المدر بنه ص ١٥٦ .

(٥١) طبقات النحويين واللغويين : ص ٩٤ .

(٥٢) انباه الرواة : ج ٢ / ٨١ .

الفراء ، فلما رايته مقهوراً قلَّ في عيني ، ونقص علمه عندي .

وكان التنافس يدفع النحوي في بعض الأحيان الى التحايل على الإعراب والافصح براى غير الذي يقتنع به ، ولا بأس أن يصوب رأيا خاطئا من أجل ارضاء خليفة أو أمير ، أو وزير أو قائد اجتهد رأيا نسي مسألة نحوية . فقد استقدم (٥٣) الخليفة المتوكل المبرد من البصرة ليعرف رأيه في همزة ان في قوله تعالى (٥٤) : (وما يشعركم أنها اذا جاءت) هل هي مكسورة او مفتوحة ؛ وكان المتوكل قراها بالفتح ، ووزيره الفتح بن خاقان قراها بالكسر . فحدث خلاف بينهما على ذلك . قال المبرد يروي بنفسه : فوردت سُرَّ من رأى ، فأدخِلْتُ على الفتح بن خاقان . فقال : يا بصرى ، كيف تقرا هذا الحرف ، (وما يشعركم أنها اذا جاءت لا يؤمنون) « انها » بالكسر او بالفتح ، قل بالكسر او بالفتح ؟ فقلت : بالكسر ، هذا المختار وذلك أن اول الآية : « واتمسوا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنون بها ، قل انها الآيات عند الله وما يشعركم) ثم قال : يا محمد (انها اذا جاءت لا يؤمنون) باستيفاء جواب الكلام المتقدم . قال : صدقت . وركب الى دار أمير المؤمنين فعرفه بقدمي ، وطالبه بدفع ما تعاقدا عليه وتبايعا فيه . فأمر باحضاري . فلما وقعت عين المتوكل على قال : يسا بصرى كيف تقرا هذه الآية : (وما يشعركم أنها اذا جاءت) بالكسر ، او بالفتح ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين ، اكثر الناس يقرأونها بالفتح ، فضحك ، وضرب برجله اليسرى . وقال : احضر يا فتح المال . فقال : والله يا سيدي انه قال لي خلاف ما قال لك : فقال : دعني من هذا . احضر المال . واخرجت . فلم اصل الى الموضع الذي كنت انزلته حتى أتتني رسل الفتح ، فاتيت به ،

(٥٣) طبقات النحاة واللغويين : ص ٢٨٢ .

(٥٤) سورة الانعام : آية ٩ .

فقال لي : يا بصري اول ما ابتدأتنا به الكذب ، فقلت : ما كذبت . فقال : كيف وقد قلت لامر المؤمنين الصواب (وما يشعركم انها اذا جاءت) بالفتح . فقلت : ايها الوزير ! لم اقل هكذا ، انما قلت : اكثر الناس يقرأونها بالفتح ، واكثرهم على الخطأ ، وانما تخلصت من اللائمة ، وهو امر المؤمنين . فقال لي : احسنت .

وما سَلَكَ المبرد سَلَكَ يعقوب بن السكيت ، وبأسلوب فيه الكذب على النحو واضح ، والتلفيق بين ؛ وذلك حينما استدعي (٥٥) للفصل بين قولي محمد بن عبد الملك الزيات ، وزير المعتصم ، واحمد بن ابي دؤاد في توجيه اعراب (رجل) في قول الشاعر :

أظلم ان مصابكم رجلاً اهدى السلام تحيةً ظلم

وكان محمد قال بالنصب ، واحمد بالرفع ؛ فحكم يعقوب لاحمد . قال ثعلب : لقيت يعقوب فعاتبته في هذا عتاباً مفضاً ، فقال لي : اسمع عذري ؛ جاءني رسول ابن ابي دؤاد فمضيت اليه ، فلما رأني بشئ بي وقربني ورفعني ، واخفى في المسألة عن اخباري ، ثم قال لي : يا ابا يوسف ، مالي ارى الكسوة ناقصة ؟ يا غلام ، دستا كاملا من كسوتي ، قال : فأحضر . ثم قال : كيس فيه مائتا دينار . فأحضر ؛ ثم قال لي : اراك انت ؟ قلت : لا بل راجل ؛ فقال : حماري الفلاني بسرجه ولجامه ، فأحضر ، قال : يسلم الجميع الى غلام ابي يوسف ؛ فشكرت له ذلك . ثم قال لي : يا ابا يوسف ، انشدت هذا البيت :

اظلم ان مصابكم رجلاً

فقال الوزير : انما هو « رجلاً » بالنصب ، وقد تراضينا . فقلت :

(٥٥) مراتب النحويين : ص ٧٩ - ٨٠ .

القول ما قلت . فخرجت من عنده ، فاذا رسول محمد بن عبد الملك ، فقال :
اجب الوزير ، فلما دخلت بدرني وأنا واقف ، فقال : يا يعقوب ، اليس
الرواية :

اظلم ان مصابكم رجلا

فقلت : لا بل « رجل » . فقال : اغرب . قال يعقوب : فكيف كنت
ترى لي ان اقول ؟!

وبهذا الأسلوب — أسلوب ابن السكيت — عالج (٥٦) ابن قسادم
الكوفي ، استاذ ثعلب ، مسألة نحوية عرضت لميمون بن ابرهيم ، كاتب
اسحاق المصعبي . قال ابن قادم : وجه الي اسحق يوما فأحضرني ، فلم
ادر ما السبب ، فلما قربت من مجلسه تلقاني ميمون بن ابرهيم ، كاتبه على
الرسائل ، وهو على غاية الهلع والجزع ، فقال لي بصوت خفي : انه
اسحاق ؛ ومراً غير متلبث ولا متوقف حتى رجع الى مجلس اسحق . فراعني
ذلك ، فلما مثلت بين يديه ، قال لي : كيف يقال : « وهذا المال مال » او
« وهذا المال مالا » ؟ فعلمت ما اراد ميمون فقلت له : الوجه « وهذا المال
مال » ويجوز « وهذا المال مالا » فأقبل اسحق على ميمون بغلظة وفظاظة ،
ثم قال : الزم الوجه في كتبك ، ودعنا من يجوز ويجوز ، ورمى بكتاب كان
في يده . فسألت عن الخبر فاذا ميمون قد كتب الى المأمون وهو ببلاد الروم
عن اسحاق ؛ وذكر مالا حمله اليه ، فكتب « وهذا المال مالا » . فخط المأمون
على الموضوع من الكتاب ، ووقع بخطه في حاشيته « تخاطبني بلحن » ؟ فقامت
القيامة على اسحق ، فكان ميمون بعد ذلك يقول : ما أدري كيف اشكر ابن
قادم ، ابقى علي روحي ونعمتي قال ثعلب : « وهذا المال مالا » ليس
بشيء ، ولكن احسن ابن قادم في التاتي لخلص ميمون

(٥٦) انباء الرواة ج ٢ / ١٥٧ - ١٥٨ .

ولم يكن النحوي يتورع عن التلطف أحيانا بأي جواب يرد على لسانه
 اذا لم يحضر ذهنه الجواب الصحيح ، وعن أن يلقَّ شعرا يؤيد جوابه ،
 وذلك من أجل أن يبقى محافظا على سمعته ، وحتى لا تتزعزع الثقة به ؛
 فقد ورد (٥٧) المبرد النحوي الدينوري زائرا عيسى بن ماهان ؛ وأول
 ما دخل ، قال له : أيها الشيخ ، ما الشاة المَجْتَمَةُ التي نهى النبي صلى الله
 عليه وسلم عن أكل لحمها ؟ فقال : هي الشاة القليلة اللبن مثل اللجبة
 فقال : هل من شاهد ؟ فقال : نعم ، قول الراجز :

لم يبق من آل الجعيد نَسْمَةٌ الا عُزَيْرُ لُجْبَةٍ مَجْتَمَةٌ

وإذا بالحاجب يستأذن لأبي حنيفة الدينوري ، فأذن له ؛ فلما دخل
 قال له عيسى : ما الشاة المَجْتَمَةُ التي نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن
 أكلها ؟ فقال : هي التي جثمت على ركباتها ، ونحرت من قفاها . فقال
 عيسى : كيف تقول ، وهذا شيخ العراق — يعني أبا العباس المبرد —
 يقول : هي مثل اللجبة ، وهي القليلة اللبن ؛ وانشد البيهقي . فقال أبو
 حنيفة : إيمان البيعة تلزم أبا حنيفة ان كان هذا الشيخ سمع هذا التفسير ،
 وان كان البيهقيان الا لساعتها هذه . فقال أبو العباس المبرد : صدق الشيخ
 أبو حنيفة ، أنفُتُ ان أرد عليك من العراق ، وذكرني ما قد شاع ، فأول
 ما تسألني عنه لا أعرفه .

وقد وجد تنافس النحاة في العلة ميدانا خصبا تجلى فيه وبسرر ،
 فتنافسوا فيها ، وتوغلوا في شعابها ، ولم يتركوا شيئا في النحو يمكن أن
 يعلَّلَ الا أوجدوا له علة مهما كانت واهية مهلهلة ، فعملوا ثقل (٥٨) الفعل

(٥٧) انباه الرواة ج ١ / ٤٢ .

(٥٨) الايضاح : ص ١٠٠ .

وخفة الاسم ، وامتناع (٥٩) الاسماء من الجزم ، والأفعال (٦٠) من الخفض . وعللوا سكون (٦١) لام التعريف ، وعدم (٦٢) اجتماع ال التعريف مع التنوين ، وعدم الجمع ، وعدم ال التعريف والاضافة . وعللوا بناء (٦٤) الفعل الماضي على الفتح ، وبناء (٦٥) فعل الأمر على السكون . ومن هذه العلل الواهية ما ذهب اليه ثعلب حين سألته شيخ : لم أجاز الفراء قولهم « قائمين كان الزيدون » ولم يجز « قائما ضربت زيدا ؟ » أي لم أجاز تقديم خبر كان عليها ولم يجز تقديم الحال على العامل فيها ؛ فقال له (٦٦) : « انما جاز « قائمين كان الزيدون » لان قائمين خبر لكان ، ولم يجز « قائما ضربت زيدا » لان « قائما » ليس خبرا « لضربت » . وهذا تعليل ينطلق من غير أساس صحيح ، ولا يخاطب الذهن الصافي ؛ وكان المفروض فيه أن يعلل تعليلا منطلقا من واقع الجملة موطن التعليل، لا من واقع جملة أخرى لا علاقة لها بها ؛ فالفعل الأول فعل ناقص دخل على مبتدأ وخبر فقدم الخبر ، بينما الفعل الثاني فعل تام دخل على اسم ذات، وعلى وصف فقدم الوصف وتعليقه كان منطلقا من أن الجملة الثانية ليست كالجمل الأولى فامتنع التقديم فيها فاتخذ من الخلاف

(٥٩) الايضاح : ص ١٠٢ .

(٦٠) المصدر نفسه : ص ١٠٧ .

(٦١) اللامات : ص ١٩ .

(٦٢) المصدر نفسه : ص ٢٠ .

(٦٣) المصدر نفسه : ص ٧١ .

(٦٤) اسرار العربية : ص ٣١٥ .

(٦٥) المصدر نفسه : ص ٣١٧ .

(٦٦) انباء الرواة ج ٢ / ٥٧ وانظر علة لتقديم الحال : الاتصاف ج ١ / ٢٥٠ مسألة ٢١ .

بينهما أساساً لصلة جواز التقديم ومنعه . وهذا منطلق غير صحيح . ومن هذه العلل ما ذهب (٦٧) اليه البصريون رداً على الكوفيين من أن فعل التعجب «أفعل» وان كان لا يتصرف الا انه فعل ، وعلتهم أنهم اجمعوا على أن عسى وليس فعلاً مع أنهما لا يتصرفان * وعلّة البصريين واهية، إذ اتخذوا من اجماعهم على مسألة مقياساً لمسائل أخرى وحجة لهم في ما يذهبون اليه ؛ والاجماع ليس حجة أبداً وليس دليلاً على صواب النحاة (٦٨) لأن كل واحد منهم ، كما قال ابن جنبي * « انما يردك ويرجع بك فيه السى التامل والطبع لا الى التبعية والشرع » . ومن عللهم أن فعل الامر بني على الوقف ، لأن (٦٩) الاصل في الافعال البناء، والاصل في البناء ان يكون على الوقف، فبني فعل الامر على الوقف لأن الوقف اصل . وهذه العلة، ان كان منطلقها سليماً، فلم لم يُبين الفعل الماضي على الوقف وبني على الفتح ، مع أن البناء اصل فيه وهو مبني دائماً في شتى الاحوال ، وهو مبني أيضاً باتفاق (٧٠) جميع النحاة البصريين والكوفيين ، بينما فعل الامر مختلف فيه بين النحاة ؛ فبينما قال البصريون ببنائه ، قال الكوفيون باعرابه .

لقد ابتعد النحاة بتماديهم في مجال العلل عن جوهر النحو ، واوغلوا بهذا الاسلوب في التحل والتكلف ، مما جعل القدامى يرون أن هذه العلل انما أتت بها للاحتيال والتمويه . فقد قال ابن قتيبة في توجيه النحاة « لجلف » في قول الشاعر :

(٦٧) اسرار العربية : ص ١١٥ .

(٦٨) الخصائص : ج ٢ / ٣٢٦ .

(٦٩) اسرار العربية : ص ٣١٧ .

(٧٠) انظر : شرح ابن عقيل : ج ١ / ٢٤-٢٥ ، حاشية العبدان ج ١ / ٦٨ مع التوامح

ج ١ / ٤٦ .

وعضّ زمانٍ يا بن مروان لم يدع من المال الا مسحًا او مجلفُ
 قال (٧١) : « فرجع آخر البيت ضرورة ، واتعب اهل الاعراب في طلب
 العلة ، فقالوا واكثروا ، ولم يأتوا فيه بشيء يرضى ؛ ومن ذا يخفى عليه من
 اهل النظر ان كل ما اتوا به من العلل احتيال وتمويه . وليت النحاة سلكوا
 مسلك يونس حين سئل (٧٢) : لم صارت « حتى » تنصب الاعمسال
 المستقبلية ؟ فقال هكذا خلقت . ومسلك الكسائي حين سئل (٧٣) : لم لا
 يقال : ايهم ، في : لاضربن ايهم يقوم . فقال : « اي » هكذا خلقت .

ومع ان المدرستين، البصرية والكوفية، انتهتا تقريبا بانتهاء المبرد
 وثعلب ، الا ان التنافس بين النحاة استمر بعدهما، ولكنه عاد تنافسا فرديا،
 فيه شيء من الحسد وحب الدنيا ، بعد ان كان زمن المدرستين تنافسا فرديا
 ومذهبيا معا . وابرز هذا التنافس ذلك الذي كان بين الفارسي والرماني
 والسيرافي والزجاجي ؛ فقد اتهم الفارسي هؤلاء جميعا تهما مختلفة ، منها
 اتهامه (٧٤) الرماني بأنه لا يحمل شيئا من النحو وقد علل الأستاذ سعيد
 الافغاني تعرض الفارسي للسيرافي والرماني بقوله (٧٥) : « والفارسي
 . . . متهم على الرماني كما هو متهم على السيرافي ، لان الثلاثة اشرقوا في
 عصر واحد ، وكان للأخيرين من التوفير في اعين الناس ما ليس للأول .
 ولامر ما اولع الفارسي بأن ينص على تلمذة الرماني له حيناً » . والمنافسة
 النابعة من الحسد صرح بها الزجاجي وتخوف منها في تقديمه كتابه
 « الايضاح » ، فهو يتوقع أن الخصوم سيعترضون عليه ويفالطونه بعد

(٧١) الشعر والشعراء : ص ٣٣ .

(٧٢) طبقات النحويين واللغويين : ص ١٢٨ .

(٧٣) الخصائص ج ٢ / ٢٩٢ ، اوضح المسالك ج ١ / ١٠٩ .

(٧٤) معجم الادياب ج ١٤ / ٧٤ .

(٧٥) ملغزة الامراب : ص ١٣ (المقدمة) .

صدر الكتاب ، ويرى أن لن يُفصل بينه وبينهم حينئذ الا المناظرة عليـة،
يشرط أن تكون امام علماء من ذوي الفهم الدقيق والنظر الصائب يقول (٧٦):
« ومن مالت به عنه عصبته أو حميته فعنه يصرف حظه ، وعنا تسقط
كلفته ؛ ومن سمت به نفسه الى تتبع ما أودعناه اياه ، وسميناه فيه ،
وفحصه والكشف عن حقائقه ، فحقيق عليه أن مر به أن يراجع فكره ويثير
قريحته ويحرك خاطره ، ليقف على ما لعله قد انستر عنه ، ولا يحكم من
أول وهلة بخروج عن الحق ؛ فان فعل ذلك وتدبره ، ولم يره ينقاد غسي
طريقة القياس مستمرا ، أو رأى انه لا حق الا في غيره ، كانت حلبة التناظر
— باجتماع ذوي الفهم والنظر والفحص والجدال معنا فيها — فاصلة بيننا
وبينه ، حتى نصير معا بحق النظر الى الصواب » .

وعُرف التنافس زمن الفارسي أيضا — في مصر بين ابي العباس بن
ولاد (ت ٣٣٢ هـ) وأبي جعفر بن النحاس (ت ٣٠٧ هـ) ، المقدم جمع (٧٧)
بعض ملوك مصر بينهما ، وأمرهما بالمناظرة . قال ابن النحاس لابن
ولاد : كيف تبني مثل « أفعلون » من رميت ؟ فقال : أرميت . فخطاه ابن
النحاس وقال : ليس في كلام العرب « أفعلون » ولا « أفعليت » . فقال ابن
ولاد : انما سألتني أن أمثل لك بناء ففعلت .

وهذه المناظرة فيها مغالطة وتعمد التخطئة من ابن النحاس ؛ وقد
صوب (٧٨) الزبيدي اجابة ابن ولاد ، ودعم ما ذهب اليه بان الاخفش
الأوسط سعيد بن سعدة كان يبني من الأمثلة ما سئل أن يبني عليه ، وان
لم يكن ذلك في كلام العرب .

(٧٦) ص ١١-١٢ (الملمعة) .

(٧٧) طبقات النحويين واللغويين : ص ٢٢٨ — ٢٢٩ .

(٧٨) المصدر نفسه : ص ٢٩ .

في نهاية هذا البحث أرجو أن يُفهم أنني حاولت أن أجلو ما نتج عن التنافس من آثار سلبية على النحو ، وأسجله . ولكنني أرجو أيضا ألا يفهم من خلال هذا البحث أن النحاة انصرفوا تماما عن جادة الصواب ، وأن مظاهر الحياة الخادعة قد اضلتهم الطريق كلها — وأن كنت قد بينت أنها اضلتهم فعلا في أحوال عارضة — فقد عُرف عنهم العفنة والنزاهة والأمانة في الحفاظ على علم النحو ، وعلى خط سيره الصحيح ، وكأن كل شيء، في أحيان كثيرة، كان يتضاعف في قيمته ليرتفع شأن النحو عاليا ؛ فهذا المازني (٧٩) يقصده بعض أهل الذمة ليقرأ عليه كتاب سيبويه ، ويعرض عليه مائة دينار مقابل تدريسه إياه ، فيرفض ؛ فيقول له المبرد : جعلت فداك ، أترد هذه النفقة مع فافتك وشدة اضاقتك ؟! فيقول : ان هذا الكتاب يشتمل على ثلاثمائة وكذا آية ، من كتاب الله عز وجل ، ولست أرى أن أمكن منها ذميا غيرا على كتاب الله تعالى ، وحمية له .

وهذا الكسائي يأتيه الفراء ، فيراه باكيا ، فيقول له (٨٠) : ما يبكيك ؟ فيقول : هذا الملك يحيى بن خالد ، يوجه الي فيحضرنني ، فيسألني عن شيء ، فان ابطأت في الجواب لحقتني منه عتب ، وان بادرت لم آمن الزلل ؛ فيقول له الفراء متحنا : يا أبا الحسن ، من يعترض عليك ؟ قل ما شئت ، فأنت الكسائي ه واذا بالكسائي يأخذ لسانه بيده ويقول : قطعته الله اذا ان قلت مالا أعلم !

وهذا المبرد يقول (٨١) : « الناس يلحقهم السهو والغلط ، فاذا غلطوا

(٧٩) درة الفواص : ج ١ / ٤٢ .

(٨٠) انباء الرواة : ج ٢ / ٢٦٦ .

(٨١) الايضاح : ص ٤٠ .

نرجعوا فكان لم يغلطوا ، واذا اقاموا على الغلط بعد أن يتبين لهم الصواب ، كانوا جهالا كاذبين » .

ثبت مصادر البحث ومراجعته

الدكتور محمود حسني

- ١ - اخبار النهويين البصريين - السيرافي - المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٣٦ م .
- ٢ - اسرار العربية - ابن الانباري - مطبعة الترمي ، دمشق ١٩٥٧ م .
- ٣ - امالي ابن الشجري - حيدر آباد - الطبعة الاولى ، ١٣٤٩ هـ .
- ٤ - انباء الرواة - القنطي - تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم - دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٥٠ م .
- ٥ - الانصاف - ابن الانباري - مطبعة السعادة - الطبعة الرابعة ١٩٦١ م .
- ٦ - اوضح المسالك - ابن هشام - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، الطبعة الخامسة ، بيروت ١٩٦٦ م .
- ٧ - الايضاح - الزجاجي - تحقيق مازن مبارك - القاهرة ١٩٥٩ م .
- ٨ - بغية الوعاة - السيوطي - تحقيق ابو الفضل ابراهيم ، مطبعة الحلبي ، الطبعة الاولى ١٩٦٤ م .
- ٩ - حاشية الصبان - دار احياء الكتب العربية .
- ١٠ - تاريخ بغداد - البغدادي - مطبعة السعادة بمصر ، ١٩٣١ م .
- ١١ - الحيوان - الجاحظ - تحقيق عبد السلام هارون - مطبعة مصطفى الحلبي .
- ١٢ - خزنة الادب - البغدادي - تحقيق عبد السلام هارون - دار الكتاب العربي ، القاهرة ١٩٦٨ م .
- ١٣ - الخصائص - ابن جنى - تحقيق محمد النجار - دار الكتب المصرية ، الطبعة الثانية ١٩٥٢ م .
- ١٤ - درة الفواص - الحريري - مطبعة الجوالب - القسطنطينية ، الطبعة الاولى ، ١٢٩٩ هـ .

- ١٥ - سيويه امام النحاة - علي النجدي ناصف - مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة
١٩٥٢ م .
- ١٦ - شرح ابن عقيل - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - مطبعة السعادة - الطبعة
الثانية عشرة ، ١٩٦١ م .
- ١٧ - الشعر والشعراء - ابن قتيبة - دار الثقافة - بيروت .
- ١٨ - ضحى الاسلام - احمد أمين - مكتبة النهضة المصرية - الطبعة السادسة ، ١٩٦١ م .
- ١٩ - طبقات النحاة واللغويين - الاسدي - تحقيق الدكتور محمد فياضي - مطبعة النعمان -
النجف ، ١٩٧٢ م .
- ٢٠ - طبقات النحويين واللغويين - الزبيدي - تحقيق ابو الفضل ابراهيم - الطبعة الاولى
١٩٧٤ م .
- ٢١ - في اصول النحو - سعيد الافغاني - مطبعة جامعة دمشق - الطبعة الثالثة ، ١٩٦٤ م
- ٢٢ - القرآن الكريم .
- ٢٣ - القواعد النحوية - عبد الحميد حسن - مطبعة العلوم ، القاهرة ، ١٩٤٦ م .
- ٢٤ - اللامات - الزجاجي - تحقيق . مازن مبارك . المطبعة الهاشمية - دمشق ، ١٩٦٩ م .
- ٢٥ - مجالس العلماء - الزجاجي - تحقيق عبد السلام هارون - الكويت ، ١٩٦٢ م .
- ٢٦ - المدرسة البغدادية في تاريخ النحو العربي - د. محمود حسني محمود ، رسالة
دكتوراة مخطوطة .
- ٢٧ - مرآة الجنان - اليافعي - مطبعة دار المعارف النظامية ، ١٣٣٨ هـ .
- ٢٨ - مراتب النحويين - ابو الطيب اللغوي ، تحقيق ابو الفضل ابراهيم - مطبعة نهضة
مصر ، ١٩٥٥ م .
- ٢٩ - المصون - ابو احمد العسكري - تحقيق عبد السلام هارون - الكويت ، ١٩٦٠ م .
- ٣٠ - معجم الابناء - ياقوت الحموي - مكتبة عيسى الحلبي بمصر - الطبعة الاخيرة .
- ٣١ - مغني اللبيب - ابن هشام - تحقيق د. مازن مبارك ، محمد علي همد الله براجمة
سعيد الافغاني - دار الفكر - الطبعة الثالثة - ١٩٧٢ م .

- ٢٢ - ملفزة الاعراب - الرماني - تحقيق سعيد الافغاني - مطبعة الجامعة السورية ،
١٩٥٨ م .
- ٢٣ - من تاريخ النحو - سعيد الافغاني - دار الفكر .
- ٢٤ - الموشح - المرزباني - المطبعة السلفية - الطبعة الثانية - القاهرة ١٣٨٥ هـ .
- ٢٥ - نزهة الالباء - ابن الانباري - تحقيق د. ابراهيم السامرائي - الطبعة الثانية -
١٩٧٠ م .
- ٢٦ - نشأة النحو - محمد الطنطاوي - دار الصاوي للطبع والنشر - القاهرة ١٩٢٨ م .
- ٢٧ - هجع الهوامع - النسيوطي - تحقيق عبد السلام هارون الكويت - ١٩٧٥ م .
- ٢٨ - وفيات الاميان - ابن خلكان - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - مكتبة النهضة
المصرية ، ١٩٤٨ م .



عقيدة الخيام

للاستاذ عبدالحق قاضل

تقديم

من خلال رباعياته الفارسية عرفناه نحن العرب في هذا الجيل ، لكنه كان في حياته من اعلام الثقافة العربية ، لانه كتب مؤلفاته ورسائله العلمية والفلسفية والدينية باللغة العربية، التي كانت لغة العلم والدين والادب في زمانه ، لا في فارس وحدها بل في غيرها من اقطار الامبراطورية الاسلامية . وقد طبع كتابه الجليل (الجبر والمقابلة) بنصه العربي وترجمته الفرنسية في باريس عام ١٨٥١ - اي ان اللغة العربية هي المرجع لدراسة هذا الاثر وغيره من ثمار عقل الخيام . ولولا ان شهرته برباعياته الفارسية قد غطت على شهرته العلمية وثقافته العربية، لعرفناه واحدا من رجال الفكر العربي كالفارابي وابن سينا والخوارزمي والزمخشري وغيرهم من اخوانه واخواننا غير العرب، الذين نشأوا في احضان الثقافة العربية والحضارة الاسلامية، والذين هجروا لغاتهم الاصلية في التعلم والتعليم، وودونوا ثمار قرائحهم بالعربية التي احبوها وهاموا بها،

الى حد أن أبا الريحان البيروني، مثلاً، كان يقول أن الهجـو
بالعربية أحب إليه من المدح بغيرها ! .. وما كان هذا شعوره
وحده .

لهذا أرى أن الخيام جدير بأن يحتفي به العرب في
المناسبات، ويصدروا الأعداد الخاصة به من المجلات ، شأنهم
مع أمثاله الآنف ذكرهم .

عقيدته

كنت في كتابي « ثورة الخيام » عقدت فصلاً بعنوان (الالحداد
الرياضي) برهنت فيه على الحداد عمر الخيام ؛ وهنا أعقد فصلاً بعنوان
(الايمان الرياضي) أبرهن فيه على ايمانه — دون أن أمس ذلك الفصل
الاحادي بتصحيح أو تنقيح ، لان عمر الخيام نفسه قد كان كلا الرجلين .

فكيف كان ذلك ؟

البيهتي — جزاه الله خيراً كثيراً عما روى لنا من أخبار الخيام، ولا
سيما أن لمروياته، على قلتها وإيجازها ونقصها، خطورتها في البحث ، لقرب
عهده من مصادرها ، ولأنه يكاد يكون شاهد عيان في بعض ما يعيننا منها
— يقول عن صاحبنا عمر « وحكى لي ختته الامام محمد البغدادي انه كان
يتخلل بخلال من ذهب (١) ، وكان يتأمل الالهيات من (الشفاء) ، فلما
وصل الى فصل (الواحد والكثير) وضع الخلال بين الورقتين وقال : ادع
الازكياء حتى أوصي . فوصى ، فقام وصلى . ولم يأكل ولم يشرب ، فلما
صلى العشاء الأخيرة سجد ؛ وكان يقول في سجوده : اللهم انك تعلم

١ — التخلل : تنظيف ما بين الاسنان من بقايا الطعام . والخلال (زنة الهلال) : ما يتخلل

به من مود أو نحوه .

اني عرفتك على مبلغ امكاني ، فاغفر لي ، فان معرفتي اياك وسيلتسي
البك . ومات « . اهـ البيهقي (٢) .

قال لي الخيامي التركي المرحوم رضا توفيق (حين لقيته في استانبول
عام ١٩٤٧) انه لا يصدق الحكاية ، لان الخيام كان فقيرا ، وليس معقولا
ان يتخلل بخلال من ذهب . غير اني لا اتفق معه في هذا ؛ اولا لأنني لا ارى
من الضروري تكذيب الحكاية كلها اذا كان جزء منها غير معقول ، وثانيا
لان الاستنتاج بمثل هذا التعميم لا يبيح لنا انكار نص ينقله راوٍ عرف شخص
الخيام (مذكوره سنة ٥٠٧ هـ — اي قبل وفاة الخيام بعشر سنوات) فلم
ينكر من رواية ختفه عنه انه كان يتخلل بخلال من ذهب . وقد كان هو
اخلق بالشك في صحة ذلك لو قد وجد ما يثير شكاً ، وخاصة انه يروي
الحكاية نقلا عن شاهد عيان يعرفه ايضا ويثق بروايته ، بدليل انه نقلها
دون ان يعلق عليها ، او يناقش روايتها ختن الخيام الذي يظهر انه كان
مساكنا له في دار واحدة . وليس ثمة ما يحمل اي واحد من الاثنين —
الراوي والثروي عنه — على ان يخترع (خلال الذهب) خلافا للواقع .
وليس مستبعدا ان يكون الخيام اغتنى في بعض مراحل عمره ، وهو الذي
كان يخالط الامراء والسلاطين . وقد جاء في بعض اخباره ان الوزير نظام
الملك كان اجري عليه (١٢٠٠) دينار في السنة ، وربما اجري عليه وزير
آخر او سلطان ، ما اغناه ولو في اخريات حياته فقط . كما ان الخيام كان
طبيبا عالي الدرجة ، يستدعيه الملك لمعالجة حفيده سنجر حين اصاب

* — ظهر الدين ابو الحسن علي بن زيد البيهقي ، يرجع نسبه الى المحابي خزيمه الاوسي
الملقب بذي الشهادتين ، نزل ابناءؤه نارس — « نعمة صوان الحكمة » تم تأليفه ما بين
عامي ٥٥٢ و ٥٦٥ هـ . ويلاحظ ان لقب الخلق (البغدادي) ينسب ان زوجة الخيام كانت
مراغبة النسب .

بالجدري في صباه (٣) ، والطب صنعة رائجة رابحة ، وما أحسب بضاعة الخيام هذه كانت بائرة . حتى لو كان فقيرا حقا أيامئذ فليس من المحال أن يكون أحد المعجبين أو الأصدقاء قد أهدى اليه ذلك الخلال الذهب . وليس ببعيد كذلك أن يكون تفسير هذه النقطة أي شيء لا يخطر لنا ببال . فعلى هذا لا أستسيغ تكذيب نص لمجرد وجود نقطة فيه لا نعرف كيف نفسرها . وما أكثر الألفاظ المستعصية ، وبعضها شديد الغرابة لا نفقه له معنى ، في حيوات رجال التاريخ .

على أن حكايتنا هذه تقول بنفسها أن الخيام كان عند وفاته ميسور الحال ، لأنه حين شعر بدنو ساعة الصفر المحتومة ، دعا بالأزكياء ليوثقوا وصيته ، فحضروا ووصى فعلا . فلو لم يكن ذا مال ذي بال لما كان ثمة ما يستدعي الوصية ، وتوثيقها من جانب الأزكياء ، وهم بمثابة الكتاب العدول في زماننا .

لكني أنا لم أسلم من مثل هذا الخطأ الذي وقع فيه المرحوم رضا توفيق ؛ فقد صدرت الطبعة الأولى والثانية من « ثورة الخيام » وأنا غير عابئ بالحكاية . . صدق كل ما رواه البيهقي عن الخيام ما عداها ، فكنت أنخطأها كلما وقع نظري عليها . وكان السبب أنها صادرة عن ختن الخيام — أي أخي زوجته أو أبيها — فقلت لنفسي ، إذا كان معاصرنا المرحوم فروغي (٤) يدافع عن صحة إيمان الخيام ، المتهم بالاحاد ، ذلك الدفاع

٣ — هو أبو الحارث سنجر بن محمد بن ملكشاه السلجوقي ، تولى الملك ولقب بالسلطان الاعظم .

٤ — محمد علي فروغي ذكاء الملك ، كان أحد جهاذة السياسة والعلم والادب في إيران ، تولى أثناء الحرب العالمية الثانية . أصدر مجموعة لرباعيات الخيام باسم « رباعيات حكيم خيام نيشابوري » وقدم لها ببحث قيم على إيجازه ، وعلى مخالفتنا لبعض آرائه فيه . طبعت في طهران سنة ١٣٢١ شمسية ، أي ١٩٤٢ م .

الحر ، غير المنطقي ، ويتناول حتى الرباعيات الالحادية الواضحة الكفران ، بالرغم من الأكثر من ثماني مئات من السنين تفصل بين المحامي والمتهم ، وبالرغم من عدم وجود أية رابطة شخصية بينهما من صداقة أو مخاتنة — فما بالي بالامام محمد البغدادي، ختن الخيام ؟ كيف اصدق حكايته ضد رواية القفطي الذي قال لنا بكل جلاء عن الخيام، إن اهل زمانه قدحوا في دينه . . حتى لخشي على دمه وامسك من عنان لسانه وقلبه ؟ . . وضد اتهام الرازي اياه بأنه من الدهريين والطبيعيين الضالين، بالرغم من اكباره له ؟ (٥)

يضاف الى ذلك أن الرواية نفسها لا تخلو مما يثير الشك أو التساؤل على الاقل . فان ما يقال في السجود أثناء الصلاة هو « سبحان ربي الأعلى » . . فلماذا قال الخيام في سجوده غير ذلك ؟ كما ان ما يقال في السجود انما يقال سرّاً، اي همسا لا جهرا ، فكيف سمعه الختن ؟ وان شئت مشككا آخر علاوة على هذا، فكيف علم أن الخيام وقف في القراءة عند (فصل الواحد والكثير) من كتاب (الشفاء) وهو من أشهر كتب ابن سينا ؟

من أجل هذا أهملت هذه الحكاية من رواية البيهقي التي صدقتها كلها، لاني لم أجد فيها — عدا هذه الحكاية — ما يدعو الى شك أو تكذيب . وكان ذلك تسرّعاً مني .

بعد الطبعة الثانية من « ثورة الخيام » عدت الى القصة أنظرها بعين جديدة ، ازلت قبل كل شيء ذلك التناقض بين روايتي القفطي والرازي وغيرهما عن الحاد الخيام، وبين رواية ختنه عن ايمانه ؛ فظهر لي أن عمر الخيام نفسه قد كان كلا الرجلين ؛ ذلك أن الالحاد والايان لم يلتقيا في فترة واحدة من حياته . فنحن وان كنا على جهل تام بمرحلة الحاد، فاننا نعلم أن

• — ورد تفصيل ذلك في « ثورة الخيام » .

ايمانه كان في شيخوخته، وقد اطلعنا عليه في آخر يوم من حياته بالتحديد .
وما أكثر مَنْ ألحد من العلماء والمفكرين في عهد الشباب أو الكهولة ثم فاء
الى الايمان في الشيخوخة .

وعلى ضوء هذه الظاهرة نعود الى النقاط الغامضة التي اثارنا
شكوكنا لنتحنتها ونحقق النظر فيها . فاما كيف عرف الامام محمد البغدادي
ان صهره الخيام وقف من (الشفاء) عند (فصل الواحد والكثير) فهذه
ابسط المشاكل واسهلها جوابا . عندما فتح الكتاب — ربما بعد ان اسلم
الخيام الروح — حيث كان قد وضع الخلال بين الورقتين — وجد هذا
العنوان في احدى الصفحتين .

واما ما قاله الخيام في سجوده، فالظاهر انه كان خارج صلاة العشاء
الآخرة — الاصلوية — التي يقال في سجودها « سبحان ربي الاعلى » .
واكبر ظني ان البيهقي لم يحسن اختيار اللفظ للتعبير عن هذه النقطة ، ولو
ان عبارته تحتمل تفسيرنا هذا . فهو يقول : « فلما صلى العشاء الآخرة
سجد .. » اي : فلما فرغ من صلاة العشاء الآخرة سجد . ولا معنى
لعبارته بغير هذا التفسير، لان السجودات في اثناء الصلاة بديهية لا حاجة
الى ذكرها . ولو كان قصده السجود الذي في اثنائها لقال : « فلما صلى
العشاء الآخرة وسجد كان يقول في سجوده .. » او : « فلما سجد في صلاة
العشاء الآخرة .. » . اما خارج الصلاة فما اكثر ما يسجد المسلم لله
شكرا او تضرعا ، او تحية للمسجد ، او استقبالا للاجل .

فلما احس الخيام بدنو ساعته وصّى ، وكان متهيئا نفسيا للقضاء
الرفيق الاعلى، فسجد بعد صلاة العشاء تضرعا وانابة . وفي مثل هذه
الحالة من المعقول ان يكون قد جهر بما قاله، ورفع به صوته من فرط التأثر
وحرارة الابتهاال . كما يحتمل ان يكون كرر الدعاء بعد السجود فسمعه

ختنه . واية كانت الحالة فقد وردت احاديث نبوية عن اجلة من الصحابة ان الرسول كان يدعو احيانا في سجوده ويقول كذا وكذا ، من مختلف الادعية(٦) ويظهر ان البيهقي قد دوّن نص دعاء الخيام حين سمعه من الختن ليثبتته في كتابه ، كما يفعل امثاله ممن يؤلفون عن المشهورين او يجمعون الاقوال والنصوص .

اما الاحساس بدنوّ الاجل فظاهرة كثير حدوثها ؛ ولعل القارىء قد صادف من معارفه او اقاربه — كما صادفت أنا — احسّوا بقرب تسليم الروح، ولو لم تعتورهم اثناء المرض نوبة او انتكاسة فجائية منذرة ، سوى الهاجس الداخلي .

من الملحوظ ان بعض الرواة — ومنهم رواة الخيام — يبالغون الى الاختزال احيانا، فيحذفون كلمات او عبارات يظنونها زائدة او غير ذات جدوى ، غير مقدرين ما لها عند الباحث المحلل المدقق من خطورة ؛ وهي قد تغير المعنى او تقلبه ، او تضعف الرواية على الاقل . من ذلك مثلا رواية الشهرزوري لهذه الحكاية نفسها : فبدلا من ان يقول « روى البيهقي ان ختن الخيام الامام محمد البغدادي حكى له كذا وكذا .. » — قال الشهرزوري عن الخيام : « وحكى (بصيغة الجهول) انه كان يتخذل بخلال من ذهب، وكان يتأمل الالهيات من الشفاء .. » (٧) .. فليتصور القارىء كم كانت تهبط قيمة الحكاية لو لم تصل اليها رواية البيهقي الاصلية، التي منها علمنا ان الراوي ناقل مباشر ، ثقة ، عن شاهد عيان . شيء من هذا

٦ — ابن نهيمة : « الكلم الطيب » — تحقيق محمد ناصر الدين الابنبي — به امظة من ادمية

السجود النبوية ، ص ٦١ و٦٠ .

٧ — شمس الدين محمد بن محمود الشهرزوري — « نزهة الارواح وروضة الانراح » — نايلد

القبيل اقله عن البيهقي نفسه ، فلا بد أن ختن الخيام قد روى له أمورا
أكثر اقناعا وأوفى تفاصيل مما اختصره لنا في نصه هذا، الذي لم يجد هو فيه
ما يثير تساؤلا أو يتطلب اقناعا أو إيضاحا — لأن الحكاية كما سمعها كانت
مقنعة واضحة . ولعله كان شخصيا يعلم عن تدين الخيام وتقواه ما لم
يفكره لنا اكتفاء بزواية الامام محمد البغدادي .

ما سبب الحاد الخيام ؟

انه السبب الرائج للالحاد بخطوطه العريضة في كل مكان ، ولا سيما
لدى العلماء والمفكرين .

لماذا كل هذا الجور في الحياة ؟

لماذا يبسعد الاشرار ويثرون ، بينما يشقى الأحرار ويفتقرون ؟

لماذا يخلق الانسان لينمو ، ثم يموت بعد أن يتم ويكتمل ويصبح أجدر

بالحياة ؟

لماذا تموت الصبّية كالوردة في ميعة عمرها قبل أن يأتي دورها ؟

لماذا كل هذا الاضطراب والظلم ، واللامعقول ، في العالم ؟

لماذا .. لماذا .. لماذا ... (وقد أدرجنا نماذج أخرى من تساؤلاته

و (لمآذاته) في فصل (الالحاد الرياضي) في « ثورة الخيام ») ..

فألذي يستطيع أن يستنتجه بعضهم من كل هذا أنه لو كان للكون

اله لما كان جائرا ، وان كان جائرا فلا يمكن أن يكون الها .

ولا بد أن الخيام كان عارفا بالقالة السفسطائية الاغريقية المشهورة:

إما أن الله لا يريد الشر ولا يستطيع أن يمنعه ، وإما أنه يستطيع ولا يريد ،

وإما أنه يريد ولا يستطيع .. وكل أولئك يعني أنه ليس الها . والرابعة

انه لا يريد الشر ويستطيع ان يمنعه ، وهذا أيضا مستحيل ، لانه يقال
عندئذ : ماله لا يفعل اذن ؟

يضاف الى ما تقدم من افكار تقود الى الجحود والكفران بذات الله ،
ان الالحاد ضرب من التمرد الذي يتسم به عهد الفتوة التي من طبعها التحدي
والنزوع الى التجديد، والخروج على الموروث من معتقدات ومواضع دينية
 واجتماعية وذوقية . . حتى في الأزياء . . حتى في الموسيقى والاغاني . . وقد
راينا بأعيننا انتشار بدعة اطالة اللحية على عهدنا عند أحداث الجيل ، خلافا
لجيل آبائهم ، ثم اطالة شعر الرأس محاكاة للناث . ولا تسئل عن تملص
الفن عموما — من رسم عبثي وأدب تشكيلي — من كل القيود، وخاصة من
القيود الجوهرية الاساسي الذي انما خلق الفن والأدب للتعبير عنه ، وهو
المعنى . وما كل هذا غير طراز من الالحاد الاجتماعي .

بديهى ان فكرة وجود خالق للكون مبدع لكل شيء لم ينتظر الخيسام
حتى يشيخ ليتعلمها، فهي في الواقع أول شيء من الاسلام تعلمه الصبي ،
عمر ، في دروس علم الكلام (الالهيات) يوم قالوا له : كل متغير حادث ،
وكل حادث له محدث . والعالم متغير، فهو اذن حادث، فلا بد ان يكون له
محدث، اي صانع او خالق هو الله سبحانه . فكان يحفظ ذلك صبيا، ويتفهمه
ويعيدده على ممتحنه مثلما يحفظ (قفا نيك) ويتفهمها ويعيدها . غير انه
حين شب ونما جسمه واضطربت فتوته في مرحلة التمرد والتحدي، بدأ يقول
(لماذا) ؟ ولا بد انه كان يسمع اقاويل الملحدن المنكرين ايضا ، فكان يقارن
ويوازن . وحين لابس الحياة وأحتك بتفاعلاتها، لعلهُ عانى واقميا فوضى
الأمور واختلال معايير العدالة، بل فقدانها في الكثير من الاحوال ؛ وربما
اصابه الكثير من عقابيل ذلك ، ولعله قاسى أيضا من تحيز القدر في معاملة
الناس شيئا غير قليل — علاوة على لا منطقية الموت ومجهولية المبتدأ

والمنتهى ، لا بد انه حين واجه كل أولئك صار رنين (لماذا) يدوي بقوة في رأسه — استفهاميا حيناً ، واحتجاجياً حيناً ، واستنكارياً حيناً آخر .

ولا بد كذلك ان الخيام قد درس منذ الصبا ايضا اجوبة الدين على اسئلته واعتراضاته ، فقليل له ان (الآخرة) تصحح اغلاط الدنيا . فـ « من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » ؛ فكما يثاب الأخيار على صالح أعمالهم وعلى ما يبطلون به من مصائب الحياة ، يعاقب الأشرار على شرورهم، ويحصى ما يتمتعون به في الدنيا من نعم الحياة فيحسب على سيئاتهم . . والظالم يؤخذ من حسناته يوم القيامة لتضاف الى حسنات المظلوم، فان لم تكن له حسنات أضيف الى سيئاته من سيئات المظلوم . . « يقضى بينهم بالحق ، وهم لا يظلمون » .

لكن هذا الذي تعلمه في الصغر تبخَّر تأثيره والاعتناع به مع الزمن في دورة الشباب . كل الملحدين يعرفون موقف الدين هذا ، لكنهم يزيغون عنه ويذهب بهم الفكر و (اللماذات) مذهب الحيرة فالنكران .

على ان تقدم السن يخفف من فورة التمرد والتحدي ايضا . وكثيرا ما يؤمن الشيوخ بعد كفران . والتأويل الرائج لهذه الظاهرة هو ان المرء حين يستنفذ عمره، وتخبو حدة شهواته، ويقترب منه قبرة، يستغفر ربه خوفا من ويلات الآخرة وطمعا في نعيمها، فيتوب عن معاصيه ، وكثيرا ما يعكف على العبادة واداء الفرائض من حج وصوم وصلاة وزكاة ؛ ومنهم من يتصدق بما حشد من مال حرام ، وبعضهم يبني المساجد ، او يوقف املاكة على وجوه البر .

لكني لا اخال هذا منطبقا على مثل شيخنا الخيام ، بل على مثل ابي نواس الذي كان يقول في شبابه :

تم سيدي نعص جبار السماوات

فهو كان يؤمن بأن في السماوات جباراً، لكنه يعصيه تمرداً وسفاهة حتى بعد أن حج البيت وقال في بعض قريضه ما ينم عن إيمانه . وذلك شأن معظم العصاة من الناس . يؤمنون بالله القاهر فوق عباده، ولا يمنهم إيمانهم من أتيان المعاصي، من غش وابتزاز وعدوان ونسوق، وما إلى ذلك من صفات الذنوب وكبائرها . . كالولد الشقي المتمرد، يرتكب كل ما تسول له نفسه ضد أوامر أبيه ومعلميه على الرغم من علمه — يقينا — بما سينال من عقاب وضرب وجيع .

فاذا ادبر الشباب وحلّ المشيب ببعض المارتين عن الدين تابوا .

قال أبو نواس فيما قال :

وبلغت ما بلغ امرؤ بشبابه فاذا عصارة كل ذاك أثم !

يتوب من آثامه لا من الحاده . انه لم يخرج على الدين عن فلسفة ، ولا هو تاب عن تفكير . لأن التوبة خامرته فيما يظهر عند اعتلال جسده، ربما بسبب الاسراف على نفسه في الخمر والفجور . ويغلب على ظني انه لو عاوده عنفوان الشباب واقبال الحياة لتاب عن توبته .

الخيام طراز آخر ، كان كفره بالدين والحاده بالله عقلياً ، أي علمياً، لا جهلياً أو عصيانياً ؛ فلما عاد إلى الإيمان عاد عن تفكير وتأمل . فلماذا لم يستغفر في دعائه الآخر عن ذنوبه ومعاصيه ، بل عن عدم تمكنه من معرفة الله .

بعد أن شبع وسئم في مدارج العمر من كثرة تساؤل وطول احتجاج واعتراض ، أخذت (لماذا) تضعف وتقلشى مع الزمن وبالتدرج . . لتظهر مقابلها في نفس الوقت ، مع الزمن وبالتدرج : (كيف) ؟ . . ولا سيما أن شعلة التمرد والتحدي خمدت مع تدرج خمود الفتوة ونضج الكهولة ،

فأصبحت نظرتة الى الامور وتأملاته في شؤون العالم تتسم بشيء من الحياد .. الايجابي .

اذا كانت تأملات ابي نواس قد قادته الى القول :

وفي كل شيء له آية تدل على انه واحد

فلا بد أن هذه الحقيقة قد كانت أجلى لعين الخيام، وهو أوسع علما وأعمق فكرا ، وأكثر اهتماما بتقصي الحقائق والتفتيش عن المجهولات واسرار الحياة والكون . لا بد انه تسائل :

(كيف) نبتت هذه الشجرة الوارفة من تلك البذرة الصغيرة ؟ كل أوراق هذه الدوحة الضخمة وخضرتها وخبثها والوان نورها ونوع ثمرتها وطعمها .. كل هذا كان مسجلا بطريقة خفية ودقة غير معقولة في تلك البذرة الصغيرة .

(كيف) تكونت هذه الحيوانات في أرحام أمهاتها ، من لا شيء تقريبا، من ماء دافق لا يبين فيه اثر لحياة .. ثم أخذ كل منها منذ ولادته يتصرف على نحو خاص بأبناء نوعه دون تعليم ، بالفطرة ؟

(كيف) تكونت هذه الفطرة ؟

والانسان .. (كيف) سطرت كل خصائص شخصيته بالتفصيل - المسهب ، المتقن ، في تلك النطفة الضئيلة ؟ كل البرنامج : الطول والحجم ولون البشرة وعدد الشعرات في الجسم في كل مرحلة من مراحل الحياة .. والاحاسيس ، والمشاعر ، والهواجس ، والأفكار ؛ وكيف يواجه جسمه ونفسه وعقله كل أنواع الاحتمالات التي تصادفه في الحياة ، وكسل الاستجابات والتفاعلات وتعاملات البيئة ؟ .. والخيام طبيب ..

وهذا الكون (كيف) تهندس بنجومه الثابتة على مسافات محددة ..

-والخيام فلكي - وبكواكبه السيارة المتحركة بحسابات مضبوطة ؟ ..
-والخيام رياضي - هذا الكون (كيف) نشأ و (كيف) يعمل ؟ (ولو أنه لم
يكن معروفا يومئذ أن الفلك يتحرك كله ويسير) .

وهذه الفصول السنوية (كيف) تتغير وتتعاقب بانتظام، فلا يتقدم
دوران السنة دقيقة واحدة ولا يتأخر ؟ .. والخيام قد شارك في وضوح
التقويم السنوي الذي يبدأ في لحظة تعادل الليل والنهار الربيعي .. وهو
فوق ذلك خبير بعلم الأجواء والأنواء ..

بعض هذه الاسئلة يظهر في رباعياته ، لكني لا أشك أنها كلها -
واكثر منها - قد كانت موضوع اهتمامه وتأملاته .
كيف وكيف وكيف ؟ ...

كل شيء يدعو الى العجب ، بل الدهشة .
وكلما كان العقل أكبر كان تعجبه ودهشته أكبر .

هذا الكون المذهل بكل هذه العظمة وهذه الدقة، من أعظم شيء الى
اصغر ذرة، فيه لا يمكن أن يكون قد تكوّن مصادفة . وهذه الدقة المتناهية
المحكمة الى حد لا يدركه الفكر، يستحيل أن تكون هي التي خلقت نفسها .

قال لي في أذن قلبي الفلك الدوار همسا :
لأرحمت الآن نفسي من هيامي ودواري !
أنا لو كان بأمري دورانسي في مداري
أتظن الحكم حكمي في الورى سعدا ونحسا ؟

كلا ، ان الفلك لم يبدع نفسه ، ولا هو يدور باختياره ، ولا بوعي
منه ؛ انه كالثور يدور في الناعورة لا يدري من أجل ماذا .

لسنا نعلم في اية مرحلة من حياته قال هذه الرباعية ، وهي رباعية

خيامية الدلالة، حتى ان لم يكن الخيام قائلها فعلا .

(كيف) اذن نشأ الفلك ، و (كيف) دار ؟

انه بحسر وجود جاء من طي الخفاء
درة للبحث لم تُثَقَّب بعلم او ذكاء
كلهم جاء بقول من تَكُنَّ وهـراء
غير ان الحق لم يظهر عليه ابن فناء

(لا أدريه) صريحة ؟ وهي من الرباعيات (المعتمدة) التي يرجح ترجيحاً قويا صحة نسبتها الى الخيام . وثمة أمثال لهذه اللادريية في رباعيات أخريات . ثم :

يا فتى من صولج التقدير كالأكرة يجري (أ)
سرُّ شمالا ويمينا ، ثم لا تنطق بامرٍ
ان من القاك في المحنة من كبرٍ وفـرٍ
هو بدري، وهو بدري، وهو بدري، وهو بدري

(لا أدريه) أخرى ، لكن من نوع آخر . فالخيام نفسه ما يزال (لا بدري) غير أنه قد توصل هنا الى معرفة (هو) الذي وحده بدري .. أي انه اعترف بوجود (هو) الذي « القاك في المحنة » ..

كان الحادُّه رياضيًا ، فلا بد ان ايمانه أيضا قد كان رياضيًا .. فلا يغلُّ الحديد الا الحديد .

فاذا وضعنا المسألة في صيغتها الرياضية كانت كما اظن هكذا :

٨ - الصولج هو الصولجان (اللسان) . يعتمد لعبة الكرة والصولجان ، المشهورة نسبيًا

عصرنا باسم (الهوكي) .

(لماذا) ، جوابها : لا أدري ، أي صفر . جواب سالب .

(كيف) ، جوابها : هو يدري . جواب موجب ، على كل حال .

وطبيعي أن يتخلى عقل علمي كعقل الخيام عن السالب من أجل
الموجب ! بعد أن اقتنع عقله باستحالة وجود هذا الكون من دون موجد ،
خالق ، صار إذا عاوده التسأل : لماذا هذه المفارقات في الحياة ؟ لماذا
الشروع ؟ لماذا الحياة ؟ .. لماذا الموت ؟ .. لماذا ، لماذا ؟ ..

كان الجواب : هو يدري ! .. نفس الجواب الذي تعلّمه الصبي عمر
ابن ابرهيم الخيام من معلميه واهله : انها حكمة الله .. قضاء الله ..
ارادة الله .. يُعزّ من يشاء ويُذلّ من يشاء ..

ولماذا كانت حكمة الله ومشيئته هكذا ؟ .. هو يدري ، هو يدري ..
« لا يُسأل عما يفعل ، وهم يُسألون » .

عندها لا بد أن الخيام عاد الى اجوبة الدين القائمة على تعادلية اليوم
الآخر . وصار يتأمل تلك الاجوبة على (لماذااته) بعين جديدة، ويهضمها
عقله بالتدرّج — بعد أن كان يحفظها ويعيدها ويتبحر في فلسفتها تحليلا
وتعليلا في محاضراته ورسائله . كان يلقيها دروسا على الناس، ويجهد في
افهامهم اياها بالادلة المتداولة بين العلماء والحكماء دون أن يقتنع هو
بها أو يفهمها .. كما يفعل الكثيرون من المعلمين في كل زمان حين يضطرون
الى تلقين تلاميذهم مبادئ دينية أو سياسية لا يؤمنون بها . لكن الخيام بعد
أن آمن بالذي (يدري) صار يلقيها دروسا على نفسه ويجهد في افهامها
اياها بالادلة التي تقنعه هو، واصبح شعوره بضرورة وجود (الواجب
الوجود) يساعده ويجبر عقله على الاقتناع .

وما في الامر غرابة ؛ فالغزالي الفقيه المتصوف الكبير ايضا تاب الى

الإيمان بعد طول حيرة وتشكك . وللغزالي والخيام نظراء .

سؤال : (كيف) هو الله ؟ ..

أما هذا فلم يجب عليه العقل ولا الدين : الدين يقول : شيء لا كالأشياء .. بكل شيء محيط .. يدرك الإبصار ولا تدركه الأبصار .. والامام علي يقول : « كل ما خطر ببالك فهو ليس كذلك » !

والواقع أن كل تفكير في حقيقة الله وصفاته لا نتيجة له غير الحيرة والضلالة : وهنا يأتي الحديث النبوي المنقذ : « تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله ، فتهلكوا » (٩) .

وينتهي التأمل الرياضي بالخيام ذي العقل الرياضي الكبير الى هذه النتيجة :

ان عقلي ليس بالكفاء لاثباتك ، ربي

فمناجاتك اوضحت هي تفكري ودابي

كيف لي رياه ان اعرف ما كنه صفاتك ؟

ليس من يعرف ما ذاتك حقا غير ذاتك !

وما اشد انسجام رباعيته المنظومة هذه مع دعائه المنثور ذاك .

وان كانت للخيام عمر رباعيات دينية أخرى، فالمعتول أن تكون من نتاج فترة الرجوع الى الإيمان والتدين . ولعل رباعيتنا هذه أهم واحدة

٩ - لقد كثر الرسول ذلك على أصحابه في مناسبات متعددة فيما يظهر، لان الحديث روي من

جهات مختلفة بصيغ متقاربة ، كلها يؤكد النهي عن التفكير في ذات الله ويحث على التفكير

في مخلوقاته .

فيها .

ولا نعلم متى قالها عمر ، لكن الشهرزوري يروي أنها آخر ما قال

من الشعر .

وأما الرباعية الرائجة التي كثيرا ما يستشهدون بها على ايمان

الخيام :

ان كنت لم أثقب درة طاعتك قط ،

ولم انفض غبار الذنب عن وجهي قط ،

فلمست باليائس من رواق كرمك ،

لاني لم اقل ان الواحد اثنان قط ..

فما احسبها من صناعة عقل الخيام ، لضعفها ، وخاصة لتهاافت
الاستعارة البلاغية في الشطر الاول منها — فمن أسلوب الخيام ان يقول
احيانا (ثقبوا د. المعاني) بمعنى امتضوها ونفذوا الى صميمها ، أما
(ثقب درة الطاعة) بمعنى الانصياع اليها والتمسك بها فاستعارة سقيمة
لا اراها شبيهة بشاعرنا المنطيق عمر .

لا استبعد ان يكون ايمانه هذا الذي ملك عليه مشاعره في شيخوخته،
او منذ كهولته ، قد دعاه الى اتلاف رباعياته الفارسية وشعره العربي،
مما لم يرد به وجه الله او اراد به الالحاد والثورة على الدين ، كما يفعل
امثال له من التائبين — فلم يخلف من جراء ذلك ديوان شعر ولا مجموعة
رباعيات ، الا ما بقي في ذكرات اصحابه الذين كانوا اخذوها عنه او في
دفاترهم ، او اخذها بعضهم عن بعض ، مما شاع شيء في حياته نقلا
عنهم، وصارت شذرات منه تظهر بعد وفاته في المؤلفات اللاحقة ، حينما
بعد حين .

ولنعد الآن الى ذلك الدعاء الذي ودع به الفاتية . صيغته لا تخلو من غرابة ، وهي تناسب الخيام كما نعرفه كل المناسبة . ونص الدعاء كالذي رأينا هو : « اللهم انك تعلم اني عرفتك على مبلغ امكاني ، فاغفر لي . فان معرفتي اياك وسيلتي اليك » .

فاذا كانت معرفته الباريء هي وسيلته اليه فلماذا يستغفره ؟ السر فيما ارى ان « المعرفة » في الشق الاول من هذا الدعاء تختلف عن « المعرفة » في الشق الثاني منه . وبعبارة اوضح، يخيل لي انه قصد بالمعرفة الاولى عكس معناها، اي الانكار ! . . فكأنه قال « اغفر لي عدم معرفتي اياك فبما خلا من أعوام عمري » . وهو يتنصل ضمنا من التبعة، ويلقيها على عجزه عن الادراك . وقوله « على مبلغ امكاني » يؤيد هذا التفسير . ثم جاءت المعرفة الحق في الشق الثاني من قائلته ، وهي التي يتخذها وسيلته الى الله لغفران الماضي وثواب الحاضر ، بل المستقبل .

كان الحاده عقليا ، وجاء ايمانه عقليا ولا بد .

عبد الحق فاضل



المستعمرات الألمانية في فلسطين

للكرّ عالى محافظة

(الجامعة الاردنية)

الغاية من هذا البحث دراسة المستعمرات الألمانية في فلسطين منذ تأسيس اولها عام ١٨٦٨ وحتى نهاية الحكم العثماني عام ١٩١٨ . وتعالج هذه الدراسة الدوافع الدينية والسياسية والاقتصادية التي كانت وراء انشاء هذه المستعمرات ، ومدى صلتها بالمخططات السياسية الألمانية في الدولة العثمانية . كما انها تتناول طبيعة العلاقات بين المستعمرين الالمان والسكان العرب من جهة ، وبينهم وبين المستعمرين اليهود من جهة اخرى . وتستعرض ايضا موقف السلطات الرسمية العثمانية من هذه المستعمرات .

مشاريع استعمار فلسطين في النصف الاول من القرن التاسع عشر :

فتحت حملة نابليون بوناپرت على مصر وبلاد الشام (١٧٩٨-١٨٠١) باب الصراع الدولي في الشرق العربي على مصراعيه . واطلقت العنان لمخططي السياسة الاستعمارية في أوروبا ، فقدموا مشروعات عديدة ترمي الى تجزئة الدولة العثمانية واقتسام ممتلكاتها ، في وقت بلغ الجشع الاستعماري ، مع انتشار الثورة الصناعية ، اوجه . وكانت فلسطين بحكم موقعها الجغرافي والاسراتيجي واهميتها الدينية هدفا لمخططي هذه

السياسة . فمنذ عام ١٨٠٠ نشر الكاتب البريطاني جيمز بيتشينو
James Bicheno كتابا بعنوان **The Restauration of Jews,**
دعا فيه الى تجميع يهود العالم **the crisis of All Nations**
في فلسطين ، تحقيقا للنبوءات التوراتية ، وسعيا الى حل الازمات التي
تجتاح الدول المسيحية والدولة العثمانية . وعلق بيتشينو آمالا واسعة على
فرنسا النابليونية لتحقيق هذا المشروع . غير ان مبادرة نابليون بجمع
« مجلس اعلى » لليهود لاستغلاله كأداة سياسية ، منيت بالفشل . ولذلك
اتجهت الأنظار الى الدول البروتستانتية (بريطانيا وبروسيا) لتحقيق هذا
المشروع . ولقيت آراء بيتشينو صدى واسعا في بريطانيا ، واعيدت طباعة
كتابه السابق الذكر عام ١٨٠٧ (١) .

وقد اعجب بالفكرة اللورد آشلي **Lord Ashley** الذي اخذ يدعو
لها منذ خريف عام ١٨٢٨ . وفي رايه ان جمع اليهود على ارض فلسطين
سيكون خطوة اولى نحو تنصيرهم ، كما ان استعمار فلسطين ضرورة
للاقتصاد البريطاني الذي شهد آنذاك ازدهارا وتوسعا نتيجة للثورة
الصناعية . وبضغط من آشلي قبل تربيته اللورد بالمرستون
Lord Palmerston رعاية عودة اليهود الى فلسطين، وحمائية
الحكومة البريطانية للمقيمين منهم في الدولة العثمانية . وكان للكتاب الذي
الفه اللورد ليندسي **Lord Lindsay** ومصدر عام ١٨٢٨ بعنوان
"Letters on Egypt, Edom and the Holy Land" * رسائل عن
مصر وايدوم والارض المقدسة والذي تضمن تحبيذه لفكرة جمع اليهود في
فلسطين ، صدى واسع في نفس اللورد آشلي . فقام الاخير بجمع الاموال
لتنفيذ مشروع جمع اليهود على ارض فلسطين (٢) .

اثار المشروع اهتمام الحكومة البريطانية والصحافة اللندنية .

فقد تناولت صحيفة التايمز Times في عددها الصادر في ٢٤ كانون الثاني عام ١٨٣٩ الافكار الرئيسية التي نادى بها آثلي وايدت « حق الشعب اليهودي في العودة الى فلسطين » . وربطت المسألة اليهودية بالآزمة السياسية القائمة بين محمد علي باشا والسلطان العثماني (٣) . أما وزارة الخارجية البريطانية فقد أصدرت في ٣١ كانون الثاني ١٨٣٩ تعليماتها الى W. T. Young نائب القنصل المعين حديثا (١٨٣٨/٩/١٩) في القدس لبسط حمايته على كافة اليهود المقيمين في فلسطين (٤) .

ونشأت في الوقت نفسه حركة بين اليهود في بريطانيا تدعو الى استعمار فلسطين . ففي ربيع عام ١٨٣٨ زار موسى مونتفيوري (Moses Montefiore) (٥) الثري والمحسن اليهودي، فلسطين ، وعرج على مصر لمفاوضة محمد علي باشا في مشروع يرمي الى تأجير منطقة الجليل (نحو ٢٠٠ قرية) له لمدة خمسين سنة ، وان يدفع له مقابل ذلك اجرا سنويا . وكان في نية مونتفيوري ان ينشئ شركة استعمارية في بريطانيا ، في حالة موافقة محمد علي باشا على مشروعه ، من اجل تشجيع يهود أوروبا على الهجرة الى فلسطين . غير ان مباحثات مونتفيوري مع محمد علي باءت بالفشل، عندما أكد والي مصر انه لا يستطيع التصرف بأرض لا يملكها . واستمر مونتفيوري في نشاطه دون جدوى ؛ وزار فلسطين سبع مرات بين عامي ١٨٢٧ و ١٨٧٥ (٦) . كان مشروع مونتفيوري هذا مقدمة للمشروع الصهيوني الذي مر بمراحل عدة طوال القرن التاسع عشر .

وبعد جلاء قوات محمد علي عن بلاد الشام، اقترح هلموت فون مولتكه (Helmuth Von Moltke) الكابتن في الحرس الملكي البروسي، الذي عمل بين عامي ١٨٢٥ و ١٨٣٩ في اعادة تنظيم الجيش العثماني (٧)، مشروعا آخر لاستعمار فلسطين . وورد هذا المشروع في مذكرات فون

مولتكة التي نشرها في صحيفة (Augusburger Allgemeine Zeitung) عام ١٨٤١ تحت عنوان : « المانيا وفلسطين Deutschland und Palaestina » . وقد شرح الضابط الألماني مشروعَه هذا بتفاصيل دقيقة اثار اهتمام الراي العام الألماني والأوروبي . وينص المشروع على انشاء « مملكة القدس » لتجعل من فلسطين مركزا متقدما للحضارة الأوروبية ، وانموذجا للتطور الاقتصادي في الشرق ، ودولة واقية بين مصر وسورية في حالة قيام مملكة وراثية في مصر ، تحول دون اي اعتداء على الدولة العثمانية ، وجسرا يربط أوروبا بالقارة الهندية . ويرى مولتكة ان قيام هذه المملكة سيكون بعنا للثقافة والقيم الصليبية، ونصرا معنويا عظيما تحققه المسيحية في العالم . واقترح ان يكون على رأس هذه الدولة امير الماني يتمتع بسلطة مطلقة، ويتصف بروح متسامحة . فهو يرى ان اعتلاء امير الماني لعرش مملكة القدس، سوف يبعد فلسطين عن تأثير المنافسات السياسية القائمة آنذاك بين الدول البحرية الأوروبية . كما ان تمتعه بسلطة مطلقة سيساعد في فرض النظام على بلد متخلف « لم يبلغ سكانه بعد مستوى حضارة اليونان، الذي تؤهله للمطالبة بالحكم الذاتي » (٨) . هذا وتحمس لمشروع مولتكة ملك بروسيا، فريدريش فيلهلم الرابع (Friedrich Wilhelm IV) وتبناه، فعرضه على ملوك أوروبا فلم يقبلوا به (٩) .

وبقيت فكرة استعمار فلسطين تشغل بال العديد من رجال الدين والسياسة والاقتصاد في أوروبا ؛ غير أننا سنقتصر على هذه المشروعات التي كانت تمهيدا للمشروع الاستعماري الألماني، الذي بدأ تنفيذه في نهاية الستينات من القرن التاسع عشر .

جمعية الهيكل الالمانية واستعمار فلسطين

تعود جمعية الهيكل الالمانية (Deutsche Tempelgesellschaft) في اصولها الى حركة الاتقياء Pietismus التي ظهرت في المانيا في القسرن السابع عشر ، كحركة دينية اصلاحية في الكنيسة الانجيلية، اكدت على دراسة الكتاب المقدس، وعلى الخبرة الدينية الشخصية . واستمرت هذه الحركة الدينية حتى مطلع القرن التاسع عشر، وتركزت حول تيوزوفن- بينجل Theosophen Bengel ، الذي بشر بقيام ملكة الرب وعودة المسيح الى الارض في اعقاب كوارث مريعة تنجم عن الابتعاد عن الروح المسيحية . ودعا بينجل كلّ تقي ان يبحث له عن مكان في الشرق، لقرب قيام ملكة الرب هناك . وراى بينجل واتباعه في نابليون بونابرت الشيطان المناهض للمسيح . ومع نهاية نابليون، اعتقد بينجل ان لا بد من مرور بعض الوقت حتى تتم التفجرات الكبرى . وتوقع ان تتم عودة المسيح عام ١٨٣٦ .

وفي عام ١٨١٧ حلت مجاعة بمملكة فورتمبرغ Wurttemberg ، فانتهدز بينجل هذه الحالة فودعا اتباعه الى الهجرة الى الشرق . فهاجر آلاف الفلاحين من هذه المملكة الى جنوب روسيا، حيث رحب بهم القيصر اسكندر الاول . واعتقد كثيرون منهم ان ترحيب القيصر الروسي نداء الهي لا بد من تلبيته . وتمت هجرة هؤلاء الالمان تحت اشراف البارون فون بيركهايم Von Berkheim . وسمح لهم القيصر بادارة شؤونهم ادارة ذاتية .

اما مملكة فورتمبرغ فقد رأت في هجرة مواطنيها خطرا يتهددها، لذلك لجأت الى مختلف الوسائل للحيلولة دون هجرتهم . وتقدم النائب العام في المملكة باقتراح على حكومته ينص على السماح لهؤلاء المتدينين بتشكيل جمعيات خاصة بهم، تتمتع بشيء من الاستقلال الذاتي . قبلت حكومة فورتمبرغ هذا الاقتراح، وتشكلت اول جمعية دينية في فورتمبرغ على يد

غوتليب هوفمان G. M. Hoffmann ، رئيس بلدية ليونبرغ Leonberg في تشرين الأول عام ١٨١٨ . وفي صيف عام ١٨١٩ بدأ أعضاء الجمعية الجديدة بالاستيطان في قرية من أملاك الفارس كورنتال Kornthal ، قرب مدينة شتوتجارت Stuttgart ، وبنوا منازل لهم عليها مع دار للاجتماعات العامة (١٠) .

في كورنتال ترعرع ابنا غوتليب هوفمان : فيلهلم (الأكبر) وكريستوف ، وتربيا تربية دينية ؛ فحصل الاول على منصب ديني رفيع في بلاط ملك بروسيا، وهو منصب تسييس البلاط Hof prediger ، بينما ورث الثاني، الذي يصغره بتسع سنوات ، اياه في رئاسة الجمعية الدينية (١١) . درس كريستوف الفلسفة والتاريخ في جامعة توبنجن . Tuebingen . واشتغل في التعليم . ولما اشتد ساعد الحركة العلمانية المناهضة للمسيحية في المانيا في الأربعينات من القرن التاسع عشر ، برزت هذه الجمعية الدينية للدفاع عن المسيحية، معتبرة المبادئ المسيحية الاسس التي ينبغي ان يقوم عليها الاصلاح الاجتماعي في المانيا . وتولى كريستوف مهمة الدفاع عن هذا الاتجاه الديني . واصر في ايار عام ١٨٤٥ ، بالتعاون مع صديقه عمانويل باولوس Immanuel Paulus ، الصحيفة الاسبوعية Die Sueddeutsche Warte للتعبير عن هذا الاتجاه المسيحي الاصلاح (١٢) .

وجاءت أحداث عام ١٨٤٨ الثورية في المانيا، فأدخلت الرعب في قلب كريستوف هوفمان . وتأكد له من أحداث ذلك العام الرهيبة ان « مسيحية الكنيسة مقتصرة على الوعظ الديني المجرد من الحياة ، ، وأنها قائمة على قوة العادة ، وعاجزة عن وقف التفكك والانحلال » . ووجد ان « المسيحية قد تخلت عن مهمتها الأساسية الروحية، وغاصت في احوال

الملاية، وتمسكت بالقشور الخارجية . ورشح نفسه في ذلك العام عن مدينة لودفيجزبورغ Ludwigsburg في الانتخابات العامة للبرلمان الاتحادي الألماني « البندستاغ Bundestag » الذي كان مقره مدينة فرانكفورت على الماين . وكان على مملكة فورتمبرغ أن تقدم ٢٨ نائبا عنها الى ذلك البرلمان . فاز هوفمان على خصمه مرشح الاوساط الليبرالية العلمانية ، فكان النائب الوحيد في البرلمان الاتحادي الألماني الذي يمثل حركة الانتقاء الالمان (١٣) .

وجد هوفمان في الاتجاهات الليبرالية والثورية التي لقيت من يعبر عنها ويمثلها في برلمان فرانكفورت ، دليلا على فشل الكنيسة الانجيلية في القيام برسالتها . فعاد الى منطقتة وبدأ الدعوة الى انشاء كنيسة حرة مسن الاوساط المتدينة الورعة وتأسيس جمعية انجيلية *Evangelische Verein* مستقلة عن الكنيسة الانجيلية الرسمية، وكان ساعده الايمن في دعوتة هذه جورج دافيد هارديج *Georg David Hardeg* ، الذي تعرف عليه عام ١٨٤٨ (١٤) ، وصديقه عمانويل باولوس .

واتخذت هذه الحركة الدينية اتجاها جديدا عام ١٨٥٢، مع اندلاع حرب القرم بين الدولة العثمانية وروسيا ، اذ سرى اعتقاد ندى الاوروبيين ان الدولة العثمانية على شفا الانهيار ، وان تفكُّها بات وشيكا . وجاءت الاضطرابات الدينية التي حدثت في القدس وغيرها من المدن الفلسطينية ، لتشد انظار المتدينين الالمان الى الارض المقدسة . وبرز كريستوف هوفمان يدعو الى سلخ فلسطين عن الدولة العثمانية، وجعلها موطنا لشعب الله *Das Volk Gottes* ، تنفيذا لوعود الانبياء الواردة في التوراة . وشعب الله هذا ليس الشعب اليهودي ، الذي لم يعد له وجود ، وانما هو الشعب المسيحي الانجيلي .

وفي ٢٤ آب عام ١٨٥٤ دعت لجنة أصدقاء القدس، التي تشكلت من أتباع هوفمان ، الى اجتماع عام يعقد في فالدهورن Waldhorn، قرب لودفيجزبورغ، من أجل بحث الوسائل اللازمة لتحقيق مشروع هوفمان . واقتراح هارديج في هذا الاجتماع التوجه الى البندستاغ، في فرانكفورت، والطلب منه أن يسعى لدى السلطان العثماني للسماح للألمان باستعمار فلسطين ، من أجل ايجاد عمل للعاطلين عن العمل في المانيا . وكان الشعار الذي طرحه هارديج في هذا الاجتماع « ينبغي ايجاد عمل للشعب الألماني » "die deutsche Nation muss Arbeit Haben." . ونفذ اقتراح هارديج، ووقع العريضة ٤٣٩ شخصا ، وحملها هوفمان وهارديج وقدمها الى البارون فون بروكش Von Brokesch ، رئيس البندستاغ . غير أننا لا نعلم شيئا عن استجابة البندستاغ لهذه العريضة أو رفضها (١٥) .

وتولت مجلة Sueddeutsche Warte، الناطقة باسم الجماعة الدعوة الى المشروع الجديد . واخذت في الوقت نفسه تشن هجوما على كنيسة فورتبيرغ الانجيلية الرسمية . وفي هذه الاثناء كتب فيلهلم هوفمان، من برلين، الى شقيقه ينصحه بالبقاء في حوزة الكنيسة الانجيلية، والابتعاد عن مغامرات هارديج . غير أن كريستوف لم يُعْرَ بالاً لهذه النصيحة ، وكتب مشروع دستور للجمعية الجديدة سماه « مشروع دستور شعب الله Verfassungsentwurf des Volkes Gottes » . فتشكلت الجمعية في عام ١٨٥٤ تحت اسم "جمعية تجميع شعب الله في القدس Gesellschaft fuer Sammlung des Volkes Gottes in Jerusalem" ،

وجعلت هدفها السعي لجمع شعب الله في القدس لبناء مملكة الرب . وراى قادة الجمعية انهم بحاجة الى مزيد من الاعداد على ارض الوطن، لجمع اكبر عدد ممكن من الالمان وغيرهم قبل الهجرة الى فلسطين . وقام هوفمان وهارديج برحلات عديدة في أوروبا ، وحضرا في خريف عام ١٨٥٤ مؤتمرا

دينيا في باريس، وعرضا عليه مشروعها، فلقي اهتماما من المؤتمرين .

وتبرعت بعض الأسر الثرية بالأموال لشراء الأراضي الواجب تجميع شعب الله عليها في المانيا قبل الانطلاق الى استعمار فلسطين . فتم شراء قطعة واسعة من الأرض في كيرشنهاردتيوف (Kirchenhardthof) ، قرب فينندن Winnenden تحت منبع نهر النيكر Necker ، عام ١٨٥٦ . وتمكن هوفمان وهارديج من جمع عدد كبير من الأنصار، أطلق عليهم اسم « أصدقاء القدس Jerusalem Freunde » ، بلغ عددهم حوالي عشرة آلاف شخص . وساهمت سنوات الجذب التي شهدتها مملكة فورتمبرغ ، خلال السنوات الأولى من تشكيل هذه الجمعية ، في كسب العديد من الأنصار الراغبين في الهجرة الى فلسطين (١٦) .

وانتهت حرب القرم عام ١٨٥٦ دون أن تسفر عن انهيار الدولة العثمانية، كما كان يتوقع هوفمان وأنصاره . وشنت الكنيسة الانجيلية الوطنية في فورتمبرغ ، بتشجيع ودعم من حكومتها ، حملة شديدة على أصدقاء القدس . فأخذت أعدادهم تقل تدريجيا (١٧) .

وفي صيف عام ١٨٥٨ قررت الجمعية ارسال وفد مؤلف من هوفمان وهارديج والمزارع بوبيك Bubeck الى فلسطين ، ايمانا منها بأن المسألة الشرقية لم تحلّ بمؤتمر باريس عام ١٨٥٦ ، وان لا بد من دراسة امكانية استعمار فلسطين . وصل الوفد الى فلسطين، والتقى بمطران القدس الانجليكاني صموئيل غوبات Samuel Gobat ، وبالمبشر الانجيلي شنيكر Schneller ، فشرحا للوفد اوضاع فلسطين، ولم يشجعاه على تنفيذ مشروعهم . وجمع الوفد معلومات جيدة عن البلاد من القنصلية البروسية في القدس . ولما عاد الوفد الى المانيا نشر هوفمان تقريرا عن الزيارة في مجلة Sueddeutsche Warte ، بيّن فيه المصاعب التي تعترض

الاستيطان في فلسطين ، ووضح ان لا بد من الاستعداد لذلك . ودامت فترة الاستعداد هذه عشر سنوات (١٨) .

دخل هوفمان وانصاره في اثناء ذلك في خلاف مع كنيسة نورتمبرغ الانجيلية، ادى الى طردهم منها في ٧ تشرين الاول عام ١٨٥٦ . واضطروا الى انشاء طائفة دينية خاصة بهم . فقدم هوفمان اقتراحا الى مجلس الجمعية بتسمية الطائفة « الهيكل الروحي Der geistliche Tempel » او « طريق الخلاص Der Weg Zur Rettung » . اما فكرة « الهيكل » وتسمية الجمعية به، فتعود الى القس المعداني جاكوب امان Jakob Amman ، الذي انشأ في برن Bern ، بسويسرا، جمعية بهذا الاسم عام ١٦٩٣، بهدف اعادة بناء هيكل الرب في القدس (١٩) . ولا صلة لهذه التسمية بجمعية « فرسان الهيكل » التي تشكلت في مطلع القرن الثاني عشر، واستمرت في نشاطها حتى نهاية احتلال الفرنجة لبلاد الشام في نهاية القرن الثالث عشر .

واشتدت حملة الكنيسة الانجيلية على الطائفة الجديدة، فنترق العديد من افرادها ؛ غير انها استطاعت ان تحافظ على بقاء بعضهم في حظيرتها وان تكسب الى صفوفها العديد من الاتباع خارج ألمانيا وبخاصة في اوساط المهاجرين الالمان في أمريكا الشمالية وجنوب روسيا .

واعيد تنظيم الجماعة في كيرشنهاردتهوف عام ١٨٦١ تحت اسم جماعة الهيكل الالمانية Deutscher Tempel ، من اجل تجديد حياة « شعب الله » الدينية والاجتماعية . وحتى تكسب الجمعية ولاء العناصر القومية الالمانية، رفعت شعارات قومية المانية . وجاء في احد بياناتها : « ان روح الشعب الالمانى ومزاياه ينبغي ان تكون الطابع المميز لهيكل القدس واستعمار فلسطين . . . ولا بد من السعي لدى سلطة المانية (او دولة المانية) لمتابعة

تحقيق هذا الهدف « . (٢٠)

واستمر قادة الجمعية يحضرون المؤتمرات الدينية التي كتبت تمعد في برلين ولندن وبيرو وجنيف ، ويتجولون في العواصم والمدن الأوروبية الكبرى يدعون الى تحقيق مشروعهم . فقد شارك هارديج في المؤتمر الذي عقد في جنيف عام ١٨٦٧، والذي كان ضيف الشرف فيه غاريبالدي Garibaldi ، بطل الحرية في ايطاليا . كما حضر حفل انشاء الصليب الأحمر على يد السويسري هنري دينان Henri Dunant ، الذي لهدى اهتمامه بشؤون الشرق العربي في فترة مبكرة . فقد اصدر كتابا في باريس بعنوان « تجديد الشرق La Rénovation de l'Orient » عام ١٨٦٥ . وقام دينان أثناء اقامته في باريس بانشاء جمعية العمل الدولي من اجل تجديد فلسطين Oeuvre Internationale de la Rénovation de la Palestine ، وتولى منصب سكرتيرها العام ؛ وتولى انشاء فروع لها في باريس . واقام هارديج صلات وثيقة مع دينان . وتولى الاخير توجيه نداءات الى فروع « الجمعية الدولية لتجديد فلسطين » من اجل هيمنة المسيحيين على فلسطين عن طريق الاستيطان السلمي .

وسعى دينان لدى السفير العثماني في باريس جمال باشا، ولدى الوزير المفوض الفرنسي في اسطنبول المسيو بوريه Bourrée ، من اجل حث الباب العالي على السماح للمستعمرين الالمان، من جمعية الهيكل، بشراء الارض في فلسطين والاستقرار فيها . وتحت ضغط دينان جاء الجواب من الباب العالي يطلب تحديد موقع الارض التي يريد المستعمرون الالمان شراءها . فاتصل دينان بهارديج، واقترح عليه ارسال مهندس مختص الى فلسطين من اجل اختيار الموقع المطلوب وتحديد مساحته . وكتب رسالة الى هارديج مؤرخة في ٢٤ كانون الثاني عام ١٨٦٨ يقول فيها : « من

المعروف جيدا أن ارسال مهندس من أوروبا أمر مكلف (١٠٠٠٠-١٥٠٠٠ فرنك) ، وهذا مبلغ أولى بجمعيتكم أن توفره لها . ولذلك تمنا بالاتصال بعدد من الأشخاص، وبخاصة بالوزير المفوض بورييه، ليسأل اذا كان بالإمكان ايجاد مهندس قدير وأمين، وبأجر قليل، في اسطنبول او في أي مكان آخر في الشرق . واتصلنا بدورنا بمحل لوفنتال Loewenthal في يانا لهذا الغرض . ولكننا لم نستطع ان نحصل على المهندس المطلوب . وربما كان من الأفضل لو أن جمعيتكم اختارت مهندسا من بين أعضائها، وكلفتها بالسفر الى فلسطين . . . » . وفشل دينان وهارديج في العثور على المهندس المطلوب . واخيرا قررت الهيئة الادارية لجمعية الهيكل، في اجتماع عقده في ٢٤ آذار ١٨٦٨ في كيرشنهارتهوف، أن يقوم هوفمان وهارديج بالسفر الى فلسطين في آب من العام نفسه، من اجل انشاء أول مركز، Tempel Post ، للجمعية على أرض فلسطين . وقد سّر دينان بهذا القرار، وكتب الى هارديج في ٨ نيسان ١٨٦٨ يقول : « آمل ان نتمكن من احراز بعض التقدم في عملنا في هذا الصيف . وكلما طال الزمن زاد اقتناعي بذلك . يمكنك الاعتماد علي ، انني مؤمن بمستقبل فلسطين . . . وسيكون لجمعيتكم الشرف الكبير في انشاء أول مستعمرة على الارض المقدسة . . . » (٢١)

وفي ٦ آب ١٨٦٨ سافر زعيما جمعية الهيكل، هوفمان وهارديج، من كيرشنهارتهوف مع أسرتيهما الى فلسطين . ومَرّا بفيينا حيث قابلا البارون فون أورزي Von Orsi من وزارة الخارجية النمساوية، فوعدهما بأن يقدم ممثلو الحكومة النمساوية الدبلوماسيون النصائح والمساعدات الضرورية لهما . كما مرا ببودابست، وقابلا فرانز دياك Franz Deák ، صاحب فكرة الاتحاد النمساوي - الهنغاري . واخيرا وصلا الى اسطنبول، حيث رحّب بهما الوزير المفوض لرابطة دول شمال ألمانيا

der Norddeutsche Bund الذي كان قد تلقى تعليمات من البلاط الملكي البروسي بتقديم التسهيلات اللازمة لهما ، نتيجة وساطة شقيق هومان ، القس في البلاط البروسي . وفي ١٥ ايلول ١٨٦٨ تقدّم هومان وهارديج بطلب الى الباب العالي للموافقة على شراء قطعة من الارض مساحتها ثلاثة اميال مربعة على جبل الكرمل في حيفا . وجاء اختيار موقع القطعة بنوصية من المفوضية الالمانية . واوضحا في طلبهما هذا ان الغرض من الاستقرار في فلسطين ديني محض وليس له اية ابعاد سياسية ، وان الاستيطان هناك سيقصر على أعضاء جمعية الهيكل، وسوف يتم بصورة تدريجية . كما ابانا أيضا دور الجمعية المقبل في تطوير الزراعة والصناعة في البلاد ، ولذلك طالبا باعفاء المستوطنين الالمان من الضرائب لمدة تتراوح بين خمس وسبع سنوات، حتى يتمكنوا من تدبير أمورهم . وابدوا رغبة المستوطنين في ادارة شؤونهم بأنفسهم، دون أي تدخل من السلطة الحاكمة .

واتصل هارديج بالوزراء المفوضين لدول النمسا وفرنسا وانكلترا والولايات المتحدة وروسيا وهولندا والسويد، وقال لهم : « ان ظروف شعبنا اقنعتنا بأن الوقت قد حان لبناء هيكل الرب في الارض المقدسة ؛ فأقوال الانبياء في المهددين القديم والجديد تعتبر بناء الهيكل الوسيلة الوحيدة لسعادة الشعوب والافراد على حد سواء » . ورغم النشاط الحثيث الذي بذله زعيما جمعية الهيكل طوال مدة اقامتهما في اسطنبول (٤٥ يوما) ، لم يحصلوا على الفرمان المطلوب . فغادرا العاصمة العثمانية في ٨ تشرين الاول ١٨٦٨ باتجاه بيروت، فوصلا اليها بعد اربعة عشر يوما . وقابلا هناك القنصل البروسي العام الدكتور فيبر **Dr. Weber** ، فقدم اليهما عددا من النصائح، ومنها ان لا يتنازلا عن الجنسية الالمانية، وان يرفضوا الجنسية العثمانية ، لكي يتمتعا بحماية القناصل الالمان . ومن بيروت سافرا الى حيفا فبلغاها في ٣٠ تشرين الاول عام ١٨٦٨ (٢٢) .

كان من الاسباب التي دفعت زعيمة جمعية الهيكل الى البسوء بمشروعها الاستيطاني في فلسطين ، صدور القانون العثماني للسادس عشر من حزيران عام ١٨٦٧، الذي اباح للرعايا الاجانب حق التملك في المدن والريف في كافة الولايات العثمانية . واصبح هذا القانون نافذ المفعول في حزيران ١٨٦٨ . لذلك اعتقد زعيما جمعية الهيكل ان الطريق امامهما قد فتح لشراء الارض في فلسطين والاستقرار عليها (٢٢) .

مستعمرة الهيكليين في حيفا

عند وصول هوفمان وهارديج الى حيفا، استقبلهما نائب القنصل البروسي في المدينة، الهرتسيفوس Ziphos ، وقدم لهما كل ما يحتاجان اليه من عون ومساعدة . وفي الايام الاولى من اقامتهما وصل رد الباب العالي على طلبهما، يؤكد استحالة السماح لهما بشراء الارض في حيفا الا اذا حصلوا على الجنسية العثمانية . ولكن هذا الرد لم يثنهما عن مشروعهما، فاجريا اتصالات بالبلاط البروسي، الذي اصدر تعليماته الى الوزير المفوض لرابطة دول شمال المانيا في اسطنبول بضرورة التوسط لدى الباب العالي، وتذكير المسؤولين العثمانيين بانهم سمحوا لرعايا دول اوروبية اخرى بشراء الارض دون التجنس بالجنسية العثمانية (٢٤) .

غير ان هوفمان وهارديج لم ينتظرا نتائج الاتصالات الدبلوماسية، وبتشجيع من تسيفوس قاما بشراء قطعة من الارض مساحتها عشرة هكتارات عن طريق الاحتيال على القانون العثماني ؛ اذ تم الشراء عن طريق وسيط يحمل الجنسية العثمانية، وقام بدوره بتأجيرها لهما لمدة طويلة. ولما احتج القاضي على عملية البيع، سويت القضية بتدخل نائب القنصل البروسي (٢٥) .

وبدا بناء اول مستعمرة المانية في فلسطين على قطعة الارض هذه، التي

كثفت تمتد من شاطئ البحر حتى سفح جبل الكرمل ، في ربيع عام ١٨٦٩ .
وُدِّسَّت المنازل الاثنا عشر التي بنيت على هذه الارض في آذار ١٨٧٠ من
قبل نائب القنصل البروسي تسيغوس ، واشتملت آنذاك على منازل للسكن،
وبناء لمدرسة، وآخر للصلاة . وقد وُضِعَ تصميم هذه المنازل والابنية مهندس
دنماركي جاء من بيروت، اسمه لويڤد Loyved . (٢٦) وعلى مدخل المستعمرة
نقشت العبارة التالية باللغة الالمانية « لتسنني يميني ان نسيتك يا قدس
Vergesse ich dein Jerusalem, So wurde meiner Rechten

” (1969) vergessen ، وحرص هوفمان وجماعته على بناء

المستعمرة على الطراز الالمانى، وفتح الشوارع الواسعة فيها، وتزيينها
بالاشجار والزهر والورود . كما اهتمت الهيئة الادارية للجمعية باختيار
افضل العناصر من اعضائها للهجرة الى فلسطين، من اجل اقامة مجتمع
متماسك مستقل عن المحيط العربي ؛ كما حرصت على اقامة صلات وثيقة
بالوطن الام ، وعلى الحفاظ على مستوى حياتهم كأوروبيين في حيفا (٢٧) .

ونمت هذه المستعمرة بقدوم مهاجرين جدد من كيرشنهاردت هسوف،
وبخاصة بعد ابرام اتفاقية بين مملكة بروسيا والدولة العثمانية في ٧ حزيران
١٨٦٩، نصت على السماح للالمان بالاقامة والاستقرار في فلسطين . فبلغ
عدد سكان المستعمرة في بداية عام ١٨٧٣ (٢٥٤) نسمة . وبلغ عدد
بيوتها (٣١) بيتا ، استعمل عشرون بيتا الى جانبها كعامل وورش للعمل .
وفي عام ١٩٠٢ بلغ عدد سكانها ٥١٧ نسمة ، وبلغ عدد منازلها ٩٢ منزلا،
والى جانبها ٩٥ ورشة عمل (٢٨) . وبلغ عدد سكانها عند اندلاع الحرب
العالمية الاولى (٧٥٠) نسمة (٢٩) . ونقص عدد سكانها بسبب الاحتلال
البريطاني لفلسطين ١٩١٧/١٩١٨، واعتقال العديد من الالمان، وتهجير
بعضهم قسرا الى المانيا في نهاية الحرب العالمية الاولى، والسنوات الاولى
التي تلت توقيع معاهدة الصلح بين المانيا والحلفاء عام ١٩١٩ (٣٠) .

اعتنى الالمان في السنوات العشر الاولى من استيطانهم في حيفا بزراعة الكرمة، وبناء معامل لانتاج النبيذ . غير أن مرضا أصاب الكرمة في الثمانينات من القرن التاسع عشر، فقاموا باقتلاعها . وكذلك أصيبت اشجار الحمضيات التي زرعوها بأمراض أدت الى اقتلاعها . عند ذلك انصب اهتمامهم على زراعة الزيتون، الذي كانوا يستخرجون منه صابونا من نوع جيد، كانوا يصدرونه لمانيا وأمريكا الشمالية .

واقاموا في المستعمرة طاحونة هوائية على الطراز الهولندي، كما أنشأوا مزرعة للالبان . وانصرفوا تدريجيا عن الزراعة، واتجهوا نحو التجارة والصناعة، حتى أصبحوا محور الحياة الاقتصادية في حيفا . وكانوا روادا في الصناعات والحرف اليدوية وتجارة الاستيراد والتصدير . وأدخلوا الى حيفا المكتبات الحديثة، والأمسيات الموسيقية، والنوادي المسرحية، والنشاط الرياضي ؛ فكانت مثلا يحتذى من قبل السلطات العثمانية في المدينة (٣١) .

مستعمرة يافسا :

في آذار عام ١٨٦٦ وفد الى هوفمان زائر من يافسا من أصدقائه الذين تعرف بهم في بازل ، هو المبشر الانجيلي زالميلر Saalmueller ، يرافقه الالمانى ميسلر Messler ، الذي اشترى المستعمرة الأمريكية في يافسا والمعروفة باسم « قرية آدامز Adams City » وجاء يعرضها على النهكيليين الالمان بسعر معقول . ومن المعروف أن هذه المستعمرة المؤلفة من تسعة عشر بيتا من الخشب، قد أنشأتها طائفة دينية أمريكية جاءت الى فلسطين لتشهد عودة المسيح الى الأرض، كما كانت تعتقد . ولكنها هجرت المستعمرة بعد أن تبين لاتباعها أن النبوة بعودة المسيح لم تتحقق ، وبعد أن فتكت بهم الأمراض (٣٢) .

لتي المرض الذي تقدم به ميسلر استجابة لدى الهيكلين، فاشترى
خمسة منازل منها بمبلغ (٦٥) ألف فرنك فرنسي اول الامر، ثم ما لبثوا ان
اشترى ثلاثة ارباعها في مطلع عام ١٨٧١ ، وبعد ذلك بعامين اصبحت
المستعمرة باكملها ملكا لهم (٣٣) .

وفي ايار ١٨٦٩ انتقل هوفمان من حيفا الى المستعمرة الجديدة، واوكل
ادارة مستعمرة حيفا الى رفيقه هارديج . وباشرف فور وصوله بينا
مستشفى صغير ودار للضيافة Gasthaus .

وحدث ان قام ولي عهد بروسيا، الامير فريدريش Friedrich ،
بالحج الى القدس في ذلك العام ، بعد ان حضر الاحتفالات بفتح قناة
السويس ، فنزل في يافا في ٢ تشرين الثاني عام ١٨٦٩ ، وزار المستعمرة
الالمانية الجديدة . وكتب هوفمان عن هذه الزيارة في مجلة الجمعية،
Sueddeutsche Warte في عددها الصادر في ١٥ تشرين الثاني ١٨٦٩ ،
يقول : « لقد استقبلناه (ولي عهد بروسيا) على مدخل المستعمرة ، فنزل
عن جواده وتحدث الى العديد منا بروح ودية ، ثم تجول في المستعمرة ،
وزار منزل رئيس الجمعية . واتجه بعد ذلك الى دار الضيافة، حيث تناول
مع حاشيته طعام الفطور . وودعناه بعد ذلك ، فركب جواده، يرافقه
جنود البحرية (الالمان) ، والباشا (العثماني) ، والجنود الاتراك نحو
الرملة . . » . هذا وقد تبرع الامير البروسي ببعض المال للجمعية (٣٤) .
وبلغت مساحة مستعمرة يافا هذه ستين هكتارا .

مستعمرة سارونا Sarona

توسع المستوطنون الهيكليون في يافا في نشاطهم ، واشترى في عام
١٨٧١ قطعة من الارض على طريق يافا - تل ابيب مساحتها ٧٨ هكتارا،
(بسعر الهكتار الواحد مئة غولد Guld) . وبدأ بناء المنازل على قطعة

الأرض هذه في ٢٧ آب ١٨٧١، فكانت المستعمرة الألمانية الثالثة في البلاد .
وتولى تصميم الابنية والتخطيط للمستعمرة المهندس الألماني ثيودور زاندل
Theodor Sandel ، ابن طبيب المستعمرة الهيكلية في يافا الدكتور زاندل
وقد انتقل الى المستعمرة نائب القنصل الألماني في يافا، مراد أفندي (أرمني
الأصل) .

انتشرت الحمى بين سكان المستعمرة في عام ١٨٧٢ ، وفتكت بشمانية
وعشرين شخصا من مجموع سكان المستعمرة، البالغ حوالي مئة نسمة (٣٥) .
اشتهرت مستعمرة سارونا بزراعة الزهور والكرمة وتربية الأبقار،
كما وجد فيها معمل لانتاج النبيذ .

وفيما يلي بيان بتطور هذه المستعمرة بين عامي ١٨٧٢ و ١٩٢٦ :

معدل

المساحة للفرد

السنة	عدد السكان	المساحة بالهكتار	الواحد بالهكتار
١٨٧٢	٦٣	٧٨	١٫٢
١٨٨٠	١٦٢	٢٢٣	١٫٤
١٨٩٨	٢٦٣	٤٦٩	١٫٧
١٩١٤	٢٠٠	٤٧٤	٢٫٤
١٩٢٦	٢٢٥	٤٩٢	٢٫٢ (٣٦)

مستعمرة ريفايم Rephaim

اشترى الهر فرانك Frank ، أحد أعضاء جمعية الهيكل في مستعمرة
يافا، قطعة من الأرض في رفايم، شمال غربي محطة سكة حديد القدس،
خارج حدود البلدية ، في نيسان عام ١٨٧٢، وبنى عليها منزلا وطاحونة تعمل

بالماء . واخذ اعضاء الجمعية يتوافدون اليه ويشترون الارض المجاورة .
واعتنى سكان المستعمرة الجديدة باصلاح العربات التي تجرها الخيول .
فمنذ عام ١٨٦٧ فتحت طريق للعربات بين يافا والقدس ، وكانت بذلك
اول طريق للعربات في فلسطين . واهتم الالمان بالنقل بين يافا والقدس ،
وأصبح منتظما بعد بضع سنوات من انشاء المستعمرة الجديدة (٣٧) .

أصبحت مستعمرة ريفاييم منذ عام ١٨٧٨ المقر العام لادارة جمعية
الهيكل ؟ وبلغت مساحتها ٢٥ هكتارا . وكان معظم سكانها يشتغلون
بالحرف اليدوية والتجارة والصناعة ، واشتملت على مدرسة ثانوية
كاملة وروضة للأطفال (٣٨) .

مستعمرة فالهالا Walhala

أنشأها المستعمرون الالمان في يافا عام ١٨٩٢ على طريق يافا -
تل أبيب . واقيم في هذه المستعمرة مستشفى لمعالجة الالمان المقيمين في
المستعمرات الالمانية في جنوب فلسطين (يافا ، سارونا ، فيلهلما) . وكان
سكانها يمارسون التجارة والصناعة والحرف اليدوية ، ويعملون في وكالات
التأمين والنقل البحري . وانشىء في المستعمرة معمل للاسمنت . وبنيت
(فندق القدس) في يافا الذي كان من أجمل فنادق المدينة (٣٩) .

مستعمرة فيلهلما Wilhelma

انشئت على يد المستوطنين الالمان في مستعمرتي يافا وسارونا عام
١٩٠٢ ، على بعد خمسة أميال الى الشمال الشرقي من اللد في وسط
سهل خصيب ، بالقرب من سكة حديد اللد - حيفا . بلغ عدد سكان
المستعمرة في العام الاول من انشائها ٩٤ نسمة . وفيما يلي بيان بتطور هذه

المستعمرة بين عامي ١٩٠٣ و ١٩٢٦ :

السنة	عدد السكان	المساحة بالهكتار	المساحة للفرد	معدل
١٩٠٣	٩٤	٨٢٤	٨٨	
١٩١٤	١٩٥	٩١٩	٤٦	
١٩٢٦	٢١٥	٩٥٩	٤٠	(٤٠)

مستعمرة نويهاردهوف Neuhardhof

انشأها المستعمرون الالمان في حيفا من أجل الحصول على مزيد من الارض، خارج نطاق المستعمرة الهيكلية الاولى في البلاد . وتقع المستعمرة الجديدة على بعد اربعة اميال الى الجنوب من جبل الكرمل . وبلغت مساحتها اربعمئة هكتار . وقد استُغلت ارض المستعمرة لزراعة الخضروات والحبوب (٤١) .

مستعمرة بيت لحم في الجليل Bethlehem

انشأها المستوطنون الالمان في حيفا عام ١٩٠٦، بأموال من « جمعية شتوتجارت لتطوير الاستعمار الالمانى في فلسطين » على ارض قرية بيت لحم الواقعة على سفوح جبال الجليل، والتي تبعد بضعة اميال عن مدينة الناصرة . لها مساحتها فالف وسبعمائة هكتار ، زُرِع ثلثها بأشجار البلوط، والباقي بأشجار الكرمة والفواكه والحبوب . وفيما يلي بيان بنمو هذه

المستعمرة بين عامي ١٩٠٧ و ١٩٢٦ :

معدل			
المساحة للفرد	عدد السكان	المساحة بالهكتار	الواحد بالهكتار
١٩٠٧	١٠	٧١٨	٥٤٨
١٩١٤	٤١	٧١٨	١٣٣
١٩٢٦	٩٨	٧١٨	٤١ (٤١)

مستعمرة فالدهايم Waldheim

انشئت هذه المستعمرة عام ١٩٠٧ بالقرب من بير سالم على يد المسؤولين عن دار الايتام السورية Das Syrische Waisenhaus لتكون مركزا لتدريب خريجها واستغلالها لتمويل دار الايتام . ولذلك لا صلة لها بمستعمرات جمعية الهيكل .

مستعمرة شمه Chemeh

كانت تتبع بدورها دار الايتام السورية في القدس، ولم تختلف عن مستعمرة فالدهايم من حيث الأغراض التي انشئت من أجلها (٤٢) .

اشتملت كل مستعمرة من مستعمرات الهيكلين على قاعة للاجتماعات العامة، واخرى للمبادأة، ومدرسة، وروضة اطفال او اكثر، وجمعيات للموسيقى، وناد رياضي، ومستوصف صغير أحيانا . .

المصاعب الداخلية التي واجهها المستعمرون الالمان :

في السنوات الاولى للاستيطان واجه المستعمرون الهيكليون صعوبات

ومتاعب عديدة بعضها أمني وبعضها الآخر اقتصادي واجتماعي . لذلك اهتموا الامور الروحية، وفشلوا في كسب انصار حدد لحركتهم في فلسطين وفي ألمانيا . وبلغ مجموع من استقر منهم في فلسطين بين عامي ١٨٦٨ و ١٨٧٥ نحو سبعمئة وخمسين عضوا ، أي نحو ربع عدد اعضاء الجمعية . وبعد عام ١٨٧٥ اخذت جمعية الهيكل في الاضمحلال التدريجي في ألمانيا نفسها، وتوقفت منذ ذلك العام هجرتهم من ألمانيا ، ومات معظم الجيل الاول من هؤلاء المستعمرين في اواخر السبعينات والثمانينات من القرن التاسع عشر .

ادرك الجيل الجديد تعذر تحقيق الغاية من هجرتهم الى فلسطين، وهي جمع « شعب الله » في القدس واقامة ملكة المسيح . وتركز اهتمامهم على تحسين احوالهم، وتقديم نمط معين من المعيشة للسكان المحليين . وساهم هذا التغيير في اهداف الجمعية في جعل الحياة اسهل . كانت اول الصعوبات التي واجهها المستعمرون الهيكليون في فلسطين النزاع بين زعيمي الجمعية، كريستوف هوفمان وجورج هارديج ؛ وكان هوفمان المؤسس الروحي للجمعية ، وكان هارديج المنفذ لفكرة المستعمرات . اما اسباب الخلاف بينهما فشخصية، تدور حول كيفية تطوير الاستيطان الألماني ، وحول بعض الآراء الدينية .

فقد تولى كل منهما ادارة مستعمرة مستقلة عن الاخرى . وكانت مستعمرة حيفا من نصيب هارديج بينما كانت مستعمرة يافا من نصيب هوفمان . وكان هارديج قد اسرع الى شراء اراضي تابعة لمستعمرته دون التنسيق مع هوفمان . وعارض هارديج بشدة نقل المعهد الثانوي الى ريفاييم، قرب القدس . وحصل خلاف بين هارديج والهيئة الادارية لجمعية الهيكل في شئون تجارتها، حول اموال صندوق الاستعمار التابع للجمعية،

Kolonisations Kasse . ورفض هارديج أن يجيب عن كيفية صرفه لهذه الأموال، فاتهمته الهيئة الإدارية بالتبذير . وكان لسلكه المتصلب اثر في ابتعاد الهيكليين في فلسطين عنه ؛ فقد كان منقرا في تصرفاته . ولما أجريت الانتخابات لاختيار القيادة الجديدة للجمعية، عام ١٨٧٤، لم ينجح هارديج . فما كان منه الا أن أعلن انسحابه من الجمعية . وصدرت مجلة الجمعية " *Suddeutsche Warte* " في ١٧ تموز ١٨٧٤ بأخر مقال له بعنوان « وداعى لجمعية الهيكل *Mein Abschied von der Gesellschaft des Tempels* » . أكد فيه التزامه بببىادىء الجمعية رغم انفصاله عنها . وخرج مع هارديج عدد من أصدقائه، فشكوا « رابطة الهيكل، *Der Tempelverein* » . ومنذئذ تولى القيادة العليا للجمعية كريستوف هوفمان، الذي أصبح يتمتع بسلطات واسعة . فأعاد تنظيمها بحيث أصبح لها مجلس استشاري *Tempelrat*، مؤلف من ثلثة عضو . ووثقت الجمعية صلاتها بفروعها في ألمانيا وأمريكا الشمالية وجنوب روسيا، بأن أصبح لهذه الفروع ممثلون في مجلس الجمعية الاستشاري . وفي مطلع ايلول من عام ١٨٧٤ دعي ممثلون عن فروع الجمعية للمشاركة في عيدها الذي أقيم في حيفا . وبناء على قرار مجلس الجمعية أُعْتَبِرَ يوم التاسع من ايلول عيداً لها . وتم الاحتفال بهذا العيد الاول بحضور المندوبين المذكورين . ومنذئذ تكررت اللقاءات في هذا العيد الذي كان القصد من استحداثه الحفاظ على الولاء للجمعية (٤٣) .

وحدث انقسام جديد في صفوف جمعية الهيكل، سببه الخلاف بين هوفمان ودافيد شتراوس، *David Strauss* ، خليفة هارديج في ادارة مستعمرة حيفا ، حول اسرار الكنيسة المقدسة، وتعاليم الثالوث الاقدس، والوهية المسيح، وموت المسيح الابن . وكان تاثير هوفمان العقلاني على جماعته قويا جدا ، لذلك بقيت اكثرية اعضاء الجمعية تدين له بالولاء .

وانفصل عدد ضئيل من الأعضاء وأخذ يتقرب من الكنيسة الانجيلية .
واستفلت الكنيسة الانجيلية الانتقاسات في صفوف جمعية الهيكل ،
فاوفدت القس راينكه ، Reinecke ، من القدس منذ عام ١٨٧٩ الى
مستعمرات الهيكليين . وقام خليفته القس شلخت ، Schlicht ، بالمهمة
نفسها . وفي عام ١٨٩١ قررت « جمعية بيت المقدس »
Jerusalem Verein « (٤٤) الانجيلية ارسال معلم الى مستعمرة حيفا
ليقوم بتدريس أبناء الطائفة هناك ، المنشقين عن هوفمان . وبعد ذلك بعام
واحد بنيت مدرسة لهذه الغاية . وعندها قررت جمعية بيت المقدس ارسال
القس ديكرت ، Deckert ، الى حيفا . وبذلك اصبح للطائفة الانجيلية في
حيفا مدرستها وكنيستها . وبلغ عدد الأسر التي عادت الى حظيرة الكنيسة
الانجيلية من مستعمرة حيفا الهيكلية عشرين أسرة (٤٥) .

وكان للحرب العالمية الاولى آثار سلبية على المستعمرات الالمانية ،
اذ منيت بخسائر فادحة على الصعيد الاقتصادي . ومع ذلك بلغ عدد
المستوطنين الالمان في عام ١٩١٨ نحو الفى نسمة (٤٦) .

الحركة الثقافية في المستعمرات الهيكلية الالمانية في فلسطين :

سعى كريستوف هوفمان ، الزعيم الروحي لجمعية الهيكل ، منذ
وصوله الى فلسطين الى انشاء مؤسسة تعليمية تهيم التلاميذ من ابناء
اعضاء الجمعية الى الالتحاق بالتعليم الجامعي في المانيا . كتب هوفمان الى
رفيقه باولوس في ٢٨ ايار ١٨٧٠ يقول : « ان المدارس تشغل بالي ليل
نهار » . وكان هم هوفمان تنشئة اجيال جديدة مؤمنة بالرسالة التي كرس
نفسه لها . ولم تكن المدارس التي أنشأتها الجمعية في مستعمراتها السابقة
الذكر مجرد مدارس دينية ، وانما كانت تدرّس الرياضيات والعلوم الطبيعية
والعلوم الفنية والتاريخ والجغرافيا واللغات الحديثة (الالمانية والفرنسية

والعربية) . وكان التعليم الديني أساسيا في هذه المدارس .

ولعل أبرز إنتاج ثقافي للهيكلين في فلسطين هي مؤلفات زعيمهم كريستوف هومنان وجورج هارديج ؛ فقد تولى الأول رئاسة تحرير مجلة الجمعية، Sueddeutsche Warte ، التي كانت تصدر في شتوتجارت مدة طويلة من الزمن، وأصدر في عام ١٨٧٥ ، كتابا مهما هو « الغرب والشرق : تاريخ ثقافي من وجهة نظر جماعة الهيكل في فلسطين : Okzident und Orient : Eine Kulturgeschichte Betrachtung Vom Standpunkt der Tempelgemeinden in Palaestina, Stuttgart, Druck und Verlag J.F. Steinkopf, 1875.

ويتضمن هذا الكتاب المبادئ الأساسية لعقيدة الهيكلين بعد الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد) . وفيه ايضاحات جيدة لأفكار هومنان وتطلعاته . ويتضمن الفصل الأول منه عرضا لتطور جمعية الهيكل وفكرتها الاستعمارية ، ومدى صلتها بحركة الاتقياء القديمة ، وموقفها من المسائل الكنسية والعلمية والاجتماعية . ويؤكد هومنان في هذا الفصل ان الهدف الأول للجمعية السمي الى استعادة ما فقدته الكنيسة من هيمنة روحية على رعاياها، وثقة المتقنين والمؤمنين بها ، وتحقيق تعاليم الكتاب المقدس .

اما الفصل الثاني من الكتاب فيدور حول الشرق وحاجاته ، مؤكدا على ان على مستقبل الشرق يقوم التجديد الديني للانسانية . ويبين ان الواجب الديني ينبغي ان يحرك المسيحيين المؤمنين الى الهجرة الى فلسطين، التي لا يمكن مقارنتها بالهجرة الى أمريكا وأستراليا من وجهة نظر اقتصادية ، لان فلسطين بلد فقير جدا، لا تتوفر فيه المصادر الطبيعية الكافية .

ويتضمن الفصل الثالث من الكتاب موضوع « الغرب ومستقبله » ،
يتناول فيه هوفمان الوضع الدولي ، بصفته سياسيا ، منطلقا من المسألة
الدينية التي هي محور تفكيره . يقول في هذا الصدد أن الحزب الوطني الحر ،
Der Nationalliberden Partei ، في المملكة الألمانية (١٨٧٥) قد
اهل للنور القيادي للدين ، « لأن مجرى تاريخ العالم تحركه افكار روحية
عميقة » .

ويكرس الفصل الاخير منه للمسألة الشرقية ، ويرى استحالة حل
هذه المسألة بفن الدبلوماسية ، أو باللجوء الى القوة . أما الحل الذي يقترحه
فحملة صليبية سلمية تضمن الاستعمار المسيحي للشرق ، وتقديم صورة حية
حقيقية للشرقيين عن التدين والاخلاق المقرونين بالعمل ، وبخاصة بعد ان
اتضح ان التبشير المسيحي بين المسلمين لم ينل احترامهم واهتمامهم .
أما الكتاب الثاني لهوفمان فيتضمن ثلاث رسائل مفتوحة ،
Sendschreiben ، نشرها خلال ١٨٧٧/١٨٧٨ . وقد اصدرتها مجلة
الجمعية في كتاب واحد في شتوتجارت عام ١٨٧٨ بعنوان : « رسائل مفتوحة
عن الهيكل ، والاسرار المقدسة ، وعقيدة الثالوث ، والوهية المسيح ، وابوة
الله للنشر .

Sendschreiben Ueber den Tempel und die Sakramente, das
Dogma Ueber die Dreieinigkeit und von der Gottheit Christi,
Sowie Ueber die Versoehnung der Menschen mit Gott,
Stuttgart, Warte des Tempels, 1878. »

تناول هوفمان في هذه الرسائل عقائد الكنيسة بشأن الثالوث الاقدس ،
وما قبل وجود المسيح ، وموت المسيح وعودته . وقد احدثت الآراء التي
نشرها انقساماً في صفوف جماعته . وأنشأت مجموعة منها في يانا جمعية
اطلقت عليها اسم « مؤسسة الهيكل » Tempelstift « تولت ادارة

المدرسة والمستشفى في مستعمرة يانا .

ونشر هوفمان مقالات عديدة ونشرات كثيرة حول الدراسات التوراتية،
والدروس الدينية للشباب . وتمكن من انجاز كتابة مذكراته التي نشرت
بعنوان « طريقي الى القدس » ، Mein Weg nach Jerusalem .
ونشر الجزء الاول منها في القدس عام ١٨٨١ بعنوان « ذكريات من شبابي »
Erinnerungen aus meiner Jugend ، ونشر الجزء الثاني منها
في القدس ايضا عام ١٨٨٤ بعنوان « ذكريات سنن الرشيد »
Erinnerungen des Mannesalters .

ومن الجدير بالذكر ان هوفمان اصدر كتابا آخر في بداية اقامته
في فلسطين بعنوان « اشعار وَاغان » Gedicte und Lieder ، صدر
في شتوتجارت عام ١٨٦٩ .

اضطر هوفمان بسبب المرض الى العودة الى المانيا عام ١٨٨١، فتخلى
عن رئاسة جمعية الهيكل وتوني في ٨ كانون الاول ١٨٨٥ (٤٧) .

اما جورج دافيد هارديج، رفيق هوفمان والزعيم الثاني لجمعية الهيكل،
فقد شارك في تحرير مجلة الجمعية « Sueddeutsche Warte » منذ ان
تعرف بهوفمان عام ١٨٤٨ . واصدر كتابين قبل الهجرة الى فلسطين هما:
« الانجيل السرمدى » Das Ewige « Evangelium » و « وسائل لحل
المسألة الاجتماعية » Mitteln Zur Loesung der Sozialen ، صدرت
في شتوتجارت عن دار كارل شولر عام ١٨٦٦، Frage, Verlag Von Carl
Scholer ، كما اصدر آخر مؤلفاته عام ١٨٧٧ بعنوان: « المسألة

التركية

Die Tuerkische Frage Oder die sechste Zornschaale von einem
Laien, Stuttgart, bei Messler Buchdrucker, 1877."

وتوفي هارديج في ١١ تموز ١٨٧٩ في حيفا (٤٨) .

المستعمرات الألمانية في فلسطين والعلاقات الألمانية — العثمانية

ينبغي علينا، عند معالجتنا لموقف ألمانيا من المستعمرات الهيكلية في فلسطين، التمييز بين موقفين : موقف الحكومة الألمانية القيصرية، وموقف الرأي العام الألماني .

ففي ظل المنافسة القائمة بين الدول الأوروبية الكبرى على الشرق العربي، كان من المفروض أن تستغلّ الحكومة الألمانية وجود طائفة من مواطنيها في فلسطين لصالحها . غير أن دراستنا للوثائق الموجودة في الأرشيف السياسي لوزارة الخارجية الألمانية أفضت الى عكس هذا الافتراض ؛ فقد اتصف الموقف الرسمي الألماني من هذه المستعمرات بالتحفظ، لاعتقاد المسؤولين الألمان أن النفوذ الذي يمكن لألمانيا أن تحققه من خلال دعمها لهذه المستعمرات، لا يساوي المصاعب التي قد تواجهها في علاقاتها مع الدولة العثمانية .

غير أن وزارة الخارجية الألمانية كانت عاجزة عن التصرف، انطلاقاً من الاعتبارات السياسية الصرفة ؛ إذ تدخلت عدة عوامل أدت الى تصرفها ، في كثير من الأحيان ، بصورة مناقضة لما اعتبرته مناسبا في العلاقات الألمانية — العثمانية . ومن أهم هذه العوامل التي أكرهت برلين على تقديم المعون للمستعمرين الألمان في فلسطين، الرأي العام الألماني، والبلاط القيصري، ووزارة خارجية مملكة نورمبرغ، والبحرية الألمانية .

كان الرأي العام الألماني أكثر هذه العوامل فاعلية ؛ فقد كان المستعمرون الألمان في فلسطين ينشرون تقارير في الصحف الألمانية بصورة

بمقطعة أحيائه، ومنتظمة أحيانا أخرى عن نشاطاتهم . وكثيرا ما كانت هذه التقارير الصحفية تؤكد عداة السكان العرب والإدارة العثمانية لهم . وكانت الأوساط القومية الألمانية تتجاهل في البداية المبالغة الواردة في هذه التقارير ، غير أنها غضبت لتجاهل حكومة برلين للمعاملة القاسية التي زعم المستعمرون أنهم يعاملون بها من طرف السلطة العثمانية . والواقع أن اهتمام أوروبا المتزايد بالأحداث الجارية في فلسطين منذ منتصف القرن التاسع عشر، صاحبه زيادة في كمية المعلومات المنشورة في الصحف المحلية عن تلك الأحداث . وقد استغل قادة جمعية الهيكل هذا الوضع أحسن استغلال ، إذ كانوا خبراء في هذا الميدان الإعلامي .

أما البلاط الملكي ووزارة الخارجية في مملكة فورتمبرغ فقد كانتا معاديين ، من حيث المبدأ ، لنشاطات جمعية الهيكل ، وذلك لاعتبارات دينية محضة . غير أن هذا الموقف الديني اتجه إلى الاعتدال بعد انقشاص الليبرالية في أوروبا بوجه عام وفي ألمانيا بوجه خاص ؛ وخفّ ، مع الزمن ، هجوم الهيكلين في مجلتهم *Sueddeutsche Warte* على الكنيسة الانجيلية والسلطة السياسية في فورتمبرغ (٤٩) . وأخذ العديد من أعضاء جمعية الهيكل يعودون إلى حظيرة الكنيسة الانجيلية، حتى بلغ عدد هؤلاء عام ١٨٧٤ نحو ثلث أعضائها . وبدلاً من التطرف الديني ، نما شعور جديد في مملكة فورتمبرغ بأن على الوطن الأم واجب حماية ابنائه في ديار الهجرة ، وهم يتعرضون لإهمال البروسيين . ولم تعد حكومة شتوتجارت تقتنع بالاعتبارات التي اعتمدت عليها وزارة الخارجية في برلين في تعاملها مع المستعمرين الألمان في فلسطين .

وكانت القوات البحرية الألمانية المرتبطة مباشرة بالقيصر، ذات نفوذ واسع ، وتلقى باستمرار تقارير من ضباط البوارج الحربية التي كانت

تتردد على الموانئ الفلسطينية . ولعل اهتمام القيصر فيلهلم الثاني بالبحرية زاد من أهمية هذه التقارير التي كان يقرأها القيصر نفسه، ويعلق عليها بخط يده . وكان معظم ضباط البحرية الالمان الذين يترددون على فلسطين يميل الى قبول وجهة نظر المستعمرين الالمان، القائلة بان برلين لم تبذل الجهد الكافي لحمايتهم (٥٠) .

وعندما طلب اصدقاء القدس ، Jerusalem Freunde ، من البندستاغ في فرانكفورت ان تتوسط النمسا وبروسيا ، العضوان في الاتحاد الالمانى ، لدى السلطان العثماني للسماح لهم بالاستيطان في فلسطين ، رفضت الدولتان هذا الطلب بصورة قطعية ، وذهبت النداءات الشخصية الموجهة الى مندوب بروسيا في الاتحاد ، ادراج الرياح (٥١) .

ولما سافر وفد جمعية الهيكل الى فلسطين عام ١٨٥٨ لدراسة امكانية الاستيطان فيها ، طلب من ملك بروسيا، فريدريش فيلهلم الرابع Friedrich Wilhelm IV ، الذي كانت تربطه بفلسطين صلات عاطفية دينية ، ان يزوده بعدد من الخبراء الرسميين . وليس هناك ما يدل على استجابة ملك بروسيا لهذا الطلب (٥٢) .

ولما قرر الهيكليون عام ١٨٦٨ البدء بالاستيطان في فلسطين، طلبوا من جديد المساعدة من ملك بروسيا . وكان فيلهلم هوفمان، شقيق رئيس جمعية الهيكل (كريستوف هوفمان)، يشغل آنذاك اعلى منصب كنسي في برلين General superintend ent ، وتسييس البلاط الملكي ، ولسه نفوذ كبير على ملك بروسيا . غير ان الملك طلب من وزارة الخارجية ان تتعرف على موقف حكومة نورتمبرغ من جمعية الهيكل قبل تقديم اي مساعدة لها . وجاء جواب وزير الخارجية في شتوتجارت في ١٦ ايلول ١٨٦٨ يقول ان آراء الجمعية ومواقفها المعادية من الكنيسة الانجيلية تجعلها

عنصرا غير مرغوب فيه . كما ان الظروف الصعبة في فلسطين سوف تنهي مشروعها بالفشل (٥٣) . غير ان نفوذ فيلهلم هوفمان تغلب على رأي وزارة الخارجية في شتوتجارت، وصدرت التعليمات الى الممثلين الدبلوماسيين البروسيين لدى الدولة العثمانية لتقديم العون للهيكليين . فبذلوا جهودا كبيرة لحماية الهيكليين في حيفا . ولكن الهيكليين لم يرضوا عن تردد بروسيا في دعمهم ، واصيبوا بخيبة امل كبيرة (٥٤) .

واذا استثنينا الدعم الذي قدمته برلين للهيكليين اثناء المفاوضات الاولى مع الباب العالي ، فان المستعمرات الالمانية في فلسطين لم تتمكن من اثارة اهتمام حكومتى برلين وشتوتجارت خلال الفترة الواقعة بين عامي ١٨٦٨ و ١٨٧٤ . اما على صعيد الرأي العام الالمانى فقد حظي مشروع الهيكليين منذ بدايته بتأييد الصحافة الوطنية : ففي نهاية عام ١٨٦٨ نشرت صحيفة *Augusburger Allgemeine Zeitung* مقالة للبروفسور زيب *Sepp* ، مؤرخ الكنيسة والسياسي الالمانى جاء فيها : « ان قيصر المانيا الكبير فريدريش بربروسا *Friedrich Barbarossa* قد قضى نحبه من اجل امتلاك الارض المقدسة ، وترك للألمان واجب استعادة السيطرة على فلسطين العزيزة على قلب كل مسيحي . ولا بد ان تجد المانيا في نهاية المطاف نصيبها من الاستعمار ، ومن اجل هذه الغاية ينبغي تشجيع هجرة الالمان الى فلسطين (٥٥) .

اما موقف السلطات العثمانية الذي كان معارضا لقيام المستعمرات الالمانية في فلسطين، فقد تغير منذ قيام الوحدة الالمانية عام ١٨٧١ . فوالي دمشق رشيد باشا ، الذي تعرف على نشاط الانجيليين الالمان في بسرابيا ، كان يعطف على الالمان، حتى انه وعد القنصل الالمانى العام في بيروت بمنح الهيكليين قطعة من الارض في حيفا هدية . وقام هارديج بزيارة الوالى

أثناء وجوده في بيروت، وعرض عليه خطة لاستغلال جبل الكرمل . فما كان من رشيد باشا الا أن أرسل سكرتيره الخاص ليعد تقريرا عن المنطقة المطلوبة في عام ١٨٧١ . وكانت خطة هارديج تقوم على انشاء مصحح على قمة الكرمل، وربطه بمسبح على شاطئ البحر . ورغم جهود القنصل الألماني فريدريش كيلر ، Friedrich Keller : ، في سبيل تحقيق هذا المشروع ، امتنعت الحكومة العثمانية عن اصدار فرمان باهداء جبل الكرمل للهيكلين (٥٦) .

وحدث تغيير في موقف وزارة الخارجية الألمانية من الهيكلين بعد عام ١٨٧٥ . وكان السبب في ذلك المظاهرات التي قام بها المسلمون في فلسطين في اثناء الحرب البلقانية في ذلك العام . اذ خشى القناصل الأجانب قيام تحرك اسلامي ضد الأجانب في فلسطين ، وعلى رأسهم المستعمرون الألمان (٥٧) . وبناء على طلب الهيكلين ، وافقت الحكومة الألمانية على ارسال بوارجها الحربية الى الموانئ الفلسطينية في مظاهرة عسكرية، القصد منها تطمين المستعمرين الألمان . وفي ٢ حزيران ١٨٧٧ اصدر وزير الخارجية الألماني فون بيلوف، Von Buelow، تعليماته الى السفير الألماني في اسطنبول بالخطوة الاستثنائية التي اتخذتها الحكومة الألمانية . وجاء في هذه التعليمات : « وافق القيصر على طلب المستشار بسمارك ارسال قواتنا البحرية الى الشرق ، آخذا بعين الاعتبار الوضع الراهن هناك . . ان الهدف الاول للاسطول ظهور العلم الألماني في الموانئ التركية من اجل حماية رعايانا هناك، ومن اجل التعبير عن اهتمام حكومة القيصر برعاياها في ضوء قلقهم الناشئ عن الحرب . . . وحماية ارواحهم وممتلكاتهم، بالتدخل الفعال اذا اقتضت الضرورة ذلك » (٥٨) .

واصدرت وزارة الخارجية في برلين سلسلة من التعليمات الى

سفرائها في أوروبا لاقتناع الدول الأوروبية بأنه ليست وراء ارسال الاسطول الالماني الى الموانئ العثمانية اية دوافع سياسية ، وان السبب الوحيد هو الدفاع عن الرعايا الالمان في الشرق (٥٩) .

اما على الصعيد المحلي في فلسطين، فقد شمر المستعمرون الالمان في شباط ١٨٧٧ ، بينما كان مئات الشباب من المسلمين يتجهون الى يافا وحيثما للسفر الى سالونيك للمشاركة في القتال، انهم قد يتعرضون للأذى. وقام وكيل ضابط سابق الماني بتدريب الشباب الالمان على التمارين العسكرية في مستعمرة سارونا. وطلب هوفمان من القيصر حماية المواطنين الالمان من اي اعتداء محتمل من جانب المسلمين . وفي يوم عيد الفصح من عام ١٨٧٧ ارسي الطراد الالماني غاتسيله ، Gazelle ، في ميناء يافا . وكان عليه اربعة جندى وثمانية عشر مدفعا . وكان يقود الطراد الامير فون هاكه ، Graf Von Hacke ؛ وجاء هوفمان وممثلون عن الهيكلين الى ميناء يافا لتقديم شكرهم لقائد الطراد لحماية الحكومة الالمانية لمواطنيها . ولما رد قائد الطراد على زيارة هوفمان ورفاقه بزيارة مستعمرة سارونا ، اقام المستعمرون الالمان الاحتفالات الضخمة بهذه المناسبة . وحدث شيء مماثل لذلك عندما زار الطراد نفسه ميناء حيفا في الفترة نفسها . وفي صيف العام نفسه قامت اربع بوارج حربية المانية بزيارة الساحل السوري والفلسطيني (٦٠) .

وبدأت بعد هذه المظاهرة العسكرية مرحلة من العلاقات الودية بين الهيكلين والحكومة الالمانية، واستجابت الحكومة الالمانية لطلب الهيكلين بدعم مدارسهم في فلسطين، فقدمت وزارة الخارجية الالمانية مبلغ ٣٧٥٠ ماركا منحة سنوية لهذه المدارس . وكان هذا المبلغ يعادل ربع الموازنة السنوية لتلك المدارس . ومن الجدير بالذكر ان هذه المنحة هي المعونة

المالية الرسمية الوحيدة التي قدمتها الحكومة الألمانية للهيكلين منذ بداية مشروعهم الاستعماري في فلسطين عام ١٨٦٨ وحتى عام ١٩١٨ .

وفي عام ١٨٨٠ سمى الهيكلين الى اعتراف الحكومة العثمانية بالتنظيم الاداري المستقل لمستعمراتهم . وايدهم في هذا المسمى القنصل الألماني العام في القدس مينشهاوزن ، Muenchhausen ؛ غير ان مساهم بء بالفشل . كما فشلت محاولتهم لدفع وزارة الخارجية الألمانية الى للتوسط لدى الحكومة العثمانية لتوسيع حقوق الأجانب المقيمين في الولايات العثمانية (٦١) . وحدثت أزمة عنيفة بين الهيكلين والحكومة الألمانية سببها الخدمة العسكرية في ألمانيا ؛ ذلك أن عددا قليلا من المستعمرين الألمان قد أتم الخدمة العسكرية الاجبارية في ألمانيا قبل الهجرة الى فلسطين ؛ وكان هؤلاء يتمتعون بالجنسية الألمانية وفقا للقانون الألماني . اما الذين كانوا دون سن السابعة عشرة عندما غادروا ألمانيا، ولم يعودوا اليها للقيام بالخدمة العسكرية، فقد كان من الصعب منحهم حقوق المواطنة الألمانية . ومن المعروف أن العديد من الألمان وغيرهم قد دخل في حماية القنصليات الألمانية في فلسطين، إما بصفتهم مواطنين يتمتعون بحق المواطنة الألمانية ، Reichsangehoerige ، وإما بصفتهم رعايا تحت الحماية ، Schutzgenossen . وفي عام ١٨٨٠ أصدر المستشار الألماني بسمارك تعليمات الى القناصل الألمان في الدولة العثمانية يطلب فيها رفع الحماية عن من يقض الخدمة العسكرية في الجيش الألماني .

ودخلت الأزمة مرحلتها الحرجة اثر وصول خليفة القنصل مينشهاوزن، الدكتور رايتس ، Reitz ، الى القدس عام ١٨٨١ ؛ فقد بدأ يدعس الهيكلين الى مكتبه واحدا بعد الآخر، ويتهمهم بان القصد من مشروعهم الاستعماري في فلسطين هو التهريب من الخدمة العسكرية في الجيش

الالمانى . ولما حاول رايتس ان يرفع الحماية عن بعض الهيكليين، ثار غضب هوفمان زعيمهم ، وبعث باحتجاج شديد اللهجة الى المستشار الالمانى . وقال في رسالته الاحتجاجية هذه : اذا كان رايتس يتصرف بناء على تعليمات من وزارة الخارجية، فان الهيكليين سوف يبحثون عن دولة اخرى للدخول في حمايتها ، وربما اضطروا الى الانتقال الى بلد آخر . ورجا هوفمان المستشار الالمانى ان يعتبر العمل في المستعمرات الالمانية نسي فلسطين، ولعشرين سنة قادمة، كخدمة عسكرية . وطلب تعديل قانون الخدمة العسكرية الالمانى، بحيث يأخذ بعين الاعتبار وضع الهيكليين في فلسطين . فاذا تعذر ذلك طلب هوفمان ابقاء الوضع كما هو عليه حتى عام ١٨٨٤، ليتمكن الهيكليون من ايجاد حل آخر (٦٢) .

وجاء رد المستشار الالمانى ليؤكد ان تصرفات رايتس مبنية على تعليمات تلقاها من وزارة الخارجية الالمانية ، وانه من المتعذر استثناء الهيكليين في قانون الخدمة العسكرية . ولكنه اعترف بحقهم في التمتع بالحماية القنصلية الالمانية ، شريطة ان يطبق عليهم قانون الخدمة العسكرية اعتبارا من عام ١٨٨١ (٦٣) . ومنذئذ شرع الهيكليون يرسلون ابناءهم الى المانيا للقيام بالخدمة العسكرية هناك، ومدتها ثلاث سنوات (٦٤) .

وحدث تغير مهم في السياسة الالمانية نحو الدولة العثمانية في الثمانينات من القرن التاسع عشر ؛ ففي عام ١٨٨٠ لبي المستشار الالمانى بسمارك طلب السلطان العثماني بتزويد بلاده بالخبراء الماليين والعسكريين .

وبدأت المانيا منذئذ الغزو الاقتصادي، *Penetration Pacifique* ، للدولة العثمانية . واصبح دعم الدولة العثمانية وتقويتها ، على امل ان تكون في يوم ما حليفة لالمانيا ، هدفا مهما من اهداف السياسة الخارجية الالمانية . واستقدمت الدولة العثمانية العديد من الخبراء العسكريين

والاداريين الالمان . واخذ الشباب العثماني يتردد على المعاهد العسكرية والعلمية الالمانية . وبدأ بنك فلسطين الالمانى Deutsche Palaestina Bank نشاطه في القدس، ثم فتح فرعاً له في يافا وآخر في حيفا . واخذت البواخر الالمانية تتردد بانتظام على الموانئ العثمانية . وتأسست في عام ١٨٨٩ شركة بواخر الشرق الالمانية ، die Deutsche Levante-Linie وبدأت رحلاتها بأربع باخرة، ثم ما لبثت أن زادت عدد بواخرها السبعين في مطلع القرن العشرين (٦٥) . وفي عام ١٨٨٨ حصلت شركة المانية على امتياز مد سكة حديد الاناضول (٦٦) .

وفي العام نفسه اعتلى عرش المانيا القيصر فيلهلم الثاني . وبعد عام من ذلك قرر أن تكون أول زيارة له خارج المانيا الى السلطان العثماني . وقد اعجب القيصر بآراء السفير الالمانى في اسطنبول، البارون هاتسفيلد Baron Hatzfeld ، (١٨٧٩ - ١٨٨١) بشأن التعاون الالمانى - العثماني . فقد رأى هاتسفيلد أن فرنسا تتمتع بوضع متفوق في الدولة العثمانية حتى حملة نابليون على مصر عام ١٧٩٨ ، وأن انجلترا، التي حاولت الحلول محل فرنسا، قد اثارت شكوك الاتراك بها بعد أن ضمت قبرص اليها عام ١٨٧٨، واحتلت مصر عام ١٨٨٢ . وينتهي السفير الالمانى السابق الى القول إن فراغاً قد وجد نتيجة لذلك، ولا بد لقوة اوروبية من ملئه ، وإن المانيا هي الدولة المؤهلة لملء هذا الفراغ (٦٧) .

في نطاق الانفتاح العثماني على المانيا، ورغبة هذه الاخيرة في توسيع علاقاتها مع الدولة العثمانية، لم يكن للهيكلين الاثر ضئيل جداً في هذا المجال ؛ اذ حرصت برلين على ازالة مخاوف العثمانيين من تجسس الاجانب على اراضيهم ، كما ان فلسطين تقع خارج نطاق المصالح الالمانية التي تركزت على طول سكة حديد بغداد .

لقد دار جدل طويل في اوساط وزارة الخارجية الالمانية حول موقف الحكومة الالمانية من الاستيطان الالماني في الدولة العثمانية على ضوء التطورات الجديدة . ففي عام ١٨٩١ طلب خليفة بسمارك، المستشار كابريفى، Caprivi من وزارة الخارجية ابداء رأيها في اقتراح تقدم به السلطان العثماني الى القيصر فيلهلم الثاني، يتضمن انشاء مستعمرات المانيية على طول سكة حديد بغداد . وكانت اول مذكرة من وزارة الخارجية تناولت هذا الاقتراح قدمها الهر كيدرلين، Kiderlen من الدائرة السياسية في الوزارة . وقد بنى كيدرلين تحليله على تجربة الهيكليين في فلسطين . وجاء في مذكرته هذه :

« ان المستعمرات الالمانية في فلسطين لا تقدم لنا مثالا مشجعسا . فالمستعمرون يكسبون قوتهم بصعوبة ، ويتعرضون لعداء السكان المحليين والسلطات التركية . واذا كان المستعمرون المقترح توطينهم في آسيا الصغرى من الالمان، فسيواجه قناصلنا التذمر الدائم من السلطات المحلية، كما ستواجه سفارتنا تدخل الباب العالي المستمر . وهذا امر لا بد من اخذه في الحسبان . وقد يدمر علاقتنا الطيبة مع الاتراك بدلا من ان ينميها . والمستعمرات في فلسطين خير مثال على ذلك » (٦٨) .

وقدم مدير الدائرة الاستعمارية في وزارة الخارجية الهر كايـزر Kayser مذكرة مماثلة للمذكرة السابقة . يتبين لنا من هاتين المذكرتين ان وزارة الخارجية الالمانية كانت ترى في مستعمرات الهيكليين في فلسطين مثالا سيئا، وسببا دائما لتهديد العلاقات الالمانية — العثمانية بالتدهور . والواقع ان شكاوى الهيكليين اثارت غضب السلطات العثمانية ؛ كما ان وجود المستعمرات الالمانية في فلسطين اثار حفيظة الدول الاوروبية ضد المانيا . ولم تكن فلسطين، بامكانياتها المحدودة، البلد القادر على تلبية

احتياجات ألمانيا فلا هي مصدر مهم للمواد الأولية، ولا هي سوق واسعة قادرة على استيعاب منتجات ألمانيا . ولذلك لم يكن فيها ما يستحق اهتمام ألمانيا الحقيقي في هذه الفترة .

ولعل أبرز الأحداث السياسية التي شهدتها فلسطين في نهاية القرن التاسع عشر، زيارة القيصر الألماني فيلهلم الثاني، في تشرين الأول عام ١٨٩٨، وهي زيارته الثانية للشرق . وكان الغرض المعلن من هذه الزيارة الحج إلى الأماكن المقدسة : ففي ٢٥ تشرين الأول من ذلك العام، أرست ثلاث بواخر ألمانية تقلّ القيصر وحاشيته في ميناء حيفا . وفي صباح اليوم التالي تجمّع كاتبة أفراد المستعمرة الألمانية في حيفا في باحة القنصلية الألمانية من أجل تحية القيصر . وقام فريدريش لانج ، Friedrich Lange ، رئيس الجماعة الهيكلية في حيفا (ومؤرخ الجمعية)، بالتقاء كلمة في حضرة القيصر، شكره فيها على الدعم والمؤازرة التي يلقاها الهيكليون من القيصر، وبخاصة في ميدان التعليم . وأكد على ضرورة توثيق الصلات بين الهيكلين والوطن الأم . وردّ القيصر عليه بالاعراب عن سعادته إذ يرى في قلب الأرض المقدسة مستعمرة ألمانية لها علاقات وثيقة بالوطن الأم، وقال بأنهم سوف ينقل إلى ملك نورتمبرغ ما حققه مواطنوه من انجازات ؛ وأكد حمايته لكافة الألمان . كما التقى الدكتور شوماخر ، Dr. G. Schumacher ، ابن أحد قادة الجمعية، كلمة في حضرة القيصر أشار فيها إلى قيمة الأبحاث الطبية الألمانية عن فلسطين وأحوالها (٦٩) . وتجوّل القيصر في المستعمرة، ثم اتجه إلى يافا ومنها إلى القدس . وخلال سفره الذي استغرق يومين، زار القيصر مستعمرات يافا وسارونا وريفنايم، حيث استقبل اسمعيل حافلا (٧٠) .

وفي أثناء هذه الزيارة أصبحت فلسطين والمستوطنون الألمان فيها موضوع الساعة في ألمانيا . وتأسست في شتوتجارت في تشرين الأول ١٨٩٩

« جمعية تطوير الاستيطان الألماني في فلسطين » Gesellschaft Zur

« Foerderung der deutschen Ansiedlungen in Palaestina »

تحت رعاية البارون فون ايليريكسهـاوزن ، Freiherr Von

Ellerichshausen ، من أجل تزويد الجمعية بالتبرعات المالية لتوسيع

نشاطها وشراء المزيد من الأرض . وتولى ادارة الجمعية الامر فون اوراخ،

K. Von Urach ، بينما تولى رئاستها الفخرية النائب العام في المملكة

الدكتور فون روب ، Von Rupp ؛ وتمكنت هذه الجمعية من جمع مبلغ

ثلاثمئة ألف مارك،حوّلت الى جمعية الهيكل،فاشتريت به قطعة من الأرض

مساحتها ثمانية كيلومترات مربعة بالقرب من اللد،غير بعيد عن سكة حديد

يانا - القدس . وأنشأت عليها مستعمرة فيلهلما Wilhelma (٧١) .

وإذا كانت زيارة القيصر لفلسطين قد بعثت الحماس في نفوس سكان

مملكة فورتمبرغ،فانشأوا جمعية تطوير الاستيطان الألماني في فلسطين ،

فلم يتجاوز دعم القيصر للهيكلين اعجابه بمنجزاتهم،وتعاطفه معهم،ووعده

لهم بأن يسمي لدى السلطات العثمانية لتعاملهم المعاملة التي

يستحقونها (٧٢) . وإذا عدنا الى وثائق الارشيف السياسي لسوزارة

الخارجية الألمانية لمعرفة نتائج زيارة القيصر هذه ، لم نجد فيها ذكرا او

اشارة للمستعمرات الألمانية في فلسطين ، فقد لخص نتائج هذه الزيارة

القائم بالاعمال الألماني في اسطنبول في تقرير بعث به الى وزارة

الخارجية (٧٣) ، ووُزعت نسخ من هذا التقرير ، بناء على أوامر القيصر،

الى كافة السفارات الألمانية في العالم ؛ وقد ورد في هذا التقرير ان الدافع

الاول لزيارة فلسطين هو دافع ديني . ولم ترد فيه أية اشارة للمستعمرات

الألمانية فيها . والواقع أن زيارة القيصر لفلسطين لم تُحدِث أي تغيير في

السياسة الألمانية الرسمية نحو المستعمرات الهيكلية ؛ غير أن فلسطين

بقيت منذئذ موضوع اهتمام الرأي العام الألماني ؛ فقد اثار الوصف

الحماسي للمستعمرات موجة من التعاطف الشعبي، ساعدت المستعمرين على التغلب على المصاعب التي واجهوها، وبناء ثلاث مستعمرات جديدة . غير أن الأموال اللازمة لبناء هذه المستعمرات جُمعت من مواطني مملكة نورتمبرغ وحدها (٧٤) . وذهبت جهود جمعية تطوير الاستيطان الألماني في فلسطين من أجل الحصول على تعاون القيصر الألماني لشراء الاسهم في المؤسسة المالية التي انشأتها ، سدى . هذا وقد لقيت الجمعية المذكورة اهتماما خاصا في مملكة نورتمبرغ ، ففي عام ١٩١٠ طلب وزير خارجية المملكة من ممثلها في برلين ان يتوسط لدى وزارة الخارجية الاتحادية لتضغط على الدويتش بانك ، Deutsche Bank ، لمنح جمعية الهيكل قرضا مقداره مئة الف مارك، للحفاظ على الطابع الألماني لمستعمرة سارونا، وتطوير مستعمرتي فيلهلم وبيت لحم في الجليل . وبينما كانت المسامي جارية للحصول على القرض المطلوب، انفتحت حكومة برلين مبلغا يساوي عشرين ضعف هذا المبلغ على مؤسسة القيصرة أوغستا فكتوريسا، Kaiserin Auguste Victoria Stiftung في القدس التي انشئت تخليدا لزيارة زوجة القيصر للمدينة المقدسة (٧٥) .

ومع مَدُّ سكة حديد الحجاز بموqيام الفرنسيين بمد السكك الحديدية في فلسطين، ازداد قلق الهيكليين، وشعروا أن البلاد تكاد تقع تحت النفوذ الفرنسي . وفي صيف عام ١٩١٢ قام وفد من جمعية الهيكل في فلسطين، مؤلف من رئيسها كريستيان روهر ، Christian Rohrer ، وفوتليب شوماخر ، Gottlieb Schumacher ، بزيارة شتوتجارت وبرلين للسمي لدى حكومة نورتمبرغ وحكومة برلين الاتحادية لتجنّب وقوع فلسطين في منطقة النفوذ الفرنسي . وفي آب ١٩١٢، تقدّم الوفد مذكرة ألى مسون روزنبرغ ، Von Rosenberg ، مدير الدائرة الشرقية في وزارة الخارجية في برلين ؛ وسأل شوماخر المسؤول الألماني عن مصر المستعمرات

الالمانية في حالة قبول المانيا بوقوع فلسطين تحت الهيمنة الفرنسية .
وتضمنت مذكرة الوفد الهيكلي اعادة بدور المستعمرين الالمان في تطوير
فلسطين، ورفع سمعة المانيا . كما اقترحت ايجاد حلّ لمستقبل فلسطين
تقبل به الدول الكبرى ، وذلك بأسرع وقت ممكن، وقبل ان يفوت الاوان .
واقترح شوماخر في هذا الصدد وضع فلسطين (من الحدود المصرية الى
راس الناقورة شمالاً، وحتى سفوح جبل الشيخ شرقاً) تحت حكم أمير
أوروبي . ويترر اقتراحه هذا بأنه لا يتعارض والمصالح البريطانية
والروسية في المنطقة . واقترح بالمقابل منح فرنسا المنطقة الواقعة شمال
فلسطين، دون الاضرار بمصالح الدول الكبرى فيها (٧٦) .

وسعى الوفد لدى وزارة خارجية ملكة نورتمبرغ لقبول مقترحاته
السابقة الذكر ، فأيدتها، وطلبت من ممثلها في برلين ان يجسّ نبض وزارة
الخارجية الاتحادية . ف جاء الرد : ان سورية لا تقع في منطقة اهتمام المانيا،
لانها بعيدة عن سكة حديد بغداد (٧٧) . وهكذا خابت آمال الوفد الهيكلي
من موقف حكومة برلين ، وعاد الى فلسطين خالي الوفاض . وجاءت
الاتفاقية الفرنسية - الالمانية لعام ١٩١٤ (٧٨) لتؤكد اعتراف المانيا
بوضع فرنسا الخاص في فلسطين، وبخاصة في موضوع بناء السكك
الحديدية .

غير ان فكرة فصل فلسطين عن الدولة العثمانية ووضعها تحت
الهيمنة الأوروبية، لم تغب عن ذهن بعض المسؤولين الالمان ، فقد اقترح
السفير الالمني في اسطنبول، في رسالة بعث بها الى المستشار الالمني الامر
فون هيرتلنج ، Graf Von Hertling ، انشاء ملكة في فلسطين
لحل مسألة الاماكن المقدسة ، معتقداً بأن هذا الحل سوف يرضي
المسيحيين واليهود في العالم ، شريطة ايجاد حلّ مرضٍ للاماكن المقدسة

الاسلامية في القدس (٧٩) . وكان القنصل الالماني العام في القدس الدكتور بروده Brode ، قد اقترح على السفير الالماني في اسطنبول اقامة مملكة صغيرة في القدس تضم بيت لحم جنوبا، وتمتد الى نهر الاردن والبحر الميت شرقا، والى قرية رام الله شمالا ، وان يعتلي عرشها امير كاثوليكي الماني؛ شريطة ان تبقى هذه المملكة تحت السيادة العثمانية الاسمية ، وان تُدفع للخزينة العثمانية مليون جنيه استرليني ، وان يُحتفظ المسلمون والمسيحيون واليهود باماكنهم المقدسة فيها . واقترح بروده ايضا ان تسمى الحكومة الالمانية لدى الباب العالي للتوسع في الاستعمار اليهودي في فلسطين، ومنح اليهود حكما ذاتيا في البلاد (٨٠) . والواقع ان هذه المقترحات قد جاءت في فترة بَلَغَ النشاط الصهيوني في المانيا اوجه من اجل الحصول على وعد رسمي من الحكومة الالمانية مماثل لتصريح بلفور .

يتضح مما سبق ان الحكومة الالمانية لم تُسَعُ الى تحقيق اية مطالب علنية او سرية في فلسطين، منذ قيام الرايخ الالماني عام ١٨٧١ وحتى نهاية الحكم العثماني عام ١٩١٨ ؟ كما انها لم تستغل عنصر المستعمرين الالمان لاغراضها السياسية في البلاد .

علاقات المستعمرين الالمان بالسكان العرب

اتَّسَمَت العلاقات بين المستعمرين الالمان والسكان العرب في فلسطين بالشك والريبة والحذر . لقد أدرك كريستوف هوفمان ^١ أثناء رحلته الاستطلاعية الى فلسطين عام ١٨٥٨، ان مشروعه لن يحظى بتأييد السلطات العثمانية فحسب ، وانما سيواجه مقاومة حقيقية من جانب السكان العرب، الذين يشكل المسلمون اكثر من ٩٠٪ منهم (٨١) .

ولما بدا استيطان الهيكليين في فلسطين، كانوا يحملون افكارا واضحة

عن العداء العربي لهم . وساهمت أحداث فلسطين في تشدد كل فريق في موقفه . وأدرك العرب ان الهيكلين الالمان ليسوا كبقية المقيمين الاجانب في فلسطين ؟ فمشروعهم ليس خيرا كمشاريع الارساليات التبشيرية المنتشرة في البلاد . واكتشفوا ايضا ان الالمان قد جاؤوا الى البلاد تاركين اوطانهم بهدف واحد هو الاستيلاء على اراضيهم وامتصاص دمائهم (٨٢) . ولذلك كان من المتعذر على مشروع الاستيطان الالماني ان يكسب قلوبهم . وخلافا لما كان يعتقد او يزعمه الالمان، لم تساهم انجازاتهم في فلسطين الا في بعث كراهية العرب لهم (٨٣) . ونظر الالمان ، بالمقابل ، الى العرب نظرة استعلاء وتفوق ، فزادت من توتر العلاقات بين الفريقين (٨٤). وكان قادة جمعية الهيكل يخشون الاختلاط بالسكان العرب والذوبان في المجتمع المحلي ؛ فهم « شعب الله » المكلف ببناء مملكة الرب في القدس . لذلك تحاملوا على العرب دوما ، وبرروا هذا التحامل في المقالات التي كانوا ينشرونها في مجلتهم *Sueddeutsche Warte* : فالشرقي في نظرهم « وقح متعجرف بالطبيعة ، يمارس السرقة والاستجداء ، ولا يحني هامته الا للقوة والمال » (٨٥) .

وكان قادة الجمعية يحذرون اعضاءها من التزاوج مع العرب . واستغلوا حالة زواج فاشلة بين فتاة المانية وشاب مسيحي عربي في دعايتهم هذه . وكانوا يقولون « من الأفضل للألمانيات ان يبقين عوانس من ان يلقين بانفسهن في احضان الرعاع » . (٨٦)

ولم يُخفِ كريستوف باولوس، الذي خلف هوفمان في رئاسة جمعية الهيكل بين عامي ١٨٨٤ و ١٨٩٠ ، والذي كان من اتباع الفلسفة الانسانية، احتقاره للعرب . وحينما تكونت شركة للنقل بين يافا والقدس من الالمان والعرب واليهود عام ١٨٨٤ ، واوكل تنظيمها الى الالمان، كتب

باولوس بهذا الصدد يقول : « تعتبر هذه الاتفاقية نصرا للامانة الالمانية على دسائس العرب واليهود القذرة . لقد امكن قيام الشركة لان ادارتها والاشراف على ماليتها قد اوكلا الى الالمان،الذين تعترف كافة الاطراف بأمانتهم ومثابرتهم على العمل . دعنا نامل أن يكون لهذا الانجاز الذي حققته النزاهة الالمانية ، تأثير ايجابي على السكان المحليين . ويمكن اعتبار هذا العمل الانموذجي عملا تبشيريا ، لان الهيكليين يؤمنون بأن على الشعب الذي يتوجه اليه المبشرون،أن يتحول الى كائنات بشرية قبل أن ينظـسـر في امر تنصيره » . (٨٧)

ازاء هذه النظرة الاستعملائية العرقتية ، لا عجب اذا عجز الهيكليون عن الوصول الى قلوب العرب،واقامة علاقات طيبة معهم . وقد اعترف بهذا الوضع السفير الالمانى في اسطنبول،مارشال فون بيبيرشتاين— Marschall Von Bieberstein « في رسالته التي بعث بها الى المستشار الالمانى فون بيلوف، Von Buelow ، والمؤرخة في ٨ ايار ١٩٠٩ ، والتي اقتبس فيها اقوال نائب القنصل الالمانى في حيفا (٨٨) .

ورغم حالة الشك والحذر والكراهية التي سادت العلاقات بين المستعمرين الهيكليين والعرب في فلسطين ، لم تحدث خلال الحكم العثماني سوى حادثة قتل واحدة،ذهب ضحيتها أحد هؤلاء الالمان،وبسبب استفزازي . وكان سبب الحادثة التي تمت عام ١٩١٠ ، مقتل أحد فلاحى قرية الطيرة (قرب حيفا) على يد أحد الالمان من مستعمرة حيفا .^١بأثناء اقدام الاول على السرقة من المزرعة الالمانية . وثار اهل القتل لقتيلهم،وهاجموا في اليوم التالي للحادث أحد الالمان،واسمه فريتس أونجر، Fritz Unger ، في مستعمرة نويهاردتوف وأردوه قتيلا (٨٩) .

وخشي المستعمرون الالمان اعتداء المسلمين عليهم،بأثناء الحرب

البلقانية (١٨٧٥ - ١٨٧٨) ، وطلبوا الحماية من حكومتهم ؛ فترات هذه أن تبعث ببوارج حربية الى الشواطئ الفلسطينية . فكانت خطوة لا سابقة لها .

وشعر المستعمرون الالمان بضيق شديد عندما أخذ العرب ينافسونهم في الميدان الاقتصادي ؛ فقد حل العرب محل الناقلين الالمان بالشاحنات على طريق حيفا - عكا ، كما الحقوا اضرارا كبيرة بشركة السفريات الالمانية على طريق يافا - القدس، بتخفيض اجور السفر . وواجه الجرفيون الالمان منافسة مماثلة من العرب . وزاد من كراهية العرب للمستعمرين الالمان واليهود حماية الدول الاوروبية الكبرى لهم . ولم يشعر العرب في يوم من الايام بأن وجود المستوطنين الالمان او غيرهم فيه اية فائدة لهم (٩٠) .

علاقة المستعمرين الالمان بالطائفة اليهودية

اتخذت جمعية الهيكل موقفا عدائيا من اليهود واليهودية قبل استيطان افرادها في فلسطين ، لاعتبارات دينية محضة . غير أن هذا الموقف تبدل بعد استيطان الهيكليين في فلسطين ، ولم يترددوا في التعاون مع المهاجرين اليهود والمستعمرات اليهودية لمواجهة المجتمع العربي المناهض لهم . واخذ هذا الموقف يتغير مع قدوم آلاف اليهود من شرق أوروبا في منتصف الثمانينات من القرن التاسع عشر ، وذلك بسبب منافسة المستعمرين اليهود الجدد لهم في الميادين الاقتصادية .

فقد كان هوفمان، مؤسس جمعية الهيكل، يعتقد أن الأرض المقدسة ينبغي أن تكون ملكا لشعب الله ، وأن الله كان ينوي في البداية منح هذه البلاد للشعب اليهودي ، غير أن هذا الشعب غرق في الفساد والرياسة، ولم يعد شعبا مقدسا . الهيكليون وحدهم هم الذين أوجدوا الشعب المقدس الجديد « شعب الله » . وتأكد هذا الاعتقاد لدى هوفمان عند

زيارته لفلسطين عام ١٨٥٨، ورأى « حالة اليهود السيئة، وكسلهم وعجزهم عن تخليص البلاد من حالتها المتدهورة ». ووجد الألمان في بدايات استيطانهم مبررا للتفاهم مع الأقلية اليهودية، للتخلص من العزلة التي يعيشونها (٩١) .

أما بالنسبة إلى اليهود ، فقد حاول زعماء هوة صهيون « حوفيني تسيون » (٩٢) الاستفادة من تجربة المستوطنين الألمان في المستعمرات الزراعية ؛ وكانوا يترددون عليهم محاولين تجنب الأخطاء التي وقعوا فيها . وحينما بدأت الهجرة اليهودية المنظمة الأولى (١٨٨٢ — ١٩٠٤) التي تألفت من موجتين كبيرتين هما: الأولى (١٨٨٢ — ١٨٨٤)، والثانية (١٨٩٠ — ١٨٩١)، بدأ موقف المستوطنين الألمان يتغير . وكانت المنافسة الاقتصادية وراء هذا الموقف المعادي . صحيح ان نوعية الانتاج اليهودي من الحرف والصناعات الخفيفة كانت ادنى من نوعية الانتاج الألماني، الا ان انخفاض أسعار الانتاج اليهودي جعل من الحرفيين والصناع اليهود منافسين خطرين للألمان (٩٣) .

وشعر المستعمرون الألمان بالخطر الحقيقي حينما طلب ثيودور هرتسل ، Theodor Herzl ، في آب ١٨٩٧ من اعضاء المؤتمر الصهيوني الاول المنعقد في مدينة بازل السويسرية، الموافقة على برنامج الحركة الصهيونية . ومنذ ان صدرت صحيفة « العالم ، Die Welt » الناطقة بلسان الحركة الصهيونية في حزيران ١٨٩٧ ، شعر الهيكليسون انهم يواجهون حركة سياسية يهودية منظمة، تؤكد صحيفتها كل يوم على اقامة وطن قومي لليهود في فلسطين .

ومنذ مطلع عام ١٩٠٨ شنت صحيفة الهيكليين Sueddeutsche Warte هجوما على الحركة الصهيونية، وعلى مختلف اوجه نشاطاتها . وكان يقود

هذه الحملة فريتس لورخ ، Fritz Lorch ، أحد الالمان المولودين في فلسطين، والذي انتقل الى شتوتجارت ليعمل في صحيفة الجمعية . وقد ابرز لورخ عدم ولاء الصهاينة للدولة العثمانية وتعاونهم مع بريطانيا من اجل تمزيق اشلائها . اما الصهاينة فقد حاولوا التقرب من المستوطنين الالمان والتفاهم معهم، حرصا منهم على تجنب الصدام مع الامبراطورية الالمانية الناشئة. وامتنعت صحيفة « دي فيلت » الصهيونية عن الرد على حملة لورخ الاعلامية (٩٤) :

وبمناسبة انتقال صحيفة الهيلكين Sueddeutsche Warte من شتوتجارت الى القدس في كانون الثاني عام ١٩١٢، نشرت صحيفة « دي فيلت » مقالا مطولا طالبت فيه المستوطنين الالمان ان يبداوا مزيدا من التفهم نحو المصالح المشتركة لليهود والالمان . واكد المقال على الفوائد التي قد يجنيها المستوطنون الالمان والامبراطورية الالمانية من المهاجرين اليهود، الناطقين باللغة الالمانية، والذين يفضلون اقامة علاقات تجارية مع المانيا (٩٥) .

ومن الجدير بالذكر ان المانيا ، في هذه الفترة ، كانت مقرًا لمعظم المؤسسات والمراكز التابعة للحركة الصهيونية . وانساق المستوطنون الالمان وراء سياسة المانيا الرسمية منذ عام ١٩١٣ ؛ تلك السياسة التي كانت تحبذ الاستفادة من الوجود اليهودي في فلسطين من اجل تنمية المصالح الالمانية فيها . وشهدت العلاقات بين الاقليتين الالمانية واليهودية، تحسنا ملحوظا عشية قيام الحرب العالمية الاولى (٩٦) . غير ان هذا التحسن في العلاقات كان مؤقتا ولفترة قصيرة جدا .

المصادر :

- Hajjar, J. : L'Europe et les Destinees du Proche Orient, (١
Bloud and Gay, Belgium, 1970, pp. 326-7
- Hyamson, A.M.: British Projects for the Restauration of
Jews to Palestine, in "Publications of the American
Jewish Historical Society", 1918, No. 2, pp. 129-131.
- Hajjar, J. : op. cit, pp. 327-8 (٢
- Hyamson, A.M. : op. cit, p. 136, Hajjar, J. : op. cit, p. 329 (٣
- Tibawi, A.L. : British Interests in Palestine, (٤
Oxford University Press, London, 1961, p. 33
- Hyamson, A.M. : The British Consulate in Jerusalem in
relation to the Jews of Palestine (1838-1914)
London, 1939, vol. I, p. 45
- ٥ ولد موسى مونتفيوري عام ١٧٨٤ في ليفورن Livourne . ونجح في حياته كرجل
اعمال يهودي . واصبح نبيلاً بسبب صلة النسب بأسرة روتشيلد في بريطانيا . وانسحب
في عام ١٨٢١ من أعمال التجارة، وكرس حياته للأعمال الخيرية الاجتماعية المتعلقة باليهود.
وقام بعدة زيارات لفلسطين بين عامي ١٨٢٧ و ١٨٧٥ .
- Loewe, L.(ed.):Diaries of Sir Moses and Lady Montefiore,
London 1890, vol. I, pp. 165 ff.
- Hajjar, J. : op. cit, p. 327.
- Hajjar, J. : op. cit, pp. 330-331 (٦
- ٧ حول تفصيل اقامة مولتكه في اسطنبول انظر :
- Moltke, Helmuth von : Briefe ueber Zustaende und
Begebenheiten in der Tuerkei aus den Jahren 1835
bis 1839, Berlin, 1893.
- Wagner, R. : Moltke und Muehlbach zusammen unter (٨
dem Halbmonde (1837-1839), Berlin, 1893.
- Moltke, Helmuth von : Vermischte Schriften, Berlin, 1892,
Bd. 2, pp. 279-288.

1975, p. 442.

Geschichte der deutschen Evangelischen Kirche. pp.132-3

Gaeschichte وسيشار اليه فيما بعد

Alonzo, Alphonse d' : Les Allemands en Orient, Oscar

Schepens, Bruxelles, 1904, p. 37

Brugger, H. : op. cit, pp. 26-7

Carmel, Alex : Geschichte Haifas . . . p. 81

(١٤) ولد جورج دانييل هارديج في الثاني من نيسان عام ١٨١٢ في قرية اغلوزهايم

Eglosheim قرب لودفيجزبورغ في مملكة فورتمبرغ . اتم دراسته الثانوية وعمل

في التجارة . ثم دخل في منظمة سرية تنادي بالنظام الجمهوري . وتقل بين شتوتجارت

وبلجيكا وباريس خلال عامي ١٨٢٠ و ١٨٢١ . وفي باريس تعرف على عدد من اللاجئين

السياسيين الالمان المتحمسين للنظام الجمهوري . وصادق تاجر كتب اسمه فرانك

Frank كان قد اصدر في باريس صحيفة "Le Siècle" . وعاد

فرانك الى فورتمبرغ في خريف ١٨٢١ . وعزم هارديج على دراسة الطب في جامعة

غوتنجن فلم يوفق ، الا كانت السياسة والنضال من اجل الحرية اعز على قلبه من

الدراسة . فشارك في محاولة العصيان الفاشلة في فورتمبرغ عام ١٨٢٢ ، وحكم عليه

بالسجن لمدة اربعة عشر عاما . ثم استأنف الحكم عليه لدى محكمة الاستئناف في

شتوتجارت ، فخفضت الحكم عليه بالسجن الى تسعة اعوام . درس هارديج اثناء وجوده

في السجن الكتاب المقدس ، فائر ذلك على سلوكه وفكره . ولما افرج عنه عام ١٨٢٠ لم

يسمح له بالاقامة في فورتمبرغ ، فرحل الى سويسرا حيث بقي حتى عام ١٨٢٢ حينما سمح

له بالعودة الى وطنه بمناسبة الاحتفال باليوبيل الفضي لاعتلاء الملك فيلهلم

Wilhelm عرش فورتمبرغ .

Brugger, H : Op. cit, pp. 5-10.

Brugger, H. : Op. cit, p. 35.

(١٥)

(١٦) المصدر نفسه ، ص ٢٥ - ٢٦ .

Carmel, Alwx, The German settlers., p. 443.

Geschichte . . . , p. 134

Carmel, Alex, Op. cit, p. 443, Geschichte . . . p. 134.

(١٧)

Brugger, H. Op. cit, p. 37.

(١٨)

Carmel, Alex : Geschichte Haifas . . . p. 81.

- Brugger, H. : Op. cit, p. 38. (١٩
 (المصدر نفسه ، ص ٣٩ .
 (المصدر نفسه ، ص ٤٢ - ٤٣ .
 (المصدر نفسه ، ص ٤٥ - ٤٧ .
- Carmel, A. : Geschichte Haifas . . . p. 82.
- Eliav, M. : German Interests and the Jewish Community (٢٢
 in the 19th Century Palestine, in "Studies on Palestine
 during the Ottoman Period, Jerusalem, 1975" p. 431.
- Brugger, H. : Op. cit, p. 49. (٢٤
 Sueddeutsche Warte, 22.1.1869 (انظر تفاصيل عملية الشراء في مجلة
- Brugger, H. : Op. cit, p. 51. (٢٦
- Carmel, A. : Geschichte Haifas . . . p. 83. (٢٧
- Grothe, Hugo : Bevoelkerung und Wirtschaftliche Lage (٢٨
 der Schwaebischen Ansiedlungen in Palaestina,
 Palaestina 1.1902,p. 233.
- Carmel, A. : Geschichte Haifas . . . p. 84.
- Carmel, A. : The German Settlers . . . p. 445. (٢٩
 Auswaertiges Amt, Politische Archiv, Politische Abteilung (٣٠
 VII, Po. 25, Bd. I.
- Carmel, A. : Geschichte Haifas . . . pp. 87-9. (٣١
- Rosen, F. : Oriental Memoirs of a German Diplomatist, (٣٢
 Methuen and Co., London, 1930, pp. 36-7.
- Brugger, H. : Op. cit, p. 52. (٣٣
 (المصدر نفسه ، ص ٥٢ - ٥٤ .
- Brugger, H. : Op. cit, p. 61. (٣٥
- Auswaertiges Amt, Politische Archiv, Politische Abt. VII, (٣٦
 Po 25, Bd. I.
- Brugger, H. : Op. cit., pp. 62-3. (٣٧
- Answaertiges Amt, Politische Archiv, Politische Abt. VII, (٣٨
 Po 25, Palaestina, Bd. I.

- (٢٩
- Brugger, H. : Op. cit, p. 95. (٤٠
- (٤١ المصدر نفسه ، ص ٩٤ .
- Answaertiges Amt, Politische Archiv, Politische Abt. VII, (٤٢
Po. 25, Palaestina
- تقرير القنصل الألماني في القدس فيليب فورست
Ph. Wurst الى سكرتير
لجنة التقسيم الفنية الفلسطينية في ١٢ تموز ١٩٢٨ .
- Geschichte . . . pp. 136 - 7 (٤٣
- (٤٤ انشئت جمعية بيت المقدس في برلين في ١٢/١٢/١٨٥٢ من اجل دعم المشروعات التبشيرية
الانجيلية الالمانية في فلسطين
Geschichte . . . , pp. 51-62.
- Geschichte . . . p. 137, Brugger, H. : Op. cit, p. 66. (٤٥
- Seidel, H. J. : Der Britische Mandatstaat Palaestina im (٤٦
Rahmen der Weltwirtschaft, Walter de Gruyter,
Berlin, 1926, pp. 81-2.
- Brugger, H. : Op. cit, pp. 85-9. (٤٧
- (٤٨ المصدر نفسه ، ص ٨٨ .
- Carmel, A. : The Political Significance of German (٤٩
Settlement in Palestine (1868-1918), in "Germany and
the Middle East 1835-1939 Tel-Aviv University,
Tel-Aviv, 1975, pp. 48-9.
- (٥٠ المصدر نفسه ، ص ٥٠ .
- Hauptstaatarhiv Stuttgart, Koeniglich Auswaertiges (٥١
Amt.
- Sueddeutsche Warte, 1.7. 1858, p. 2., 22.7. 1858, p. 114, (٥٢
16.9. 1858, pp. 145-6.
- Lange, Friedrich : Geschichte des Tempels, Stuttgart, (٥٣
1899, p. 167.
- Hauptstaatarhiv. Akten des Kabinetts IV, Nr. 1585. (٥٤
- Sueddeutsche Warte, 12.2. 1874, pp. 25-6, 26.3.1874, pp. (٥٥
70-71.

- Brugger, H. : Op. cit, p. 48. (٥٥
- (٥٦ المصدر نفسه ، ص ٥٨ - ٦٠ .
- Auswaertiges Amt, Politische Archiv, Tuerkei 126, (٥٧
- Muenchhausen an Bismarck, Jerusalem, den 30 Mai
- 1897.
- (٥٨ المصدر نفسه .
- Carmel, A. : The Political Significance . . . , p. 54. (٥٩
- Brugger, H. : Op. cit, pp. 84-5. (٦٠
- Carmel, A. : The Political Significance . . . p. 55. (٦١
- (٦٢ المصدر نفسه ، ص ٥٦ .
- Sueddeutsche Warte Vom 18 Maerz 1882, p. 4. (٦٣
- Carmel, A. : The Political Significance . . . p. 57. (٦٤
- Brugger, H. Op. cit, p. 90. (٦٥
- Carmel, A. : The Political Significance, . . . p. 59. (٦٦
- Holborn, H. : Deutschland und die Tuerkei (1878-1890), (٦٧
- Berlin, 1926, p. 106.
- Auswaertiges Amt, Politische Archiv, Tuerkei 189, Vol. I. (٦٨
- Brugger, H. : Op. cit, P. 92. (٦٩
- (٧٠ المصدر نفسه ، ص ٩٢ .
- (٧١ المصدر نفسه ، ص ٩٢ .
- Carmel, A. : The Political Significance . . . p. 63. (٧٢
- Auswaertiges Amt, Politische Archiv, Preussen 4 (geheim), (٧٣
- Vol. 9, Schlaezer an Hohenlohe, Istambul, 15.11. 1898
- نص تقرير القائم بالاعمال الالمانى في اسطنبول .
- Carmel, A. : The Political Significance . . . p. 63. (٧٤
- (٧٥ المصدر نفسه ، ص ٦٥ - ٦٦ .
- (٧٦ المصدر نفسه ، ص ٦٧ - ٦٩ .
- Auswaertiges Amt, Politische Archiv, Tuerkei 177, Vol.10. (٧٧
- Hurewitz, J. : Diplomacy in the Near and Middle East, (٧٨
- Princeton, Vol. 1, pp. 267-276.

- Auswaertiges Amt, Politische Archiv, Tuerkei 175 (e), (٧٩
Abteilung I A, Bd. 2.
- Friedman, I. : Germany, Turkey and Zionism (1897-1918), (٨٠
Oxford, At the Clarendon Press, 1977, pp. 390-391.
- Sueddeutsche Warte Vom 23.9. 1858, p.125, 14.10.1858, (٨١
p. 161.
- (٨٢ جريدة الاهرام ، القاهرة ، عدد ٢٧ حزيران ١٨٩٨ .
- Sueddeutsche Warte Vom 27.4.1914, pp. 133-4. (٨٣
- Deutsche Kolonial Zeitung, Berlin, 1884, pp. 83-4. (٨٤
- Sueddeutsche Warte, 27,4.1911, pp. 131-2. (٨٥
- Carmel, A. : The German Settlers . . . p. 448. (٨٦
- Sueddeutsche Warte, 30.00. 1884, pp. 1-2. (٨٧
- Auswaertiges Amt, Politische Archiv. Bd. 25 a Nr, 135. (٨٨
- Carmel, A. : The German Settlers . . . p.p. 449-50. (٨٩
- (٩٠ المصدر نفسه ، ص ٤٥١ - ٤٥٤ .
- (٩١ المصدر نفسه ، ص ٤٥٥ .
- (٩٢ هواة صهيون حركة سياسية يهودية استهدفت تنظيم هجرة اليهود من اقطار اوروبا
الشرقية الى فلسطين . وقامت بانشاء المستعمرات اليهودية الاولى في البلاد بين
عامي ١٨٨١ و ١٩٠٤ .
حول هذه الحركة انظر :
- جريس ، صبري . تاريخ الصهيونية ، ج ١ ، (١٨٦١ - ١٩١٧) ، مركز الابحاث ،
منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ١٩٧٧ ، ص ١٠١ - ١٢٢ .
- Carmel, A. : The German Settlers . . . p.p. 455-8 (٩٣
- (٩٤ المصدر نفسه ، ص ٤٦٠ - ٤٦٣ .
- Die Welt, 13.10. 1911, pp. 1083-4 (٩٥
- Carmel, A. : The German Settlers . . . p. 464 (٩٦

كتاب "نهاية السؤل والأمنية"

للدكتور أحمد سميران

(عضو المجمع)

١ - تعريف

في المكتبة البريطانية في لندن مخطوطة تحمل الرقم OR3631، وتضم مجموعة من الرسائل العربية في الفروسية، أكبرها رسالة بحوالي ٥١٠ صفحات، في كل صفحة ٢١ سطرا، في كل سطر حوالي ١٢ كلمة، وقد كتب على صفحة غلافها بخط جميل وتشكيل هندسي:

(كتاب نهاية السؤل والأمنية في تعليم أعمال الفروسية ، تصنيف بكتوت الرماح ، خازن دار الملك الظاهر ، رحمهما الله تعالى ، آمين) .

من هو بكتوت الرماح هذا ؟

كتب على غلاف المخطوطة كاتب مستعجل ، بخط انكليزي غير واضح ، يزعم أن حاجي خليفة ينسب الكتاب الى ابراهيم ابن ابي الحسن الشهر با بن رافع الدمشقي المتوفى سنة ٧٥٨ هـ . رجعت الى كشف الظنون لحاجي خليفة فوجدته يذكر الكتاب، ولكنه ينسبه الى محمد بن عيسى ابن اسماعيل بن خسروشاه الاقسرائي الحنفي الرومي، المتوفى في حدود

* بترخيص من ادارة المكتبة البريطانية في لندن .

٧٥٠ هـ . ورجعت الى موسوعة بروكلمان فوجدتها تذكر بدر الدين بكتوت الرماح الخازنداري المالكي الظاهري المتوفى سنة ٧١١ / ١٣١١ ، ولكنها تنسب اليه كتابا غير نهاية السؤل ؛ وتذكر نهاية السؤل والامنية في تطعيم اعمال الفروسية، ولكنها تنسبه الى محمد بن عيسى بن اسماعيل الحنفي المعروف بنجم الدين ايوب .

ورجعت الى كتاب مارتن (مقدمة الى تاريخ العلم) فوجدته ينسب الكتاب الى الحسن الرماح، المسمى نجم الدين الاحدب ، ويذكر انه ظهر في سوريا حوالي ١٢٩٤ / ٥ (= ٦٩٤ هـ) وتوفي في الثلاثينات من عمره . ومارتن ينسب الى هذا الرماح الاحدب ، بالاضافة الى كتاب نهاية السؤل والامنية ، كتابا في الفروسية والمناصب الحربية، ويسجل له انه عني بالبحث في طرق تنقية البارود .

في غمرة هذا الاضطراب عدت الى نص الكتاب عساه يكشف لي عن هوية الكاتب ؛ ومن النص تبين لي ما يلي :

ليس المؤلف هو نجم الدين الاحدب، كما يظن حاجي خليفة وبروكلمان ومارتن ؛ ففي النص صفحات ينقلها المؤلف عن كتاب لنجم الدين يسميه كتاب البنود ، ويذكر انه اخذها عن نسخة لناصر الدين محمد الرماح ، وان ناصر الدين هذا قد عارض نسخته بنسخة لعز الدين بن عبد العزيز الرماح بقلعة دمشق . ثم يذكر المؤلف ما يجد من فروق بين نصوص هذه النسخة ونصوص نسخ أخرى لكتاب نجم الدين ، ويضيف بنودا من عنده تكمل ما يذكره نجم الدين الى المئة .

ويلي كتاب نهاية السؤل في مجموعة المكتبة البريطانية كشف يسرد فيه المؤلف ، بدر الدين بكتوت الرماح الخازندار الظاهري ، ما الف من كتب ورسائل . ويلي ذلك رسالة قصيرة في علم

الفروسية وعلاج الخيل . « تصنيف بدر الدين بكتوت الرماح ؛ وكان ابتداء تأليفه في حصار عكا في ايام مولانا السلطان الملك الأشرف ، ولد مولانا السلطان الملك المنصور ... قلاوون ، وذلك في شهر سنة ٦٨٩ » .

وفي الحالين يتباهى المؤلف بفروسيته ومهارته في ركوب الخيل، والمبارزة بالسيف والرمح .

فالى ان نعثر على أدلة جديدة ارى ان نعتبر :

اولاً، ان كتاب نهاية السؤل والامنية في تعليم اعمال الفروسية الفسه بدر الدين بكتوت الرماح ، لا نجم الدين ايوب الاحدب .

ثانياً ان بدر الدين هذا خدم الظاهر بيبرس والسلطان قلاوون وابنه الأشرف ؛ وقد يكون توفي سنة ٧١١، ولكن لا يُعقل انه كان عندئذ في الثلاثين من عمره ، ذلك انه كان سنة ٦٨٩ في سنٍ تُمكنه من وضع كتاب في الفروسية وعلاج الخيل .

ثالثاً ان محمد بن عيسى بن اسماعيل، المعروف بنجم الدين ايسوب الاحدب، لا بد انه عاش قبل بكتوت بأكثر من نصف قرن ، وربما بأكثر من ذلك بكثير .

٢ - النسخة والناسخ

ليس هناك ذكر للناسخ ولا لتاريخ النسخ ؛ ولكن الخط ، في صفحات المجموعة كلها ، واحد ، وهو على نمط خطوط القرنين السابع والثامن الهجريين ، سواء في ترتيب النص وفي الارقام . فقد لا تكون النسخة متأخرة كثيراً عن تاريخ التأليف . ولكن ثمة دلائل على انها منقولة عن نسخة سابقة . والخط واضح والاشكال مرسومة باتقان بالغ . الا ان الناسخ ، على طريقة عصره ، لا يراعي دقة التنقيط ، ويندر ان يضع الهمزة ، وهو لا

برقم الصفحات ولا الأوراق .

ويبدو أن الناسخ كثير السهو ؛ ولعل اثناع اخطائه في موضع يجري فيه الكلام عن « الرمي بلا فوق » ، أي بلا تصويب ؛ فاذا بالكلام ينتقل فجأة ، في وسط السطر والجملة ، الى تعليم فنون الرماية للمبتدىء . ونستطيع أن نقدر أن الناسخ أراد هنا أن يقلب ورقة من الاصل الذي ينقل عنه فقلب ورقتين ، ومضى ينسخ بلا تفكير .

ومثل هذا النقص في النص نجده في موضعين آخرين في الميكروفلم الذي حصلنا عليه من المكتبة البريطانية ، ولكننا فيهما لا نستطيع أن نجزم على من يقع اللوم .

أول هذين الموضعين هو الورقة الأولى من كتاب نهاية السؤل ، فهي مفقودة . ولكننا نستطيع أن نقدر أن المؤلف يبدأها بحمد الله والصلاة على نبيه الكريم ، ثم يذكر سبب وضعه لكتابه ولمن وضعه ؛ ولعله هنا ، كشأنه في مخطوطيه الاخرين ، يتباهى بفروسيته ومهارته في ركوب الخيل ، والبارزة بشتى أدوات الحرب .

والموضع الثاني الذي ينقطع فيه النص يأتي في اواسط المخطوطة ، حيث يمضي الكلام عما ينبغي على الأمر أن يصنع عند عقد الجيش وعرض العساكر ، فاذا به ينتقل فجأة الى جدول اختيارات ، أي أيام الاسبوع وما يصلح لها وتصلح له من أعمال . وتأتي هذه النقلة مع انتقالنا من ورقة الى ورقة ، مما يبعث على الترجيح بأن ورقة على الاقل من المخطوط قد تخطاها التصوير ، او سقطت من الاصل .

٣ - المحتوى

يشتمل الكتاب على مقدمة واثنى عشر فصلا يسميها المؤلف تعاليم ،

وهذه التعاليم متباينة في الطول يملا أكبرها ٦٦ ورقة في المخطوط في حين ان اثنين منها لا يتجاوز كل منهما ورقة واحدة . وقد لا يصعب تبرير هذا التفاوت بين الفصول . الا ان مما يلاحظ على المؤلف ان تقسيمه لموضوعاته لا يجري على نسق مميز ؛ فهو قد يقسم الموضوع الى أبواب ، والباب الى فصول ، ثم يقسم الفصل ايضا الى ابواب .

الا ان المؤلف ، رغم هذه الهنات الشكلية ، قد نجح في تحديد هدف واضح وفي تحقيق هذا الهدف ؛ انه محارب خاض غمار حرب صليبية واكتوى بنارها ، فهو يكتب للحرب وفي الحرب . ولذا فهو يستهدف الحز على الجهاد في سبيل الله، ثم يمضي في تعليم المجاهد كل ما يفيد عن آلة الحرب وفنونه .

اما الحز على الجهاد في سبيل الله فقد وناه بمقدمة عرض بها كل ما ورد في القرآن الكريم وكتب الحديث الشريف من آيات واحاديث تتعلق بالجهاد ، ثم اتبع ذلك بما رواه الرواة من قصص وابيات شعرية عن المجاهدين والشهداء .

وقد لا تكون الابيات الشعرية التي يوردها خير ما في الادب العربي، وقد يكون كل ما فيها من اخطاء من صنع الناسخ، الا اننا قد يتعذر ان نجد كتابا واحدا يضم بين دفتيه كل هذا القدر من الاحاديث والروايات عن الجهاد والمجاهدين . ان مقدمته تملأ ٢٤ ورقة في المخطوط ، ثم هو يضيف جديدا عن الجهاد عند الكلام عن الخيل ورباطها في سبيل الله ، ويضيف جديدا ايضا كلما وجد الى ذلك سبيلا، حتى يصل الى التعليم الحادي عشر، فيجمل فيه الاحكام الشرعية المتعلقة بالجهاد واسرى الحرب ، من يُسَلِّم منهم ومن يبقى على دينه . ان ناحية التوعية في الكتاب وافية تكاد تدفع القارئ للجهاد دفعا .

وأما تعليم الفروسية وأعمالها، الذي هو الموضوع الرئيسي، فنتضح
أبعاده من البيان التالي عن تعاليم الكتاب :

التعليم الأول عن رماية النشاب وما يتعلق بالقوس والوتر، وكيفية
الرمي ، وكيف تختلف القوس باختلاف تركيب الرامي نفسه ، وما قد يلحق
به الرمي من ضرر بدني، وكيف يعالج الضرر، وكيف يتوقاه .

وفي هذا يورد المؤلف مذاهب ينسبها الى أصحابها، ومن الاسماء التي
يوردها : طاهر البلخي، ومحمد بن الحسن الهروي، وأبو هاشم الماوردي، وأبو
موسى السرخسي . . . وهو يقتبس نصا من شخص يسميه محمد بن بركات،
المعروف بابن القاضي الاصلطي، ونصا آخر من سعيد بن خطيف . ويملا
هذا التعليم في المخطوطة حوالي ١٤ ورقة .

التعليم الثاني هو أطول نصول الكتاب، ويملا ٦٦ ورقة ، ويشمل
الحديث عن الرماح والخيل وركوبها، يبدأ بمقدمة دينية تتعلق بالرمح
واستعماله، ثم يذكر ما يجب على المعلم في تعليمه وما يجب على المتعلم ؛
وهو يرى ان عليه ان يتعلم استعمال الرمح كما وصفه الشيخ نجم الدين
أيوب المعروف بالأحدب، وذلك في كتابه عن البنود ، والبنود، على ما يبدو،
أشبه برقصات حربية يجريها الفارس والرمح في يده ؛ والمؤلف يصف ٧٣
بندا ، نقلا عن الشيخ نجم الدين ، ثم يعيد وصف هذه البنود ثلاث مرات
أخرى ، نقلا عن نسخ أخرى من كتاب الشيخ نجم الدين . ولكن وصفه في
هذه الحالات كلها هو عندي أشبه بالفاز ؛ وقد كنت أعزو السبب في ذلك
الى أن الكاتب إنما يصف فنونا مضى زمانها ، غير أنني وجدته هو نفسه يذكر
ان في هذه البنود كلمات زائدة وكلمات ليس لها معنى .

ثم هو لا يكتفي بذلك، وإنما يذكر بنودا أخرى يقول انه وجدها للشيخ
نجم الدين، ويكملها ببنود من عنده حتى يصل مجموعها الى المئة .

وهذا مثال :

« البند الاول ، وهو بند الحرب ، تبطيل يمين وتبطليل شمال، ونقل استواء، وتسريح مقور، وقربصة، ونشل، وطعن، ودخول وخروج، ونزول شمال، وضرب زندية » .

بعد صفحات على هذا المنوال ينتقل المؤلف الى التكلم عن الركوب، ويخصص لذلك مقدمة وثلاثين بابا، يشتمل آخرها على ١٦ فصلا . واليك امثلة على هذه الابواب ، بنص المؤلف نفسه :

« باب في فضل الخيل واقسامها ورباطها في سبيل الله تعالى »

« فصل في المسابقة بين الخيل على عرض جائز » اي حيث يجوز تغريم الخاسر

« فصل في اختلافات الدواب »

« باب في ابتداء تعليم الرمح والفرس التي تصلح لذلك »

« باب في الركوب وأنواعه »

« باب في ابتداء الخروج الى الميدان »

« باب في ذكر الميادين » ، (نقلا عن اهل العلم ، ومنهم الشيخ نجم

الدين . يذكر خمسة ميادين مختلفة ويميز كلا منها باسم خاص ويفرد له بابا خاصا، ويبدو انها تختلف بعضها عن بعض باختلاف خطوط سير الفارس في حلبة الجري) .

ومن ذلك ايضا باب في الكر والفر والدوران ، باب في المواجهة ، باب في المطاردة ، باب في الضرب بالمقرعة ، باب في العمل بالرمحين ، باب في العمل بالسيف والرمح .

فصل في رمي الفارس ، فصل اذا تبعك فارسان ، فصل اذا تقابلت

مع خصمك . . . الخ

التعليم الثالث : في العمل بالسيف وما ورد فيه - ٣١ ورقة

بعد وصف العاب مختلفة بالسيف ذات أسماء متميزة، يقدم المؤلف
فصولاً في ما يحتاج إليه العامل بالسيف ، وفي وزن السيف وجهازه ، وفي
العمل بالسيف والدرقة والترس .

ومن ذلك عمل بالسيف يذكر أنه من تأليف منصور، المعروف بالمصطنع؛
والعمل بالسيف على الفرس، وفصل بهز السيف والضرب به . ثم يورد باباً
في السيوف وأنواعها وسقاياتها ، وهو رسالة أبي يوسف يعقوب بن
اسحق الكندي للمحتصم بالله .

التعليم الرابع : في الترس وما يرد حوله من مسائل .

التعليم الخامس : في العمل بالعمود ؛ والعمود على ما يبدو قضيب
معنى يستعمل في الهجوم والضرب .

التعليم السادس : في صناعة الجنود والفرسان . خمسة أبواب في
سبع ورقات :

الباب الأول في منافع السرج واللجام .

الباب الثاني في الخفة والثوب على الفرس والرمي عليها .

الباب الثالث في تعليم الفروسية .

الباب الرابع في الصيد وأحوالها .

الباب الخامس في طلب السباع والحذر منها على اختلافها .

التعليم السابع : في الأسلحة ومسائل تتعلق بها : سبعة أبواب في ٣٢

ورقة :

الباب الاول في سلاح الرسول صلى الله عليه وسلم .
الباب الثاني مقسم الى فصول منها لبس الاسلحة ، واين يضعها
الرجل من نفسه ، وماذا ينبغي ان يكون مع كل منها ،
وما ينبغي من حذر وثبت ، وقطع الاتهار والكساري
بالاسلحة .

- الباب الثالث في رجاحة الفارس على اقرانه .
- الباب الرابع في لقاء الفارس الفارس .
- الباب الخامس في لقاء الفارس الراجل .
- الباب السادس في لقاء الراجل الفارس
- الباب السابع في لقاء الراجل الراجل .

التعليم الثامن : في عقد الجيوش وجمعها وآلاتها وامرائها وقوادها
واجنادها، ١١ ورقة، يبحث في واجبات الرئيس والمرؤوس كل نحو الآخر ؛
ومن ذلك تحديد اوصاف مميزة للجنود وخيولها، وطرق صف الجيش وتعبئته،
ووضع الكمين .

التعليم التاسع: في تعبئة الصفوف للقتال، وفي الانواع المختلفة للصفوف،
وينتهي بباب للمبارزة ، اللعب منها والجد ، مع قصص عن مبارزة الصحابة
عليهم السلام — ٢٠ ورقة .

التعليم العاشر : في المكاييد الحربية، يتكلم في اربع ورقات عن ثمانى
مكاييد، منها تسليط النيران، واستعمال النفط في الهدم بما يشبه القنابل
والقذائف، ويتكلم ايضا عن اطلاق انواع من الدخان يتسرب من الثقوب فيقتل
من يشمه .

التعليم الحادي عشر : في قسمة الفنائم والاحكام الشرعية المتعلقة بالجهاد .
في ٣٥ ورقة، يبحث في امور مثل حكم الفنائم والانفال وقسمتها، والامان،

والموادعة، والمصالحة، واحكام الأسير ، والمستأمن ما يُصدَّق فيه وما لا
يصدق ، والمعاقدة، والمعاملة مع أهل الحرب، واحكام المرتدين من الخوارج
والبغاة .

التعليم الثاني عشر: في أمور يحتاج اليها المحارب وغيره ، في ثماني
ورقات، يبحث في وجوه الفأل، وعلامات تظهر في اذنان الخيل ، وفي نبات
النيروز ، والاصوات .

وفيه باب في تدبير المسافرين، وآداب الراحلين، وباب في معالجة
انجروح والذرور والمراهم .

٤ - كلمة تقييم :

بدأت اطالع كتاب نهاية السؤل وأنا في القدس اشبه بمرباط اعزل
يواجه العدو بالايمان بحقه والثقة بعدالة ربه ؛ فتملكني شعور غامر يربطني
بالكتاب ومؤلفه كويدفعني الى تحقيق الكتاب ونشره، ايمانا بأن حاجتنا للجهاد
اليوم كحاجتنا اليه بالامس .

ولكن اذ مضيت في دراسته تزايدت قناعتني بأنه يتكلم عن فنون
ومهارات مضى زمانها .

وان آلة الحرب اليوم تحتاج الى علم ودريسة
وامكانيات أكثر مما تحتاج الى فروسية . حتى الجانب الرياضي ، جانب
المباريات من فروسية الامس، ذهب من بيننا نسيا منسيا في غضون أعصار
من الاستعباد .

فهل نُحَيّ الكتاب جانبا ؟

ان فيه ما يستحق النشر، لاسباب تهم دارس تاريخ العلم؛ فرسالة

الكندي للمعتصم بالله عن سقاية السيوف ، وما يتضمنه الكتاب بن صفحات
عن هدم الحصون بما يشبه قتابل اليوم وقذائفه، ومن كلام عن حرب
الغازات وحرب السموم ، كل هذا قد يتضمن كشوفاً جديدة في تاريخ
الحروب . ولكن في الكتاب أيضاً صفحات كثيرة لا أستطيع فهمها، لأنها تصف
مهارات ذهبت من بيننا طي النسيان ، بكلمات كانت مألوفة في عصرها لا
تحتاج الى تبيان ؛ هذا بالإضافة الى مواطن محدودة تُعَدُّ المؤلف عميقة
الكلام فيها لأنها تقع في اطار الاسرار الحربية .

لهذا رايت مُكرِّهاً ان اكتفي بالتعريف بالكتاب، عسى ان يجد غيري
الدافع القوي لتحقيقه . اما انا فساخترته عندي كما يُخْتَرَن الاثر الذي لا
يقدر بشئ .

ويبقى بعد ذلك صفحات احببت ان اشرك بالاطلاع عليها من تهمم
العربية من الجمعيين وامثالهم، ومن يهمهم الاطلاع على نواحي مجهولة من
الحياة الادارية في الاسلام .

ملاحظة : مع مراعاة لحرمة النصوص ، أُثبِت الهزة وقسمت
النص الى فقرات ؛ وحيث اضطررت الى اضافة كلمة وضعتها بين قوسين ،
وحيث تُعَدُّ عليّ قراءة كلمة عن يقين جعلتُ مكانها ثلاث نقط متتابعة .

الباب الأول من التعليم الثامن

فيما يجب على الملك

ان ينظر في امر الجيش، وان يولي امرهم قائداً يكون اميراً مقدماً جلداً
بصيراً ذا تجربة ، فيقلده عرض الجيش . فليكن هذا الامر تام النهضة ،
كامي الجلادة ، سريع الاقدام ، قليل المحاباة ، غير مهمل لقليل يجب النظر
فيه ؛ فالقليل من الاهمال في حق المعارض فساد لجمهور الجيش ، لانه

متى ساهلهم في شيء من العدد ، وربما اعاد بعض الامراء اصحابه مرتين
او ثلاثة ، وربما حاباهم بالضعيف وبالفرس الاعجب ، وغير ذلك مما يجب
الاهتمام به ، فسبيل الامر على هذا يكون غير مساهل في شيء منه وان
صغر . وينبغي أن يكون قائد الجيش كما قال بزر جمهر : —

لا يصلح لقود الجيش وتدبير الأمور الا رجل تكاملت فيه خلال اربع ،
وثلاث واثنتان ، وواحدة : أما الأربع فحزم ، وحلم يحجب عن التهور فسي
المشكلات الا مع امكان فرجها ، وشجاعة لا تقضها الملمات بتواتر جوائحها ،
وجود يهون جلائل الأموال عند سؤالها .

والثلاث سرعة مكافأة الاحسان الى صالح الأعمال ، وثقل الوطأة على
اهل الزيغ والعدوان ، والاستعداد للحوادث اذ لم يثق بأمان الزمان .
والاثنتان ، اسقاط الحاجب عن الرعية ، والحكم بين القوي والضعيف
بالسوية .

والواحدة : التيقظ في الأمور مع ترك تأخير عمل اليوم الى غد .
فاذا كانت فيه هذه الخصال ، حفظ الجيش حفظا تاما .
وليكن معه كاتب شهيم جلد عارف بالحليّ والثياب .

ويحتاج الامر الى عرض الجند في ثلاثة مواضع : احدها عند ابتداء
عقد الجيش ، والثاني عند ابتداء اللقاء للحرب ؛ وهذا عرض يختص فيه
الترتيب ؛ والثالث عرض عند تمام الفتح ، ويتبعه أيضا قسمة الغنيمة .
ويحتاج أيضا الى الفراسة في الجند .

ونحن ذاكرون فصولا من ذلك تكون معونة لقائد الجيش وكاتبه .

الباب الثاني من التعليم الثامن

فيما ظهرت به اللغة واتصل به العرف ، واهمل من ذلك غريب اللغة فيه ؛ ونحن ذاكرون على رسومهم ذكرا يشتمل على استبقاء في اقتصار .

فمن ذلك الصفات الدالة على الأسنان :

فيقال في حق غير البالغ صبي ، فان كان قد راهق قيل **أمرد** ، فان علا موضع شاربته شعرات سود قيل : **حين طرّ شاربته** ، بفتح الراء ، ويقال : **بقل شاربته** ، والاول أجود؛ فان ظهر مثل ذلك في عارضيه وذقنه قيل : **حين بقل وجهه** ، بتخفيف القاف . فان اسودّت لحيته بالاتصال قيل : **حين اتصلت لحيته** . فان تم شعر وجهه قيل : **شاب** .

فان ظهرت في لحيته شعرات بيض يسيرة، قيل : **حين وخطه الشيب** . فان زاد حتى يستوي البياض والسواد ، قيل : **مجتمع** ، وقيل : **كهل** . فان زاد البياض على السواد ، قيل : **أشيب** .

فان استكمل البياض قيل **شيخ** . وليس يكتب في ديوان الجيوش شيخ لقلّة ذلك فيهم .

فصل في اللحي :

فان كان شعر لحيته موفرا من جميع الجهات قيل : **الحي** . فان كانت موفرة الطول قيل : **طويل اللحية** ، وبعضهم يكتفي بقوله : **الحي** . وان كانت موفرة الذقن ، خفيفة في العارضين قيل : **خفيف العارضين** . فان قلّ الشعر في الذقن والعارضين قيل : **كوشج** . فان قلّ شعره حتى يكون متفرقا جدا ، قيل : **سناط** . فان عري وجهه عن الشعر قيل : **ثط واثط** . وان كان شعره يعلوه شقرة ، قيل : **أشقر** . فان زاد على ذلك حتى احمرّ ، قيل : **أصهب** . فان كان سدل الشعر قيل : **سبط الشعر** . فان كان بخلاف ذلك ،

قيل : **جعد الشعر** . حين يكون متفرقا جدا .

ثم **ينظر في اللون** : فان كان ابيض فان العرب يكتبونه : **ابيض** :
والتأخرين : **تعلاه سمرة** ؛ واتفق الجمهور انهم يكتبونه : **اسمر** . وكذلك
لا يلتقون (بالا) الى اصفر اللون ، لان هذا مما يدخله لبس بزواله . . . ،
الا ان يكون اصليا ، فله اسم يخصه :

فان كان الرجل ابيض يعلوه حمرة قالوا : **اسمر مشرب بحمرة** .

فان كان عليه سمرة مشرب بحمرة ، فان كان عليه سمرة خفيفة قيل :
أدم ، فان زادت قليلا قيل : **أدم ظاهر الأدمة** ، فان زادت كثيرا قيل :
اصفر ، فان اظلم لونه : قيل : **اسود** .

ثم **ينظر في الشعر المتصل من الراس بالجبهة** : فان تحاصص على اعلى
جبهته قيل : **انزع** ، فان كان قليلا قيل : **خفي** ، وان كان كثيرا قيل : **بيّن** .
فان كان بذلك المكان اثر ، قيل : **وبنزعته اثر** ، ويذكر مكانه ، ان كان بجانب
اليمين او اليسار . فان كان اكثر من نزع . . . قيل : **اجلح** . وكان علي ابن
ابي طالب ، رضي الله عنه ، كذلك . فان استوعب مقدار الراس قيل :
اصلح .

ثم **ينظر (الى) الجبهة** : فان كانت واسعة ، قيل : **واسع الجبهة** ،
وان كانت بخلاف ذلك ، قيل : **ضيق الجبهة** . فان (كان) جلدها متكسرا ،
قيل : **بها غصون** ، فان كان بها اثر ، يذكر صفتها من جانب كذا وكذا . فان
اتصل بشعره ، قيل ، **متصل بقصاص شعره** . فان اتصل بحاجبه الايمن
او الايسر ، ذكره وقيل : **مقترن بحاجبه** . وان كان بها خال ، قيل :
بها خال ، **خفي** او **بيّن** ، من جهة كذا .

ثم **ينظر في حاجبيه** : فان اتصلا قيل : **مقرون الحواجب** ، **بيّن** او **خفي** .

فان كان بينهما خط من انثناء . قيل : **مقرون بينهما خط او خطان** ، ان كان مستطيلا . فان كان معترضا قيل **بينهما انثناء** . وان كان بينهما خال ذكره . ثم يذكر كثرة شعرهما ، ان كان ، او **قلته** ، فيقول **مقرون الحاجبين ، غليظهما ، او دقيقتها** . فان انفصل ما بينهما من الشعر ، قيل : **أبلج** ويقال : **أبلد** و**أفرق** . فان رقَّ الحاجب في لطافة ، قيل : **أرج** . في اللغة : **مُزَجَّج** . فان كان شعره كثيفا زائدا فهو **أوظف** . فان سبغ وانعطف فهو : **أقوس** ، فان رق وخف في نبتة فهو : **أمص** ، فان غلظ من قدام ودق من آخر فهو **أمص** ، فان ذهب شعره كله فهو **أمرط** .

ثم ينظر في **الأنف** : فان طال قيل : **طويل الأنف** . فان علا ، قيل : **أقنى الأنف** ، وبعبكسه : **قصيره** . فان كان علوه من قبل آخره فهو **أشمم** ، فان غلظ قيل **غليظه** ، وبعبكسه **دقيقه** . فان أقبل طرف أنفه على نمسه ، قيل : **أورد الأرنبة** . فان انبسط منخراه قيل : **منتشر المنخرين** ، فان عرض وسطه قيل : **أفطس** . فان انخفض آخره قيل : **أخفس** . فان مال الأنف الى أحد الجانبين قيل : **أورد** ، فان كان في طرفه قطع فهو **أجدع** ، فان كان في أحد الناشرين فهو **أخرم** ، فان كان صغيرا مليحا قيل : **أدلف** . . . فان كان قصيرا قبيحا قيل : **أدلف أكزم** فان اشتدت فطسته قيل : **أفطح** . فان زاد على ذلك حتى صار كأنف البقرة قيل : **أختم** ، فان كان مرتفعا نسي ملاحظة فهو **أشمم** . فان اشتد اقبال طرفه على فيه ، الشفة ، فهو **أحجن** . فان مال ذلك منه الى أحد الجانبين فهو **أفغم** . فان ارتفعت أرنبته نحو القصبه فهو **أقنى** .

ثم ينظر في **الشفة** فان كانتا غليظتين قلت : **غليظ الشفتين** ، وبالعكس دقيقتهما ، فان كانت الشفة العليا منقلبة قيل لها : **قالصة** . وان كانت قصيرة قيل : **منشورة** ، فان انقلبت السفلى قيل : **هدلاء** ، ويقال : **دالعة** . فان

كان في العليا شق قيل : اعلم . فان كان في السفلى قيل : افلج . فان كان في وسط العليا نثرة فهي طرماء ، فان كانت النثرة في السفلى قيل : ترفاء .

ثم ينظر الى بشرة الوجه فان كان مضطرس الخدين قيل : مضموم الخدين . فان كان بأعلاهما نتوء قيل : ناتئ. الوجنتين . فان كان بوجهه اثر جدري قيل : مجدور ، بيّن أو خفيّ . فان كان في مواضع متفرقة قيل : بوجهه نبذ جدري . ثم يذكر خلا ان كان به ، وصفته في اي موضع منه كان ، ويقول لونه ، ويذكر لونه فيقول : احمر ، ان كان ، او اسود ، بيّن . ويذكر ما في الوجه من نمش او اثر مستطيل او معترض، او ضربة او غير ذلك .

ثم ينظر الى الاسنان فان كان بينها انفراج قيل : افلج او مفلج الثنايا، ان كان مختصا بها ، والرباعيات والنياب السفلى والعليا ، او كليهما ، او اليمنى او اليسرى ، او كليهما . فان سقط منها شيء ذكرته وذكرته وموضعه ، وما هو ، قيل : ساقط كذا وكذا ، السفلى والعليا ، اليمنى او اليسرى . وان اخضرّ لونها ، او لون بعضها ، قيل : فاسد ذلك منه . فان انسحج طرفها فهو كمش ، بيّن أو خفي . فان انسحج حتى يستوي مع الميت قيل : أدود . فان انكسر قيل : أهتم . فان ذهبت أسنانه وبقيت اسناخها فهو الطع .

ثم ينظر الى اذنيه : فان كان صغيرهما قيل اصمغ ، فان كان مثقوبهما قيل : مثقوب الاذنين ، فان كان في احديهما ذكْرته . وكذلك يذكر ان كان مقطوع الاذنين ، احداهما ، او بعضهما .

ثم ينظر الى ظاهر كفيه وساعديه وباطنهما، فان كان به اثر من ضربة او نار او غير ذلك يقال : في يده كذا وكذا . فهذا مختصر ما جرت به العادة في ديوان الجيوش .

الباب الرابع من التعليم الثامن

في شيكات الخيل

اول ما يبدأ به فيقال فرس أو شهري أو برذون ، والانشى منها حجر ، ويقال له بغل أو بغلة ، ثم يذكر اللون : فان كان اسود قيل ادهم ، فان عكته من الدهمة زرقة قيل : ادهم يشبه اخضر ، فان اشرب اسود أو ظاهر حمرة في باطنه تلي الصفرة قيل ادهم أحوى . فان كان حلوا في اللون فهو كميت . ولون الكميت لون المسك ، فان كان اصفر من ذلك قيل : فاقع الصفرة . فان كان اصفى من ذلك قيل كميت يشبه اصفر ، وان شيت : اشقر يشبه كميتاً . وكذلك كل لون اشكل اعتمد فيه على الاقوى وشبه الآخر . ومن هذا يقولون ادهم يشبه كميت ، وكميت يشبه ادهم . والكميت يكون اسود العرف والذنب ، فان كان احمر العرف فهو اشقر ، فان كان اصفر العرف والذنب والجلد فهو اصفر . وان (كان) اصفر اسود العرف والذنب والجلد قيل سمور . فان كان ادغم اللون ، كلون البغال ، فهو اخضر ، نكتبه نسي كتاب العرض ، وبعض الناس يكتبونه ادغم . فان كان اشقر يميل الى الصفرة فهو ورد ، والاشقر اشد صفرة من الورد . فان كان اشقر تعلوه زرقة او ظلمة فهو اصدى . وهو ان يكون شعره بيضا مُنافيةً للدهمة والكتمة فهو صافي ، فان كثر الشعر المنافد في احد اللونين واشتد ظهوره فهو اشهب احمر بسواد او حمرة . فان كان اشهب الا ان في الحمرة آثارا سودا مباينة لجملة اللون فهو زرزوري اللون . فان كان ناقصا عن الكتمة وزايدا على الشقرة فهو احمر . فان كان ناصع البياض فهو قرطاسي ولباج والعرب تسمي اللون الواحد بهيما ، وتسمي الاشهب والضبابي اشيم واحم . فان اجتمع فيه لوان ، وكل واحد من اللونين نكتة مفردة عن الآخر فهو مدبر . ثم انظر في شية الراس : فان ابيض اعلى راسه فهو اصقع ، وان ابيض اصل ناصيته فهو اقنف ، وان كان في اذنيا شعرات بيض

فهو **أدرا** ، فان ابيض ما بين اذنيه الى البطن فهو **موشح** . فان ابيض أكثر
رأسه فهو **أرخم** ، فان شمل البياض رأسه فهو **أغشى** .

ثم ينظر في شبة الوجه : فان كان في وجهه بياض صغير ، كالدرهم ،
فهو **أفح** ، فان كان أكثر من ذلك فهو **أغر** ، فان كان شديد البياض فهو
أغر موجح . فان سالت غرته فهو **أغر سائل** . فان دقت وجللت الخيشوم
فهو **شمراخ** . فان سالت الغرة الى أحد شقي وجهه فالذكر والأنثى **لطيم** .
فان أخذت الغرة إحدى العينين فهو **أشعل** ، فان شملتهما فهو **مغرب** ، فان
ابيضت شفته العليا فهو **أرقم** ، فان ابيضت السفلى فهو **المظ** ، فان تعدى
الى ناصيته البياض فهي **قرعاء** و **مقرعة** . فان عمها فهي **بشفاء** و **فائشة** .
فان ابيض رأسه وعنقه فهو **أدرع** ، فان ابيض ظهره فهو **أرجل** ، فان ابيض
عجزه دون مقدمه فهو **أذرف** . فان ابيض جنبه او كلاهما فهو **أحصف** ، فان
ابيض بطنه ولم يبلغ الجنب فهو **أنبط** ، فان بلغهما فهو **أجوز** و **يجوز** ؛ فان
جاوز جوزه ، وهو وسطه ، الى الظهر فهو **أرح** ؛ فان ابيض ظهره وبطنه
فهو **مبطن** . فان كان في ظهره اثر سجح السرج ونبت شعر ابيض فهو
موفع . فان اعتدل السواد (والبياض) فيه نصفين او ما يتقاربان فيه فهو
أبلى . فان كانت قوائم الفرس بيضا ، **قل** او **كثر** ، الى نصف الرضيع او
ثلث منها ، فهو **محجل** . فان بلغ البياض ركبته وعرقوب الرجل ، او الى
الركبتين او العرقوبين ، فهو **محجل محبب** . فان جاوز ذلك الى فخذه
وعضديه فهو **مسرول** . فان (كان) البياض في رجل واحدة فهو **أرجل** .
فان كان البياض في رجل ويد فهو **مشكول** ، وهو الشكال ، فان كان محجل
يد ورجل من أحد شقيه فهو **متميل الأيمان مطلق الأيسر** . و **الامسك**
والاطلاق ما ليس به بياض . فان كان البياض في يديه دون رجليه فهو
اعصم . وقد قيل : يكون (في) إحدى اليدين دون الأخرى ، فان كان
البياض في يديه دون رجليه ، وبلغ مرفقيه فهو **أقفر** ، وكذلك اذا كان البياض

باحدى يديه كان بقوائمه شعرات بيض فهو مختَّم وبه خاتم ، فان زاد قليلا فهو منقَل ، فان استدار برجليه دون يديه فهو أخدم ومخدوم ، فان كان ذلك بأي رجله فهو أرجل ، فان ابيضَّ ذنبه (فهو — أصبع) فان ابيضَّ بعض ذنبه فهو اشعل ، فان كان على ذنبه برش فهو موقف . فان كان بسـه سمة في مخذه نُكر ذلك وان لم يكن (به) سمة قيل : غطل .

فهذا (ما) في الشيات ، لا بد لكاتب الجيش من ذلك .

الدكتور احمد سعيدان



ازدواجية اللغة

للدكتور محمد راجي الزغول

جامعة اليرموك

تعتبر مشكلة ازدواجية اللغة العربية من اهم المشكلات اللغوية الاجتماعية التربوية التي تواجه الوطن العربي . ولطبيعة هذا الموضوع الحساسة من الناحيتين القومية السياسية والدينية مانه لم يلقَ عنايئة موضوعية كافية، أو بحثا مستفيضا في ضوء الدراسات اللغوية المعاصرة، خاصة التطورية والمقارنة منها . في هذا البحث سأتناول قضية الازدواجية بالتعريف، وأربطها بالوضع اللغوي العربي، شارحا أربعة أنماط للعربية تُحَدِّثُ عنها الغربيون، وتبعهم العرب في الحديث عنها ؛ ثم فكرة الدموة الى العامية، مبينا ثلاث مراحل تاريخية هامة لتطورها. ومن ثم سأتناقش هذا الوضع في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، الأخلص بنتائج واقتراحات آمل أن تكون موضع المناقشة والتنفيذ . ونظرا لأن جنور المشكلة تكمن في الاهتمام الذي ابداه الغربيون بها ، فسأورد في كثير من المواقع استشهادات مما قاله بعض مفكرهم في الجوانب المختلفة لهذه القضية .

ان كلمة « ازدواجية » ترجمة للاصطلاح الانجليزي " Diglossia " .
يُعتَقَدُ ان اول من تحدث عن هذه الظاهرة هو اللغوي الالماني كارل كرمباخر

في كتابه المشهور **مشكلة اللغة اليونانية الحديثة المكتوبة** (١) عام ١٩٠٢م اذ تطرَّق الى طبيعة هذه الظاهرة واصولها وتطورها ، واثار بشكل خاص الى اللغتين اليونانية والعربية، وخلص الى نتائج تفسر كثيرا من التطورات المتأخرة لبعض الدعوات في العالم العربي ، اذ اقترح على اليونانيين ترك « ازدواجيتهم الشرقية » وللحاق بالعالم الغربي بتبني العامية لغة قومية، كذلك دعا العرب الى ترك فصيح لسانهم وتبني احدى اللهجات — فضلا المصرية — لغة قومية . لكن الراي العام المقبول في ادب هذه الظاهرة اللغوية هو ان العالم الفرنسي وليم مارسيه اول من نحت هذا الاصطلاح (بالفرنسية *La Diglossie*) وعرفه في مقالة تخص الازدواجية في العربية عام ١٩٣٠ بقوله :

« هي التنافس بين لغة ادبية مكتوبة ولغة عامية شائعة للحديث » (٢) وبعد ثلاثة عقود من الزمان ، وعلى جهة التحديد عام ١٩٥٩، وفي مقالة تعدّ من أشهر ما كتب عن الموضوع — لانه قلما تجد باحثا في الازدواجية لم يرجع اليها — قدّم اللغوي الامريكي شارلز فيرجسون هذا الاصطلاح الى الانجليزية، اذ بحث اربع حالات لغوية تتميز بهذه الظاهرة، وهي: العربية واليونانية والالمانية السويسرية، واللغة المهجنة في هايتي . كما قدّم فيرجسون تعريفه المعروف لهذه الظاهرة :

« حالة لغوية ثابتة نسبيا، يوجد فيها فضلا عن اللهجات الأساسية (التي ربما تضم نمطا محددًا او أنماطا مختلفة باختلاف الاقاليم) نمط آخر في اللغة مختلف ، عالي التصنيف (وفي غالب الاحيان اكثر تعقيدا من الناحية القواعدية) فوقى المكانة، وهو آلة لكمية كبيرة ومحترمة من الادب المكتوب لعصور خلت، او لجماعة سالفة، ويتعلم الناس هذا النمط بطرق التعليم الرسمية ، ويستعمل لمعظم الأغراض الكتابية والمحادثات الرسمية، لكنه

لا يستعمل من قبل أي قطاع من قطاعات الجماعة المحلية للمخاطبة أو
المحادثة العادية « (٣)

دعا فيرجسون هذا النمط « المرتفع » وهو النصحى ، وتساير
استعماله « بالمنخفض » وهو النمط العامي، وأعطى نموذجه التالي
لاستعمالات كل منهما لتوضيح الفروق المذكورة : (٤)

الحالة	عال	منخفض
١ - الوعظ في المسجد (أو الكنيسة)	x	
٢ - التعليمات للخدم والعمال والكتبة		x
٣ - الرسائل الشخصية	x	
٤ - الخطبة في مجلس الأمة ، الحديث السياسي	x	
٥ - محاضرات الجامعة	x	
٦ - الحديث مع الأصدقاء والزلاء وأفراد العائلة	x	
٧ - إذاعة الأخبار	x	
٨ - التمثيليات الاجتماعية في الإذاعة	x	
٩ - افتتاحية الصحف ، أخبار الصحف والعناوين	x	
١٠ - التعليق على الكاريكاتير	x	
١١ - الشعر	x	
١٢ - الأدب الشعبي	x	

ويمضي فيرجسون في المقالة نفسها ليتبنا بما ستكون عليه الحالة
اللغوية في اللغات الأربع المذكورة بعد القرنين القادمين، وعلى وجه تقديره
عام ٢١٥٠ . والجزء الخاص بالعربية جدير بالذكر هنا ، ويفسر لنا أيضا
بعض الاتجاهات والدعوات في العالم العربي . يتوقع فيرجسون أن يكون
هناك تقدم بطيء نحو تطور مجموعة من الأنماط اللغوية يرتكز كل منها على

احدى العاميات مع مزيج مركز من مفردات الفصحى . وهناك بناءً على توقعه ثلاثة أنماط رئيسية : اولها العربية المغربية وترتكز على عامية الرباط أو تونس ؛ وثانيها المصرية وترتكز على عامية القاهرة ؛ والثالثة ما أسماه المشرقية وترتكز على عامية بغداد . ويضيف فيرجسون مكملاً توقعاته أنه بناء على تطورات سياسية واقتصادية غير متوقعة، فلربما نشأ نمط جديد للعربية في سوريا، مرتكزا على عامية دمشق، وآخر سوداني يرتكز على عامية أم درمان أو الخرطوم ، أو أنماط أخرى على حد قوله . (5)

ودعا فيرجسون في ختام مقاله المختصين لدراسة هذه الظاهرة بشكل أوسع، وقد تم ذلك بالفعل، وخاصة بين علماء اجتماع اللغة . يقول دل هايمز (6) اللغوي الاجتماعي الأميركي تعليقا على مقالة فيرجسون إن الازدواجية مثال ممتاز لتعايش نظامين غير متبادلي الفهم (ويقصد هنا الفصحى والعامية، وصعوبة فهم الفصحى على العوام) وتربط كل من هذه الأنظمة بمفاهيم وقيم مختلفة ، وكمثال لضرورة الرجوع الى الجماعة المحلية للتحكيم لتجنب أي تحريف أو تشويه قد ينشأ بحالة الاتصال . وكذلك تعرّض لهذه الظاهرة بالدرس كل من جمبيرز Gumperz وفشمان Fishman ؛ فقد أضاف جمبيرز في أعماله الكثيرة ذات العلاقة بهذه الظاهرة (7) أن الازدواجية ليست حصرا في المجتمعات المتعددة اللغات، التي تعترف رسميا بعدة لغات ، ولا في المجتمعات التي تتكلم أنماطا عامية وفصحى، ولكن في المجتمعات التي تستخدم لهجات منفصلة ، أو أساليب مختلفة، أو أي أنماط أخرى تخدم وظائف مختلفة . كذلك بحث النماذج الاجتماعية التي تحدد استعمال نمط دون آخر . أما فشمان (8) فقد لخص ما تقدّمه لدراسة هذه الظاهرة بأنه تناول استمرارية الازدواجية وتطبيقاتها على المستوى القومي والاجتماعي . وحاول ربط الازدواجية ببعض الاعتبارات النفسية وما يختص منها بثنائية اللغة bilingualism

بشكل رئيسي، ودرس نماذج من الجماعات التي تتميز بالازدواجية والثنائية، وبالازدواجية دون الثنائية، وبالثنائية دون الازدواجية، والجماعات التي لا تعاني من الازدواجية أو الثنائية. وقبل سنوات قليلة، تناول الن كي (٩) A. Kaye تعريف الازدواجية بشكل مختلف، اذ انتقد تعريف فيرجسون لها، ووصفه بأنه « انطباعي ». ونظر الى وضع الازدواجية كوضع لا يبيل الى الاستقرار والثبات كما فهمه فيرجسون؛ كذلك فهم الفرق بين النمطين الاساسيين للعربية الفصحى والعامية بأنه الفرق بين نمط معرف " defined "، وهو العامية، وغموض التعريف " ill defined " وهو الفصحى. فالعامية في رايه نمط معرف، لان الطفل يتعلمها لغة أولى، أما الفصحى فانها نظام غامض التعريف لانها لا تكتسب لغة أولى، بل يتعلمها الطفل فيما بعد في المدرسة. وفي اعتقاده انه لوجود تفاعل مستمر بين النظامين، لا يمكن أن نستنتج بأن الوضع الازدواجي يبيل الى الثبات، بل على العكس هو متغير.

لقد اعتبر الوضع الازدواجي في أية لغة انه يشكل عوائق مختلفة للناطقين بتلك اللغة؛ كما اعتبره الكثير من الباحثين عائقا للتعليم وللتطور التربوي والاقتصادي والتماسك القومي. يقول الباحث سوتيرو بولص (١٠) الذي تناول بالتفصيل الوضع القائم باليونان، حيث كان لأمد قصر التنارع بين الفصحى والعامية كلفة للبلاد (لقد حلت المشكلة في اليونان قبل بضعة أشهر بتبني العامية « ديموتيكاً » لغة رسمية للبلاد، وترك الفصحى « الكاثارفوسا » بناء على قرار حكومي) في وصف انعكاسات الازدواجية اللغوية.

... « وان تكن الازدواجية، وبشكل موضوعي، أداة بارعة للضرورة، فانها من وجهة النظر الاقتصادية والتماسك القومي وفعالية

التعليم والاتصالات وأجهزة الاعلام لعائق . بالاضافة الى ذلك ، اذا اعتبرنا إن وظيفة اللغة ليست للاتصال وحسب، وحقيقة أن اللغة تخدم احتياجات الشخص والمجتمع العاطفية والمعرفية والنفسية ، فان وجود الازدواجية في الجماعة اللغوية لذو آثار محددة، بل معتدة لقوتها التعبيرية . الازدواجية رمز وتذكرة للصراع الاجتماعي ونقص التماسك الاجتماعي .»

هل يُصَدِّقُ هذا على العربية ؟ ان كان الحال كذلك فكيف الطريق لتجنب تلك العوائق ؟ هل للعربية وضع خاص يختلف عن غيرها مسن اللغات ؟ سأحاول الاجابة عن هذه الاسئلة بعد ان احدد المشكلة في سياقتها العربي . لذلك سأبدأ ببحث أربعة أنماط للغة العربية ، يعرف منها العرب الفصحى والعامية ؛ اما النمطان الآخران فقد أبرزهما كتاب غريسون او عرب تعلموا بالغرب وبأمريكا خاصة . ولو وضعنا الانماط الأربعة على خط مستقيم لوجدنا الفصحى على طرفه الأيمن ، والعامية على طرفه الأيسر، وقارب كل من النمطين الجديدين احد الطرفين . والانماط الأربعة هي العربية الفصحى ، العربية الحديثة ، عربية المثقفين والعامية . سأبحث تلك الانماط مبينا بعض الاتجاهات نحو الانماط المناقشا ومبينا بعض آراء الدارسين الغربيين لظاهرة الازدواجية في اللغة العربية .

١ - العربية الفصحى، وهي ما يسميه الغربيون Classical Arabic

او Fusha Arabic وما سماه فريجسون بالنمط العالمي او

« المرتفع » .

الفصحى بالدرجة الاولى هي لغة القرآن ولغة الاسلام، وهي الوسط

الذي انتشر به الاسلام دينا وثقافة . والعلاقة بين العربية الفصحى

والاسلام علاقة عضوية حميمة . قال تعالى : « انا أنزلناه قرآنا عربيا »

وقال « بلسان عربي مبين » . ولا غرو أن يكون هذا السبب الأول في

احتفاظ العرب على اختلاف مآربهم وأهوائهم عبر التاريخ، ورغم كل ما بذله الغازون والمستعمرون عبر التاريخ العربي الاسلامي من جهد في سبيل تحويرها أو تحريفها أو ابدالها بلغة أخرى . ولا بد من نظرة عميقة في هذه العلاقة بين العربية والاسلام، التي تنعكس في آراء المسلمين في بلاد منها الصين وبورما وأفغانستان وروسيا السوفيتية وغرب إفريقيا، وفي آراء ومعتقدات العرب منهم خاصة، حتى ندرك قيمة هذه اللغة ومدى تمسك المسلمين بها . وقد حاول عدد من المفكرين المسلمين أن يشرحوا أو يبينوا هذه العلاقة وللنكر الغربي بالذات ، وللمستغربين في تفكيرهم . فعلى سبيل المثال يقول الشيخ عناية الله الأستاذ في جامعة البنجاب، في مقالة نشرتها مجلة Islamic World في توضيح هذه العلاقة (١١) :

« العربية ذات أهمية عظيمة كونها اللغة الدينية للمسلمين الذين يكونون خمس الجنس البشري . . . ويتم التأكيد في القرآن الكريم مرارا وتكرارا على حقيقة أن كلمة الله قد أوحى بها باللسان العربي . ومن طرف العالم الاسلامي الى الطرف الآخر ، ومهما كانت لغة المسلم سواء كانت بربرية أم حوساوية أم بشتو أم فارسية أم تركية أم جاوية أم ملاوية، فإن الصلوات تقام خسة أوقات بالعربية يوميا . أما الكلمات الأساسية في العقيدة الاسلامية — لا اله الا الله محمد رسول الله — فاتها تهمس في اذن الوليد، ومن بين أولى الجمل التي يعلم الطفل أن ينطق بها ، وينبغي أن تكون هي الكلمات الاخيرة على شفاة الميت . »

ويستطرد الشيخ عناية الله :

« بدون العربية يكون فهم الاسلام ناقصا، ولاي فهم للأفكار المؤثرة بطريقة حياة المسلمين وعقائدهم التي يعتبرونها أكثر الأشياء قدسية، ومبادئ دينهم وأخلاقهم التي ينشأون عليها ، علينا أن نعود للعربية

نهى الاداة الاصيلة لكل العلوم الدينية في الاسلام » .

من هنا نبع الاعتقاد بقدسية اللغة العربية بشكلها الفصيح، وقد اثر هذا الاعتقاد تأثيرا واضحا باتجاهات العرب نحو لغتهم . يقول أنسور شحنة (١٢) في كتابه المعروف في الغرب عن اللغة العربية واهميتها في التاريخ واصفا اثر هذا الاعتقاد :

« ان الايمان بقدسية القرآن فيما يتعلق بمعانيه وكلماته، وحتى ادق تفصيلاته، أصبحت تشمل وتحتوي اللغة العربية بكليتها . ان مسألة كون العربية اعطية الله - وبناء عليه فهي فوق اللغات جميعا بجمالها وثروتها ونبلاها - قد استحوذت بعمق اهتمام وتفكير فقهاء اللغة ومشرعي الاسلام والفلاسفة والفقهاء وغيرهم » .

ان ما لا يفهمه الغربيون والمستغربون من اعداء امة العرب هي هذه العلاقة العضوية الحميمة بين الاسلام والعربية، وما لها من انعكاسات على تفكير المسلمين، ومنزلة هذه اللغة بأنفسهم . وعلاوة على ذلك كله ما تركته هذه اللغة من آثار على استمرار الخط الحضاري المتناسك للعرب والمسلمين . فبالاضافة الى كونها لغة الاسلام ، فقد كانت اللغة التي سُجِّلت بها الحضارة العربية الاسلامية وحُفظت . ولا نستطيع ان نعطي هذه النقطة حق قدرها الا اذا امعنا التفكير فيها ووضعنا الفرضيات المختلفة فيما لو كان الحال غير ذلك . دعني هنا اقتطف بعض ما قاله المستشرق كاشيا في تبيان توضيح هذا الامر ؛ يقول كاشيا :

« فوق ذلك كله فان الفصحى هي مفتاح تلك الكنوز الضخمة من الماضي . . . ثباتها لم توازه اية لغة، وفي هذا اليوم يستطيع اي عربي في المرحلة الثانوية من تعليمه ، ان كان مهتما وقادرا على بذل قليل من الجهد، ان يعبر الى (ويكون في متناوله) السجل الكامل للالف وثلاثماية عمام

هل يستطيع الانجليزي او الفرنسي او الاسباني عمل ذلك ؟ هل يستطيع التركي او الطلياني عمل ذلك ؟ هل يستطيع اي شاب من تلك الجنسيات ان يقرأ تراث امته كما كتب لفترة ما قبل الف عام مثلا ؟ وحتى خمسمائة عام ؟ تتمنى الامم ان يكون ابناؤها قادرين على دراسة تراثها لهذه الفترة الزمنية . ان الانجليزي على سبيل المثال لا يستطيع ان يقرأ اي شيء من تراثه بشكله الاصلي مما يزيد تاريخه على خمسمائة عام وحتى ذلك من الصعوبة بمكان . اننا لن نستطيع ادراك اهمية ذلك الا اذا ادركنا قيمة الاستمرارية الحضارية على المستوى الانساني وبشكل شامل .

بالاضافة الى هذه العلاقة مع الاسلام فان علاقة العربية بالقومية العربية والوحدة العربية ليست اقل من ذلك بمكان ؛ فهي عماد القومية العربية وواحد اهم مكوناتها كما اوضح ذلك عدد كبير من كتاب العالم العربي وادبائه ومن بينهم ساطع الحصري في معظم كتاباته في هذا الميدان . (١٤) كذلك ما زالت العربية بشكلها الفصيح اكبر قوة موحدة في عالم عربي تتنازعه قوى التفتت بعد الاسلام . وهنا اود ان اقتطف بعض ما قاله الأستاذ السابق في الجامعة الأميركية في بيروت ريتشارد يوركي في مقدمة لمحاضرة القاها في قاعدة لاكلانز الجوية الأميركية بمجموعة من العسكريين الاميركيين الذين يدربون مبعوثي بعض الجيوش العربية في اميركا . يقول يوركي : (١٥)

« وعلى اختلاف تلك الدول وتشعبها ، هناك قوة موحدة عظيمة واحدة : العربية الفصحى ؛ هذا النمط من العربية الذي تحمّل وثبت لالف وخمسمائة عام خلت ، والذي يعتبر لغة القرآن المقدسة ويحترم تراثه الادبي الهائل . بشكل رئيسي ، لم تتغير هذه النوعية من العربية منذ عهد محمد وهي تراث عام يوحد جميع العرب : ذلك العربي الفرنسي

الثقافة في المغرب ، وذلك الكاتب الانجليزي التعليم في فلسطين، وذلك
البدوي الذي ما زال متنقلا في الحجاز ، جميعهم يتقاسمون احتراما شبيه
اسطوري لفصاحة ومرونة العربية، وبشكل خاص ما دعاه المستشرق
البريطاني جب « لغة الادب الثمينة، والمزينة بخيال غالبا ما يكون ساحرا
ومترامي الاطراف » .

بالرغم من تلك الوظائف التي تؤديها، وأدتها، العربية الفصحى ، الا انها
وصفت وتوصف من قبل ابنائها أحيانا واعدائها أحيانا أخرى بالجـمـود
والاصطناعية والصعوبة المتناهية، خاصة من قبل الداعين الى العامية .

كذلك يعتبرها عدد من الباحثين لغة « غير طبيعية » لأنه ليس هناك
من يتعلمها لغة أولى، بل يتعلمها الطفل لغة ثانية في المدرسة . وهذا الكلام ،
ولا شك ، نابع عن جهل؟ إذ ان الكثير من اللغة العربية الفصحى يتعلمه
الطفل اثناء اكتسابه لعاميته . اما صعوبتها وصعوبة تعلمها فيتذرع
الداعون لذلك بصعوبة نحوها الذي كتب قبل ما يقارب الف عام، وقلما تغير
بعد ذلك . بالرغم من ذلك فانه يشهد لها كواحدة من اغنى ، ان لم تكن
اغنى ، لغات العالم بمفرداتها . ورغم ان فيرجسون، في مقالة ثانية عما دعاه
خرافات عن اللغة العربية، يدرج هذه كاحدى الخرافات، الا انه يدعمها
كحقيقة بقوله إن ذلك ناتج عن الاستمرار الطويل في استعمال الفصحى،
ودوام اثراتها من اللهجات وطرق النكت الأخرى . (١٦)

٢ - العامية او المحكية او الدارجة؟ وهو النمط الذي يسميه الباحثون
الغربيون Colloquial Arabic او Spoken Arabic .

في الكثير من الأبحاث المنشورة عن العربية ، هناك تركيز على
الفكرة القائلة بأن اللهجات العامية تطورت عن الفصحى، بعد اتساع رقعة
الدولة العربية الاسلامية، واتصال الشعوب العربية بشعوب أخرى

بالإضافة الى توزيعهم الجغرافي . لا داعي هنا لمناقشة هذا الرأي ، لكن هناك الكثير من الدلائل التي تشير الى أن اللهجات العربية قديمة قـدم اللغة العربية نفسها، وما الفصحى مقارنة بتلك اللهجات الالفة ادبية مشتركة، كـتـب بها الشاعر الشمالي والجنوبي والشرقي والغربي، على اختلاف لهجاتهم المحلية تبعا لاختلاف لهجات قبائلهم .

كذلك كانت هذه اللغة الادبية هي أداة التفاهم في اللقاءات والأسواق الادبية . يخلص الدكتور محمود حجازي في كتابه "اللغة العربية عبر القرون" (١٧) الى نتيجة أنه انطلاقا من وجود هذه اللغة الادبية فإنه « من الطبيعي أن يكون القرآن الكريم بلسان عربي مبين »، وأن لا يكون محليا في التعبير بلهجة ما، بينها الاسلام دعوة الى تجاوز المحلية القبيلية الى أفق عالمي أرحب . وقد اعتبر عدد من الباحثين أن هذه اللغة الادبية هي لهجة قريش، وقد تبنى من بين المحدثين الدكتور صبحي الصالح في كتابه « دراسات في فقه اللغة » وجهة النظر هذه ودافع عنها . (١٨) بالرغم من ذلك فإن اللغويين العرب لم يبدوا اهتماما باللهجات ودراستها ؛ ومرد ذلك غلبة التشابه بين هذه اللهجات من جهة، وبينها وبين اللغة الادبية من جهة أخرى، وسهولة التفاهم، أو وجود ما يسمى بالنظرية اللغوية الحديثة، « الفهمية المتبادلة » (Mutual intelligibility) بين هذه اللهجات واللغة الادبية . بالرغم من عدم الاهتمام الفائق ذلك، فإن هناك اشارات للمزايا البارزة لكل من هذه اللهجات واختلاف بعضها عن بعض ، اورد الكثير منها ابن جني في الخصائص (١٩) . ومن الطبيعي أن يكون التركيز على المزايا البارزة، وخاصة في حقل الأصوات، وهو حقل يثير الاهتمام والملاحظة . وجملته المشهورة تلخص بعض الخصائص البارزة لتلك اللهجات حين قارنها بلهجة قريش « فقد ارتفعت قريش في الفصاحة عن عننة تميم ، وكشكشة ربيعة، وكسكسة هوازن، وتضجع قيس، وعجرفية

ضبة وتلقب بهاء» ، كما ورد المزيد منها في الزهر (٢٠) كالنفخة في لغة
هنيل، والعجمة في لغة تضاعة، وشنونة اليمن، ولخلخانية اعراب عمان،
وطمطانية حمير ... الخ .

لكنه باتساع رقعة الدولة العربية الاسلامية، ومخالطة الاعاجم،
والنصال بلغات مختلفة ومتعددة الأصول والفروع، أخذت الفوارق تزداد بين
تلك اللهجات من جهة، وبينها كمجموعة وبين الفصحى من الجهة الاخرى .
وبالرغم من اتساع الفوارق، الا ان انتشار الفصحى لم يتوقف؛ اذ كانت هي
الاساس، وأصبحت لغة العلم والسياسة والابداع والتأليف والترجمة
فيما بعد . ثم أخذت في الركود في العصور المتأخرة، حتى كان الحكم
العثماني ومحاولات التتريك، ثم الاحتلال الفرنسي ومحاولات الاحتواء والضم
بالقضاء على العربية ، والاحتلال الانجليزي ومحاولات التجزئة بضرب
الفصحى . وهكذا زاد اتساع الشقة بين اللهجات والفصحى بزيادة
استعمال اللهجات، وقلة استعمال الفصحى؛ حتى وُصف بعضهم الفصحى
بأنها لغة ثانية ، واصبح الاعتقاد الشائع ان الفهم المتبادل بين اللهجات
ضعيف .

ينظر العربي بشكل عام لهجته بالنسبة للفصحى على انها ليست
ناقصة وحسب، بل انها تشويه للفتنا المقدسة ، لغة الفصاحة والادب، وقد
وُصفت العاميات بأقذع الالفاظ من قبل الأدباء والكتاب العرب، فهي مصاحبة
للجهل والسوقية، كما قال عبد الملك (٢١) لغة السكارى والخسدم ...
فوضوية ولا قواعد لها، كما يقول مبارك (٢٢) علامة للجهل والامبريالية، كما
يقول ناصيف (٢٣) ، لا تستحق أن تسمى لغة، ولا تلائم أهداف الحياة الثقافية،
كما يقول طه حسين (٢٤) ، ينشرها ويحبذها الاميون، كما يقول فهمي (٢٥)
... الخ . وبعض هذه الاوصاف مبالغة في الاتهام وتنقصه العليسة ؛

فالعامية قواعد، وتستطيع كتابتها ان كان ذلك ذا جدوى؛ وهي تميل الى التبسيط في النحو، اذ تُلغى الحركات وتقل الأوزان والتمييزات؛ ولكن هناك اسما امتن من ذلك للحكم على العامية وتفضيل الفصحى . وبالرغم من هذه الاتجاهات السلبية نحو العامية في العالم العربي، فان العامية تقوم بوظائف جديدة في عالمنا، ربما تستمر ولدهة من الزمن، وذلك لارتفاع نسبة الأمية . يقول صالح الطعمة في كتاب نشرته جامعة هارفارد في اميركا واصفا هذه الوظائف (٢٦) :

« ان تطور اشكال جديدة من الادب والدراما، والاستعمال المكثف لوسائل الاعلام، قد زود العامية بوظائف مهمة في بعض الحالات، كما في الفنون المحلية، كالآغاني، والسينما، فانها تخدم كلفة أساسية . وفي اشياء اخرى، كالدراما والقصص، فقد اخذ استعمال العامية يزداد ويركز عليه، وخاصة في الاعمال الموجهة للمشكلات الاجتماعية » .

لا شك في ان العامية تميل الى التبسيط، وخاصة في القواعد؛ اذ على سبيل المثال تخفني صيغة المثني تقريبا، وينقص عدد الضمائر، وتخفني معظم اوزان الجمع، وصيغ الافعال، وكذلك تخفني حركات الاعراب . . . الخ . لكن هذا التبسيط هو ولا شك على حساب القدرة على التعبير، ويتناسب طرديا مع تضيق الافاق لا توسيعها . كذلك فان العامية قاصرة عن ان تفني بالتعبير عن الامور الثقافية والفكرية والفلسفية؛ وعلى المتكلم في هذه المواضيع ان يعود الى الفصحى ليمزجها بتراكيب العامية، ان اراد التعبير عما يقول بشيء من الدقة .

هناك بين هذين النمطين، الفصحى والعامية، نمطان آخران من ابتداء دارسي العربية والمهتمين بالظواهر اللغوية في الغرب؛ وهما ما يسميان بعربية المثقفين Educated Arabic والعربية الحديثة

Modern Standard Arabic (M.S.A.)

٣ - عربية المثقفين Educated Arabic . عربية المثقفين اسم جديد لنماذج العاميات الاقليمية وداخل الاقليم الواحد مع الفصحى في كلام المتعلمين من اقليم عربي واحد او من اقطار عربية مختلفة حينما يجتمعون . وقد قام بدراسة تحليلية لهذا النمط عدة باحثين ، اخص بالذكر منهم ثلاث دراسات قام بها «حاييم بلانك» (٢٧) عندما حلل كلام اربعة من الطلبة العرب القادمين الى اميركا (١٩٦٠) ؛ وشعبان (٢٨) الذي حلل كلام ستة من الطلبة العرب (لبنانيان ، سعودي ، عراقي ، عماني ، وتونسي) ؛ وزغول (٢٩) الذي حلل كلام عشرة من الطلبة العرب (سعودي ، مصريان ، عراقي ، جزائري ، و اردنيان ، سوداني ، عماني ، ومغربي) .

اتفقت نتائج هذه الدراسات الثلاث على ان ترتيب الكلام يبقى عاميا ؛ كذلك يبقى النحو والصرف عاميا ولكن هناك ميلا لاختيار الالفاظ من الفصحى ؛ كما ان هناك ميلا لاستعمال اصوات الفصحى وخاصة الصحيحة منها . لكن هناك انتقالا للاصطلاح الاجنبي في كثير من الاحيان . ان هذا النمط خليط من العامية وبعض جوانب الفصحى ولكنه يبعد عن الفصحى كثيرا . يقول بلانك مثلا في ختام دراسته :

« انه الاستثناء وليس القاعدة ان تجد اي كلام متواصل في اي من الاتماط المشار اليها (الفصحى او العامية) ؛ اذ يميل المتكلم الى التنقل من نمط لآخره وفي داخل الجملة الواحدة » .

ويستنتج شعبان : « تبقى عربية المثقفين بغالبيتها تحت سيطرة العاميات وخصائصها خاصة في مجالي الاصوات والقواعد ؛ والركون الى الفصحى يعتمد على الموضوع المثار ، وبلد المتكلم ، ومعرفته باللهجيات

الأخرى » .

٤ - العربية الحديثة أو ما يسمى في الغرب Modern Standard Arabic (MSA) أو Neo-Classical Arabic .

لقد تطور هذا النمط من العربية بنمو الصحافة وتطورها وانتشار وسائل الاعلام ؛ ويقصد به تلك النوعية من العربية التي تكتب بها الصحف وتذاع بها نشرات الأخبار والبرامج الثقافية في الاذاعة والتلفاز . يختلف هذا النمط قليلا عن الفصحى ، وما هو الا تبسيط للفصحى من بعض الجوانب، وذلك ليكون الكلام مفهوما لاي عربي يجيد القراءة والكتابة . وهذا كذلك ما سماه الأدباء العرب قبل حين « لغة الجرايد » . للمثقف العربي ليست هناك فروق واضحة ، اذ ما تزال اصوات الفصحى نفسها تستعمل، وكذلك قواعد النحو والصرف نفسها .

والفرق الوحيد الذي يستحق الذكر هو الميل الى استخدام الشائع من الالفاظ والبعد عن الاغراب ، والمرونة الزائدة احيانا تجاه استعمال العبارات المترجمة (مثل يلعب دورا هاما ، في الجانب الآخر ، السنخ) والالفاظ المستعارة من اللغات الأجنبية .

ان مفهوم ما يسمى بالعربية الحديثة، غريب عن العالم العربي؛ والكل يفترض ان هذا النمط هو الفصحى بعينها. ومن غير المتخصصين الذين تلقوا تعليمهم في بريطانيا أو أميركا ، هناك القليل ممن يعلمون بوجود هذا النمط، إن وجد فعلا . بالرغم من ذلك فان بعض الباحثين قد بالغ في تقدير هذا النمط خطوة نحو تحديث العربية وتسهيلها. وآراء الباحث جارسلوف ستيتكينيتش (٣٠) التي ضمنها في دراسة من أوسع الدراسات عن العربية الحديثة، والتي نشرت في كتاب في الانجليزية، جديرة بالعرض والتمحيص لاهيتها وحتى خطورتها في بعض الأحيان . يقول ستيتكينيتش في خلاصة

كتابه عن هذا النمط من العربية (٣١) :

« ان المفهوم الخادع بأن هذا النمط من العربية غير مطعم لوجود ؟
اذ نادرا ما سيكون القاموس ذا فائدة في تتبع آثار الابتعاد عن الفصحى .
والتوسعات في المعنى الواردة واسعة وشفافة لدرجة انها لا تعيق استيعابا
مرضيا . توسيع الصفات يدعّم السياق التشبيهي ، والانطباع المسامح
هو ان تلك لفظة واضحة وشفافة بحيث لا يتردد الشعراء والكتاب
في استعمالها ، ونادرا ما يركز النقاد على خصائصها . وفي الحقيقة فان
الانطباع المتزايد هو أنه لا يبدو أن هناك ما يميز ما يختص بهذا النمط .
وهي ليست « بلغة الصحفيين » كما كانت تسمى قبل خمسين عاما . كذلك
فانها ليست اختراعا جديدا أو صرعة . لقد غمر الوضوح الطبيعي في هذا
النمط المصطلح المستعار، حتى أصبح من الصعب التمييز بأن هذا النمط
غريب أو خارج عن العربية الفصحى . وفي الوقت نفسه فان قليلا من
مستعملي هذا المصطلح العربي الجديد يعلمون مدى قربهم من آفاق لغوية
جديدة . يستطيع المترجمون الآن دون عناء ، وبسهولة فياضة أن ينقلوا
العربية المعاصرة للغات الحديثة الأخرى، والعكس بالعكس .

كذلك تظهر المحبة والألفة اللغوية على التباين الذي ساد سابقا .
كذلك يجد العرب اللغات الأجنبية أسهل، والآخرون يرون العربية أسهل
كذلك . »

ويمضي ستينكفيثس بعيدا في استنتاجاته ليصل الى نتيجة
ان قواعد اللغة العربية الحديثة لم تبدأ بالابتعاد وحسب عن العربية
الفصحى ، لكنها بدأت تتسبب في غربنة ديناميكية التفكير في العربية ؟ وان
العربية كلفة قد تعدت حدودها من الوجهة السلالية، من لغة سامية لتدخل
مجوعة اللغات الأوروبية الحديثة الفوق السلالية . ونتيجة ستينكفيثس

التي ينهي بها كتابه جديرة بالتمحيص، خاصة من الهيئات المشرفة على التخطيط اللغوي في العالم العربي . يقول ستينكيفتش : (٣٢)

« من خلال مفرداتها (الغربية) الجديدة ، وسياق صقل التفكير الذي تقوم به المفردات ، وأخيرا وليس آخرا من خلال تلك الثروة العظيمة والتنوع لتلك النماذج الإصطلاحية المستوعبة، وأشباه الجمل الأدبية المستعاره فان العربية الحديثة قد تعدت حدود سلالتها النسقية، وانها قد دخلت بصلة الفة مضمارا لغويا حضاريا مع عائلة جديدة فوق سلاية من اللغات الأوروبية الحديثة . أما عملية استيعابها في الغرب فقد بدأت حديثا، لكن تهيئتها ثابتة وخطاها بالطبع سريّة . تستمر العربية الحديثة من ناحية صرفها لغة سامية، والى حد بعيد ما زالت الفصحى في هذا المجال؛ لكن بقاءها ضمن هذا التعريف سيكون غلطة . فجلّ تركيب نحوها الآن يتمشى مع ديناميكية تفكير غير سامية الى حد بعيد . فالعقل العربي الحديث يتحول الى فرع للعقل الغربي الحديث، ويحتفظ بالقليل القليل من صلابة ديناميكية التفكير السامية . والعقل العربي الحديث يتحول الى استمرار للعقل الغربي، ولهذا فانه يحتفظ بالقليل من عادات التفكير السامية المتصلبة، وكذلك بالقليل من القوالب الكلاسيكية والخصائص التركيبية، وان روحا لغوية ثقافية حديثة مشتركة تتطور الآن لتكون العامل المعرف للعبية الحديثة » .

لا شك في أن ستينكيفتش يباليغ في نتائجه بتأثير اللغات الأوروبية على العقل العربي، وطريقة التفكير العربية من خلال التأثير اللغوي، لكن تلك الاستنتاجات لا تخلو من الكثير من الصحة . يعارض هذا السراي لستينكيفتش نجم بزرقان، استاذ الأدب العربي والفلسفة السابق في جامعة تكساس بأميركا، في مقالة له اذ يقول بأن هناك تيارا جديدا في الكتابة العربية

وهو يمثل الميل الى الكتابة بأسلوب مشابه لاساليب الكتاب العرب في الفترة الوسطى . ويستشهد بزرجان بكتابه **مصر لسركيس** وكتاب **عبد الله لكرم** كأثلة لهذا التيار . كذلك يقول بزرجان بأنه رغم التغييرات التي اعترت العربية الحديثة في نحوها وأسلوبها فهي استمرار للفصحى؛ ولذلك فإنها « تشهد بانتصار دعاة الفصحى على خصوم ابطال العامية في المعركة التي استمرت في نهاية القرن التاسع عشر، واستمرت للعتود الثلاثة الاولى من القرن الحالي » . (٣٣)

ان الجانب التاريخي لقضية الازدواجية يقدم بعض العمق لتفهم تلك المشكلة وجوانبها المختلفة . كذلك فان هذا الجانب يقدم تفسيراً للكثير من الدوافع لبعض الدعوات في العالم العربي . وفيما يلي سأعرض لـ ما اسميته مراحل **ثلاثاً** لهذا التطور التاريخي .

١ - مرحلة الاهتمام الغربي

كان اول من ابرز الفصل بين العامية والفصحى بعض المدارس الأوروبية التي أسست برامج لتدريس العامية فيها .

لقد بدأت تلك البرامج في ايطاليا عام ١٧٢٧ - مدرسة نابولي للدراسات الشرقية - وفي النمسا عام ١٧٥٤ وفي فرنسا عام ١٧٩٥، وفي روسيا عام ١٨١٤ وفي بريطانيا عام ١٨٥٦. وقد استخدمت تلك المدارس عرباً لتدريس العامية وكتابة قواعدها . اما الأوروبيون الذين عاشوا في العالم العربي، وهم موظفو الاستعمار البريطاني والفرنسي في البلاد العربية، فلم يخفوا كيدهم للفصحى ابداً؛ وقد أبدوا اعجابهم بالعامية، وقاموا بحملات صليبية لآظهارها واحلالها محل الفصحى . من أشهر هؤلاء مهندس الري البريطاني وليم ولكوكس . في سلسلة من المحاضرات والمقالات نُشر بعض منها في مجلة الأزهر ، شنَّ ولكوكس هجوماً لا مثيل له على الفصحى في

أشهر اثنتين من محاضراته : واحدة بالعربية « لماذا لم يكن للمصريين قوة الإختراع » والثانية بالانجليزية وعنوانها « سوريا ومصر وشمال افريقيا ومالطا يتكلمون القرطاجية لا العربية » عزا فيهما ولكوكس أسباب تاخر المصريين، ونقص الإختراعات عندهم، وقلة الأصالة في تفكيرهم، إلى استعمال الفصحى التي نعتها بأنها لغة ميتة .

أما القاضي ويلمور فقد جدد الدعوة لتبني العامية وكتابتها بالحروف اللاتينية . وتعاقب كثيرون بعد هؤلاء . (٣٤)

٢ — مرحلة الاقليمية ردا على القومية العربية

بعد ثورة عام ١٩١٩ في مصر ، برزت مجموعة من الكتاب يدعون لما نسميه الفرعونية المصرية، أو الاقليمية الضيقة، ولم يكن الاستعمار البريطاني مشجعا للفكرة وحسب بل متبنيا لها . وقد علق محمد حسين على هذه الحركة بأنها حركة استعمارية انفصالية كان وراءها الانجليز (٣٥) .

وقد دعت هذه الحركة إلى «مصرنة» اللغة والفن والأدب واستعمال العامية المصرية كوسط لهذه الأشكال الأدبية . في هذه الفترة دعا أحمد لطفي السيد إلى ما أسماه « التسامح اللغوي » وما قصده بذلك هو اصلاح الفصحى باستعمال الفاظ من العامية، بالإضافة إلى الالفاظ المستعمارة الأخرى في الكتابة (٣٦) . أما محمد تيمور وسلامة موسى فقد دُعوا إلى النهوض بالعامية لتكون لغة قومية . وفي تلك الأثناء وفي عام ١٩٤٣ فاجأ عبد العزيز فهمي مجمع اللغة العربية بالقاهرة باقتراحه أن تكتب العربية بأحرف لاتينية ؛ لكن هذه الدعوة التي سبقه إليها سلامة موسى ماتت بموته .

ومما يثير الاهتمام هنا هو أن أي دعوة انفصالية اقليمية تتسلح

بسلح تجزئة اللغة العربية بالدعوة الى استعمال العامية . وعكس ذلك، اي الدعوات الاتحادية التي يههما ان تبقى على وفاق تام مع العروبة والاسلام، فاننا دائما نجد الدعوة الى وحدة اللغة احد اهم اركان الدعوة . ويصدق ذلك على اجزاء كبيرة حاول الاستعمار ان يقطعها كليا من الوطن الام، اذ تعرضت لجميع صنوف الاضطهاد الفكري واللغوي والحضاري بقصد الضم الى الدول الاستعمارية ، الا وهي اقطار شمال افريقيا . وهذا تأييد مطلق للفرضية القائلة ان اولئك الذين يطمحون للانفصال يدعون للتجزئة، واولئك الذين يدعون للوحدة والتماسك يتمسكون بالعربية ووحدتها . يقول شحنه في بحث الوضع اللغوي في شمال افريقيا (٣٧) :

كان الاهتمام الشمال افريقي بالعربية يتركز على الاعتراف بها كلفة للشعب ^{الله} والدولة، ودون تأكيد على عمليتها كأداة للاتصال ؟ اذ ان عددا من قواد الحركات الاستقلالية كان اكثر طلاقة وقدرة في التعبير في الفرنسية لا بالعربية — وهذا الوضع كان محرجا لبعضهم . وقد قام احمد بن بلا رئيس الوزراء السابق للجزائر بتأمين مدرس خصوصي في العربية حتى يستطيع استعمالها في جزائر مستقلة » .

لقد توقعت دول شمال افريقيا العربية ان تواجه صعوبات جمة في التعريب، وخاصة الجزائر وتونس ومراكش، لكن الجهود تضافرت وما زالت تتظافر بكل حيوية واندفاع نحو التعريب الشامل . يقول شحنه (٣٨) في هذا الصدد :

« لم تضعف جهود الشمال افريقيين في سبيل تحصيل تعريب تمام وكامل . فحال حصول تلك الدول على الاستقلال أعيد تأسيس العربية كلفة رسمية وشعبية، واتبعت جميع الطرق لاعادة حيوية اللغة بتأسيس مدارس متعددة، وبنشر الدوريات والكتب . وفي السنوات القليلة الماضية أصبح

الشمال افريقيون واعين للمشكلة اللغوية ودابوا في المحاولة لايجاد الطرق
لحلها، كما يثبت ذلك المؤتمر العربي المنعقد في الرباط عام ١٩٦١ .

وعلى النقيض من ذلك فان الطريق الى « غربنة » العرب تبدأ بكتابة
لهجاتهم وتطويرها، أو ما يسمى « النهوض بها » الى لغات قومية . ومن
أروع الأمثلة لمثل هذا التحول هو مثال الجماعات الناطقة بالعربية في
الاتحاد السوفيتي : فباسم جعل العربية لغة ديمقراطية كتبها السوفييت
بأحرف سيرلية (العامية طبعا) وبهذا انجز السوفييت، كما تقول باتيسون
في كتابها « تشعيب هذه المجموعات » وقطعها تماما عن القومية العربية، وعن
نصيب من التراث الثقافي القديم والجديد « (٣٩) .

٣ — مرحلة الوعي العربي :

تبدأ هذه المرحلة بفترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، إذ بدأت الدول
العربية تأخذ استقلالها ولو شكليا من الدول المستعمرة . لقد واجهت
تلك الدول مشكلات جمة، منها مشكلة ازدواجية اللغة لعلاقتها المباشرة في
التعليم . وفي هذه الفترة أعيد طرح بعض المقترحات القديمة بالدعوة الى
العامية ؛ ثم لبست هذه الدعوة ثيابا جديدة ، فطرح انيس (٤٠) في عام
١٩٦٠ تعميم احدى اللهجات العربية — المصرية — كلفة قومية ، وكذلك
طرح فريحة (٤١) عام ١٩٥٥ نمطا عاما يتكلمه المثقفون العرب . لكن
الاهتمام بدأ ينصب على ما يسمى اصلاح اللغة وتيسير قواعدها . وفي هذه
الفترة أيضا نشطت المجمع اللغوية العربية، واجتمعت في دمشق عام
١٩٥٧، وكان هناك شبه اجماع على رفض الدعوة الى العامية رفضا باتا،
واتخذت التوصيات لتسهيل العربية والرقي بها، ونشرت تلك التوصيات في
حينه في مجلة مجمع اللغة العربي السوري (٤٢)

استطيع القول وبكل ثقة ان الدعوة الى العامية الآن لا تقابل بأكثر

من الاستهزاء في الوسط الثقافي العربي ، ولا اظن ان هناك عربياً يمتلك شيئاً من الولاء للعروبة او الاسلام، او كليهما، يفتوه بتلك الدعوة، وذلك لخطرها على الامة العربية ووحدتها ووحدتها واثوابها واستمرارية تأثير ذلك التراث . وان كانت الدعوة قد تلبس اثواباً جديدة، كثوب اللغة الوسطى، او عربية المثقفين، فان عمقها معروف، وبالتالي لا تختلف عن العامية شيئاً، وقد ايقن المثقف العربي من ذلك .

والمبدأ العام هو ان كل ما يعارض لغة القرآن وتراث العرب فهو موجه لضرب وحدتهم والتشكيك في هويتهم . ولو نظرنا في الدوافع النفسية للدعاة الى العامية والكتابة باللاتينية لا يفتأ اي غيرة تدفعهم للسير في هذا الاتجاه . دعنا ننظر لبعض ما كتب سلامة موسى مثلاً تبريراً للدعوة للكتابة بالاحرف اللاتينية ؛ وهذا مقتطف قصير من مقالة نشرتها مجلة شؤون الشرق الأوسط بالانجليزية، يقول سلامة :

« لن يفاجأ الكاتب ان طالب العرب في يوم من الايام بالاحرف اللاتينية لكتابة لغتهم . هذا الانتقال ، ان تحقق، فلن يؤثر بحياتنا الثقافية والادبية وحسب، ولكنه سيكون علامة لتغيير في اتجاهاتنا النفسية . سنرحب بالحضارة الصناعية الحديثة بقيمها الاخلاقية والثقافية والروحية . والمشاكل التي تبدو الآن صعبة الحل ستكون اسهل . لن نرفض استعمال الكلمات الاوروبية، لكن نتعلق حينها بتراثنا الماضي وكأنه الدعم الوحيد لحياتنا . » (٤٣)

هل نحن بحاجة لقيم واخلاق وثقافة وروح الحضارة الصناعية الحديثة ؟ هل غير اليابانيون لغتهم او دينهم او مثل اخلاقتهم عندما اصبحوا ينامسون اميركا صناعياً ؟ حتى لو كنا بحاجة لذلك، فهل يتم ذلك ان غيرنا الطريقة التي نكتب بها لغتنا ؟ انه تفكير لا ينقصه شيء من مهارة اخفاء

دوافع أخرى لا يجوز المجاهرة بها .

ان هناك ما اثبتته النظرية اللغوية الحديثة ما يجعلنا نتمسك بنصيح لغتنا بتضييق الشقة بينها وبين عامياتنا ؛ كذلك هناك في الدراسات اللغوية التاريخية المقارنة ما يحتم علينا ان نتمسك بالنصيح، والا كتب لنا التفرق والضياع ، وذلك كله بجانب العوامل الدينية والقومية . وفي هذا الجزء من هذا البحث سأبحث العاملين السابقين وانعكاساتهما على الوضع اللغوي العربي .

لا شك في ان اللغة الواحدة ان امكن ايجاد مثل تلك اللغة للكتابة والحديث في البيت والشارع والمدرسة والمكتب، لهو وضع مثالي . لكن هل يمكن ذلك ؟ ان ذلك شبه مستحيل ، اذ ان كل لغة في العالم تواجه وضعاً ازدواجياً بشكل او بآخر . لنضرب مثلاً في الانجليزية : هل يتكلم الاميركي في تكساس بالطريقة نفسها التي يتكلم بها الاميركي في مساشوستس مثلاً ؟ او الطريقة التي يتكلم بها الاميركي في اوهايو او شيكاغو ؟ ماذا نسمي كلام السود في اميركا مقارنة بالمستوى الكلامي العام للرجل الابيض الحاكم ؟ ماذا نسمي كلام الكوكني والسكوتلانديين مقارنة بكلام الملكة في بريطانيا ؟ اليس ذلك أشبه بالفصحى والعامية ؟ الا يستطيع الاميركي معرفة مواطنه من اي بقعة في اميركا عندما يتكلم ؟ ان ذلك يحصل في اميركا، البلد الذي تستطيع فيه ان تتكلم من الساحل الشرقي الى الساحل الغربي بوضوح ثوان ، وان تراقب نفس البرنامج التلفزيوني الذي يبث للشعب الاميركي كاملاً، وتنتقل أينما شئت دون سؤال او جواب او هوية او جواز سفر او تأشيرة او تصريح . هل يستطيع الابيض من الطبقة الوسطى في اميركا ان يفهم مواطنه الاسود اكثر مما يستطيع العربي من اليمن ان يفهم العربي في تونس ؟ ان كلام الملكة في بريطانيا، وكلام الرجل الابيض البروتستانتى

الانجلوسكسوني في اميركا ليسا سوى مثل للنصحي في لغته مع فسارق
العاملين الديني والقومي . وما اللغة الفرنسية التي ينطق بها التلفاز
والمدرس في الجامعة والنخبة المثقفة من الفرنسيين الا اللهجة الباريسية
التي فرضتها الثورة الفرنسية اثر بيان ثوري واتخذت قرارا باستعمالها
والقضاء على العاميات التي كانت تسمى « الباتواز » . لكن هل انتهت
« الباتواز » ؟ لا ، لقد بقيت وستبقى لكن المثقف الفرنسي يأبى التحدث بها
ليتحدث باللهجة الباريسية عنوان الثقافة الفرنسية .

فالجانب الازدواجي طبيعي اذن وبأية لغة ؛ لئن كان هناك أي فرق
بين ازدواجية اللغة العربية واللغات العلمية الاخرى كالانجليزية
والفرنسية ، فانه فرق كمي ، اذ ربما كانت الفجوة وما زالت اضيق بين
النصحي والعامية في تلك اللغات مما هي في العربية . وما ذلك الا بسبب
عمل القوانين الطبيعية للتغير اللغوي .

من طبيعة اللغة ان تتغير إن تركت دون ضوابط . وهذا التغير قد
يؤدي بفعل عوامل متعددة الى خلق لغة جديدة . وهذا كان من الممكن ان
يحصل للعربية لولا العوامل الدينية والقومية السالفة الذكر التي احتفظت
بالنصحي وبوحدة اللغة . وهذا الاحتفاظ قد زاد اثرها وسعة ثقافتها
ودوام عطائها للوحدة . وهذا جانب تحسنا عليه الشعوب الاخرى .
ولاوضح هذه النقطة دعني اسال هذا السؤال :

تُخَيِّلُ ماذا كان يمكن ان يحصل لو رفعنا اللهجات لمستوى اللغات
القومية وكتبناها ؟ وللاجابة عن هذا السؤال اود ان أستشهد بعبسرة
تاريخية يجب ان تبقى في اذهاننا كلما طلع صوت ناشز ينادي بالعامية نسي
وطننا العربي .

* ومثالي هو اللغة اللاتينية واللغات الرومانية Romance Languages

وكانت اللاتينية هي لغة الأدب والعلم والثقافة والدين في أوروبا في أول
الامبراطورية الرومانية ؛ ومن لم يلق نصيبا من العلم في هذه اللغة يبقى
علمه ناقصا، بالتغاضي عن حقل تخصصه أو وظيفته أو مكانته الاجتماعية .
وبمرور الزمن تطور نمط آخر من اللاتينية يتكلمه العامة وعساكر الرومان ،
فأصبح الوضع موازيا للعربية، إذ كان هناك اللاتينية الفصحى
Classical Latin والعامية المسماة Vulgar Latin

(والاسم لا يعني العامية فقط بل يتضمن معنى السوقية وعدم الصقل) .
وبالرغم من أن اللاتينية ذات أثر كبير دينيا، إلا أنها لا تملك قدسية العربية
في نفوس الناطقين بها ؛ كما لا تلعب دور العربية بوحدة متكلميها ؛ لذا ترك
الأمر لتطورها الطبيعي . وباختلاط جنود الرومان ، متكلمي العامية،
بالشعوب الأخرى الذين يتحدثون لغات مختلفة ، أو لهجات من لغات
مختلفة، تطور من العامية — وهذا نسق طبيعي — لغات جديدة تعتمد على
الجذور اللاتينية كأساس، والمؤثرات اللغوية الأخرى كعوامل مكونة .
وهكذا كانت ولادة الفرنسية والإسبانية والبرتغالية والاطليانية والرومانية .
وإن قل الضبط عن أي من تلك اللغات فلا يستبعد ، بل من الطبيعي أن
ينشأ عنها لغات جديدة . وهذا حتما ما كان سيحصل لأي لهجة عربية لو
كُتبت أو أصبحت لغة قومية .

في الحقيقة لقد حصل ذلك التحول باحدى اللهجات العربية فهو مثال
حي أمام أعيننا وقلما نفكر بجديته وعقبى نتائجه ؛ وهو مثال مالطا ؛ فقد
كان أهل مالطا يتكلمون العربية، ونظرا لانسلاخها دينيا وقوميا عن جسم
العالم العربي، فقد كتبت هذه اللغة بالأحرف اللاتينية، وفتح باب الاقتراض
على مصراعيه من اللغات الأوروبية، وخاصة الطليانية والانجليزية، وتطورت
هذه اللهجة العربية إلى ما يسمى اليوم اللغة المالطية ، التي تتحدى أي
عربي أن يفهمها، رغم أن جل الكلام فيها عربي الجذور . كيف نتعامل عن مثل

هذه النتائج الحتمية ؟ هل يعرف دعاة العمومية أمثلة من هذا النوع ؟ هل درسوا أو اطلعوا على النظرية اللغوية والتغير اللغوي قبل أن ينصبوا أنفسهم مصلحين ؟ اني استبعد ذلك .

اذا كان وضع الازدواجية طبيعيا في معظم لغات العالم ، فلماذا يكون هذا الوضع «غيرطبيعي» أو عائقا للتقدم في بلادنا العربية ؟ باعتقادي أن ذلك يعود لسببين رئيسيين : أولهما ازدياد الفجوة بين الفصحى واللهجات نتيجة العوامل التاريخية السالفة الذكر، حتى أصبحتا وكأنهما لغتان مختلفتان في أعين كثير من الباحثين ؛ ومع المبالغة بذلك الاختلاف أصبح الكثير يعتقد أنهما مختلفتان فعلا . وثانيهما أنه رغم استقلالنا كدول وتبني اللغة العربية رسميا وشعبيا ، إلا أن اعتمادنا على اللغات الأجنبية في القطاعات المختلفة ما زال واسعا . وسأعرض لهذين السببين بمزيد من التفصيل .

لقد بالغ كثيرون من الذين كتبوا عن العربية في الغرب بالاختلافات بين الفصحى والعامية حتى أن كثيرا من التعميمات التي نشرها بعض باحثيهم المحترمين علميا تثير الاستغراب بل تشكك بنوايا ومقدرة هؤلاء الباحثين .

فـاللغوي الاجتماعي جمبيرز (٤٤) على سبيل المثال يساوي بين دور العربية الفصحى في المجتمع العربي ودور اللاتينية في أوروبا العصور الوسطى والسينسكريتية في جنوب آسيا ويعطي اللغات الثلاث — بما فيها العربية — « كمثال للغات مميزة ليس لها علاقة بالكلام الشعبي (اللهجات) ... وان الطقوس المفصلة والمراسيم التي تحيط استعمالها لا تُكتسب إلا بعد سنين عديدة من التدريب الخاص . التعليم بها متوفر فقط بواسطة المدرسين الخاصين ومحدود لأصحاب الامتيازات القلائل الذين يملكون الجاه الاجتماعي والموارد المالية . نتيجة ذلك ، فمعرفة تلك اللغات في المجتمعات التقليدية حصر لجماعة مختارة معدودة نسبيا » .

هل يصدق هذا التعميم على العربية كما يصدق على اللاتينية والسينسكريتية ؟ هل يدل هذا التعميم على اي اطلاق على العربية ؟ دعنا نقارنه بما يقول اللغوي الاميركي مايكل بريم (٤٥) الذي درس العربية واجادها وكتب اطروحته عن صوتياتها كما سجلته امهات الكتب العربية. يقول بريم :

« ان المدعي بأن الفصحى نمط اصطناعي (بمعنى أنه غير طبيعي من ناحية أن الطفل لا يتعلمه كلفة أولى) فانما يكشف عن جهله . ان الاختلافات التي تفرق بين الفصحى والعاميات المختلفة قد بولغ فيها . في الحقيقة ، ان المشكلة الحقيقية الصعبة الوحيدة التي يواجهها العربي في الفصحى هي مشكلة تزويد الحركات في أواخر الكلمات للأسماء ونهايات الأفعال لأنه من المفهوم ان ليس من تلك الحركات شيء في لهجته » .

كيف بنا ان نرد الاعتبار الى فصيح لغتنا ؟ وكيف بنا ان نضيق الفجوة بين فصيحنا وعامياتنا وبذلك تقترب عامياتنا من بعضها البعض وممن الفصحى ؟ في الجزء التالي من هذا البحث سأجيب ولو جزئيا عن هذين السؤالين واتركهما مفتوحين للاجتهد لكل من دعاه واجبه للنهوض بالعربية .

لا ريب في ان أهم مسببات اتساع الفجوة بين العامية والفصحى بل من أهم أسباب ازدهار العامية هو ارتفاع نسبة الأمية في مجتمع ما . والرقم في مجتمعنا العربي معيب اذ يقارب ، ان لم يتجاوز ٧٠٪ . وبعكس ما اثار اليه بعض الباحثين امثال الن كي (٤٦) ووكسلر (٤٧) : لا نستطيع ان نعزو ارتفاع نسبة الأمية في الوطن العربي الى الازدواجية ، بل نستطيع ان نستنتج ان ارتفاع نسبة الأمية زاد الفجوة اتساعا بين الفصحى والعامية وليس بأي حال نتيجة له . ان هذه النسبة العالية نسي عالمنا العربي هي نتيجة مباشرة لخمسة قرون من الاهمال تبعها فترة من

الاستغلال الاستعماري البشع كان هم المستعمر فيه تجهيل الشعوب العربية . لكنه بعد الاستقلال ، وبهذه الواردات المادية التي تفوق تخيل الانسان فإنه لم يعد هناك مبرر لمثل هذا الرقم المصيب من الاميين في العالم العربي . وعلى حكوماتنا العربية ان تبدأ بحملات واسعة النطاق لازالة الأمية في وطننا من شرقه الى غربه . وجدير بالذكر أن من أنجح الحملات التي بدأت فعلا هي تلك التي تقوم بها الحكومة العراقية حاليا والتي يظن انها ستقارب أنجح الحملات العالمية لازالة الأمية كالحملة في كوبا وتركيا . ومن المنتظر ان يكون عطاء الدول المنتجة للنفط أكبر مما هو عليه الآن في هذا السبيل . وجميع الدول العربية بأمرس الحاجة لتلك الحملات ، لكن أحوج تلك البلاد الآن هي السعودية ، واليمن ، وعمان دول الخليج ، والسودان والمغرب .

منطلقنا الثاني يجب أن يكون المدرسة العربية . لن نحقق أي تحسن في هذا السبيل الا اذا التزم المدرس العربي بلغته ، والتزامه يحتم عليه ان يستعمل الفصحى في محاضراته ، وان يشجع تلاميذه للسؤال والمناقشة بالفصحى ان كان الدرس دينيا أو فيزياء أو رياضيات أو جغرافيا . كذلك يجب التركيز على المراحل الأولى من تدريس الفصحى وآدابها وذلك بتدريب معلمين اكفاء لتدريس مختلف المهارات اللغوية من استماع وكلام وقراءة وكتابة . ولا يتسنى ذلك الا اذا تعاون البيت مع المدرسة ، والمؤلف مع المدرسة والمجمع اللغوي مع المدرسة .

كما انه لا يكفي لعمل ذلك ان تصدر القرارات ، بل يجب ان تراقب الهيئات المعنية مختلف مراحل تطبيقها وتنفيذها .

ولا يقل عمل أجهزة الاعلام أهمية عن المدرسة والبيت . لا نريد أن نحرم قطاع عامة الناس من فهم تلك الأجهزة ، ولكننا نطالب بأن يقل

استعمال العامية في الصحف والمجلات، وأن توجه لعامة الناس برامج
بلاذاعة ، والتلفاز بلغة فصحة سليمة سهلة . وكما قل استعمال الكلمة
العامية في تلك الأجهزة ، وكثر استعمال الفصحى، اعطينا مجالا أوسع
لانتشار الفصحى واضمحلال العامية على المدى البعيد .

أما الجامع اللغوية العربية فعلية، بالإضافة الى نشاطها في التعريب،
وخاصة تعريب المصطلحات، أن تراقب استعمالها في أجهزة الاعلام والمدارس
والجامعات ، وأن تستمر بتفاعلها المباشر مع المجتمع ومع المؤسسات
التعليمية في البلاد العربية، لتكون مراكز تخطيط لغوي، لمجتمعنا ومؤسساتنا،
وأن تستمر بتقديم يد العون وتقديم المشورة الى وزارات التعليم ومختلف
الهيئات التي تطلبها .

ان ما قدمته تلك الجامع يستحق التقدير ، لكن المزيد من العمل
مطلوب . نقطة أخيرة ؛ فان زيادة التنسيق بين هذه الجامع يجعلنا نتجنب
اعادة بعض الأبحاث، ويزيد من فعاليتها بشكل عام .

أما تسهيل الاتصال ، وبمعناه المطلق، في العالم العربي فليس مدعاة
لوحدها العربية وحسب، بل مدعاة لتمامنا السياسي والاجتماعي .
وتسهيل الاتصال يتم بتطوير أجهزة الاتصال الحديثة، من الشبكات
التلفزيونية، الى البث التلفازي والاذاعي الموجه للعالم العربي بأسره ؛
كذلك بتسهيل تنقل المواطن العربي من بلد لآخر، وفتح ابواب التبادل ثقافيا
واقصاديا على مصراعيها . هدف اللغة هو الاتصال، ووحدة متكلمها تتم
بتسهيل اتصالهم بعضهم ببعض .

من أهم الأسباب التي أدت الى ازدهار تعلم اللغات الأجنبية في العالم
العربي، وبشكل خاص الانجليزية والفرنسية، لا شك أسباب تتعلق بفرص
العمل. إذ أنه لسوء حظ المواطن العربي، يصعب عليه حتى في عقده أن يجد

عملا جيدا، خاصة في القطاع الخاص، اذا لم يكن يجيد الانجليزية او الفرنسية .
لماذا نجعل لتلك اللغات تلك القيمة على لغتنا طبعين مختارين ؟ لماذا نجعل
تلك اللغات علامة الرفعة الاقتصادية والاجتماعية، وتؤثر بذلك باتجاهات
ابنائنا النفسية لتلك اللغات وللفتنا بالمقارنة بها ؟ فجعل العربية عاملا
اساسيا في التوظيف والترقية يوّلد دواع جديدة للاقبال على تعلمها
واجادتها، ويخلق تأثيرات نفسية جديدة نحن احوج الناس اليها . لا اقصد
ان اقلل التشجيع على تعلم اللغات الاجنبية ، لكن يجب ان نخفف اعتمادنا
عليها ونجعل نظرنا لها متواضعة بعض الشيء .

يرتبط هذا العامل بعامل آخر وهو ما اسميته « الغربية الحضارية »
عند المواطن العربي ؟ فبالرغم من الاحداث الجسام التي تعيشها امتنا
العربية، وبالرغم مما قاست وتقاسي من الغرب ودوله وثقافته و«حضارته»،
الا أننا ان اردنا ان نصارح انفسنا وجدنا ان قطاعا كبيرا من شبابنا يقاسي
من غربة حضارية مريرة، تتجلى بتهافت شبابنا على « الغربية » المتمثلة
بالنظر للغرب على انه النموذج الذي يحتذى . كذلك تتجلى هذه الغربة
بنظرة مجتمعنا العالية لمن يجيد احدي اللغات الغربية، وبتهافتنا على
استعمال الاصطلاح الاجنبي في حديثنا العادي وفي صحفنا واجهزة اعلامنا .
ان ذلك ما اسماه ابن خلدون في مقدمته تقليد المفلوب للغالب . لكن اما ان
الوان لان تتوقف هذه الظاهرة، ونبدأ كشعوب نعتز بلغتنا وحضارتنا ! .

العربية تستصرخ ابناؤها لمزيد من البحث والتأليف والنشر، وخاصة
في حقل المعاجم ؟ اذ يأسف المثقف العربي ان لا يكون في العربية
حتى الآن قاموس واحد بجودة وشمول ووضوح وسهولة استعمال
وبسترز في الاتكليزية مثلا . كذلك حتى هذه اللحظة لا توجد دائرة معارف
واحدة بمستوى دائرة المعارف البريطانية او الامريكية، لذلك تحتاج العربية

الى مجموعة شاملة واضحة حسنة التصنيف من معاجم المترادفات والمتناقضات والمكنازات والمواد المرجعية الأخرى . وقد قام سلفنا بالبحث وحصر المعلومات وما علينا الا أن نصنف تلك المعلومات ونطبعها . انه وضع مؤسف .

اما تعريب التعليم الجامعي ، فليس ضرورة ومطلبا قوميا فحسب ، انما هو خدمة نزجها للعربية بل لابنائنا الواقعين الآن بين نارين نار جهلهم بلغتهم ونار صراعهم مع اللغة الأجنبية التي لا يجيدونها ومع ذلك عليهم أن يتعلموا بها . ليس هناك على وجه الأرض دولة ذات قيمة تدرس أبناءها بلغة غير لغتهم . فمن البديهيات في التعليم أن الطالب يستوعب بشكل أفضل ويفكر بشكل أسلم في لغته الأم لا بلغة فرضت عليه ولا يتم ذلك الا اذا بدانا به وبالحال ؛ اذ سيبقى دعاة استعمال الأجنبية يبرزون الحجة تلو الحجة لتأخير التعريب وسيجدون دائما حججا مقنعة ما لم نبدا بالتعريب . كيف يمكن ان يكون هناك مصادر علمية بالعربية ما لم نخرج جيلا عربيا تعلم بالعربية كي يبحث وينشر بها ؟ لماذا لم نبدا بحملة ترجمة شاملة للكتب المدرسية العلمية وهي بالواقع محصورة العدد وليست بذلك الحجم البالغ الذي يصوره بها اعداء التعريب ؟ اذا اخذنا الكيمياء مثلا ، فانك تجد كتابا واحدا مشهورا عالميا ككتاب مدرسي ويستعمل في مستوى معين — كالسنة الأولى أو الثانية مثلا — وفي كثير من الأحيان نجد ان هذا الكتاب قد اعيدت طباعته مرات ومرات وبتعديلات طفيفة تستطيع اضافتها لترجمتها سنويا . ان الكلام سيطول عن التعريب وسنبقى نعاني نفس المشاكل التي نتحدث عنها ما لم نبدا وبالحال بتحضير جيل يتعلم في الجامعة وفي أعقد العلوم بالعربية . والتجربة السورية ، وكذلك التجربة العراقية الجديدة جديرتان بالاعجاب والتقدير .

في ختام هذا البحث ، أود ان اوجه الدعوة الى المثقفين العرب ،
والمختصين منهم او العاملين في حقل اللغويات وتدریس اللغات بشكل خاص ،
لابدء آرائهم وتوجيه بحوثهم نحو مزيد من الاقتراحات العملية الممكنة للتنفيذ ،
التي تهدف الى اعادة الاعتبار للفتنا العربية لغة رسمية وشعبية للعالم
العربي ، لا بالاسم بل بالفعل .

يقول العتاد (٤٨) في مقالة له عن الفصحى والعامية ، وفي ما يقول
عمق بالتفكير ، وملخص لكثير مما قيل ويقال عن هذا الموضوع ، لولا بعض
كلام عن العامية تنقصه العلمية (كتلة القواعد) :

« ان في كل امة لغة كتابة ولغة حديث ، وفي كل امة لهجة تهذيب ولهجة
انتدال ، وفي كل امة كلام له قواعد واصول ، وكلام لا قواعد له ولا اصول .
وسيظل الحال على هذا ما بقيت لغة ، وما بقي ناس يتمايزون في المدارك
والاذواق . فلن يأتي اليوم الذي يكتب فيه فردوس ملتون بلغة العامل
الانجليزي ، وفلسفة كانت بلغة الزارع الالماني ، ولن يأتي اليوم الذي تستوعب
فيه قوالب السوق كل ما يخطر على قرائح العبقرين ، ويختلج في ضمائر
النفوس ، ويتردد في نوابغ الازهان ، فالفصيحة باقية والعامية باقية
مدى الزمان !

الدكتور محمد راجي زغول

المصادر العربية

المصادر الأجنبية

- 1 - Karl Krumbachen. **Das Problem der modern griechischen Schriftsprache.** Munich, 1902.
- 2 - William Marçais "La diglossie arabique" **L'enseignement Public**, Vol. 97, 1930.
- 3 - C. Ferguson. "Diglossia."

٤ - المصدر نفسه ، ١٩٠٦ ، ٢٢٨

٥ - المصدر نفسه .

- 6 - D. Hymes. "Introduction to Social Structure and Speech Community." In D. Hymes (ed.), **Language in Culture and Society.** New York: Harper and Row Publishers, 1964, 385-390.
- 7 - J. Gumperz. "Types of Linguistic Communities"

أخص بالذكر منها :

- "Linguistic and Social Interaction in Two Communities"
- "On the Ethnology of Linguistic Change"
- "The Speech Community"

بحث نشيمان ظاهرة الازدواجية في مؤلفات كثيرة أخص بالذكر منها :

- ٨- a - J. Fishman et al (eds.) **Language Problems in Developing Nations**
- b - -----**The Sociology of Language**
- c - -----**Language and Nationalism**
- d - ----- **Readings on the Sociology of Language**
- ٩- A. Kaye. "Remarks on Diglossia : Well - defined Vs. III - defined"

وله مقالة أخرى جديرة بالدراسة هي :

- "Modern Standard Arabic and the Colloquials."

- 10- Sotiropoulos. "Diglossia and the National Language Question in Modern Greece", *Linguistics*, 197 (1977) pp-5-31.
- 11- Inayatullah "Arabic as the Religious Language of the Moslems."
- 12- A. Chejne. *The Arabic Language : Its Role in History* p.9
- 13- P. Cachia "The Use of the Colloquial in Modern Arabic Literature.", p.12
- ١٤ — ذكر الحصري وركز على هذه الناحية في معظم مؤلفاته وأخص بالذكر منها آراء واحاديث في اللغة والادب، وابحاث مختارة في القومية العربية .
- 15- R. Yorkey. "Practical EFL Techniques for Teaching Arabic Speaking Students" p. 59.
- 16- C. Ferguson "Myths About Arabic" p.377
- ١٧ — د. محمود نهمي حجازي . اللغة العربية عبر القرون ، ص ٤٢ — ٤٤
- ١٨ — صبحي الصالح ، دراسات في فقه اللغة ص ١٠٩ — ١١٦
- ١٩ — ابن جني ، الخصائص ج ١ ص ٤١١
- ٢٠ — السيوطي ، المزهج ج ١ ص ٢٢٢ — ٢٢٤
- 21- Z. Abdel-Malek. "The Influence Diglossia on the Novels of Yusif Al-Sibai" p. 132
- ٢٢ — مازن مبارك ، نحو وهي لغوي ص ٤١ — ٤٤
- ٢٣ — علي ناصيف ، من قضايا اللغة والنحو ص ٤٩
- ٢٤ — طه حسين ، مستقبل الثقافة في مصر ص ٢٢٦
- ٢٥ — محطى نهمي ، النظرية العامة للقومية العربية ص ١٥٠
- 26- S. Al-Toma. *A Comparative Study of Classical and Iraqi Arabic*, p. 114.
- 27- H. Blank. "Stylistic Variation in Spoken Arabic: a Sample of Interdialected Conversation," 1960
- 28- K. Shaaban. "Code Switching in the Speech of Educated Arabs," 1978.
- 29- M. Zughoul "Diglossia in Arabic: Investigating Solutions", 1979.

30- J. Stetke cych. **The Modern Arabic Literary Language :
Lexical and Stylistic Development, 1970.**

٢١ - نفس المصدر ص. ١١٤

٢٢ - المصدر نفسه ، ص ١١٩ - ١٢٠

33- N. Bezirgan "Language and Reality in The Arab World" p.24

٢٤ - لمزيد من التفصيلات راجع كتاب نفوسة سميد ، تاريخ الدعوة الى العامية وأثارها في
مصر ، فهو كتاب شامل وموثق في هذا المجال .

٢٥ - محمد حسين ، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر من ١٢٤ - ١٢٤

٢٦ - أحمد لطفي السيد ، المنتخبات من ٢٤٦ - ٢٥٠

37- A. Shej ne **The Arabic Language : Its Role in History, p. 109**

٢٨ - نفس المصدر ص. ١٠٩

39- M. Bateson. **Arabic Language Handbook**

٤١ - ابراهيم انيس ، مستقبل اللغة العربية ، ١٩٦٠

٤١ - انيس نريجة ، نحو عربية ميسرة ، ١٩٥٥

٤٢ - مجلة المجمع العربي مجلد ٣٢ ، عددا ، ١٩٥٧

43- S, Moussa. "Arabic Language Problems" p. 44

44- J. Gumperz "The Speech Community", p. 222

45- M. Brame, "Arabic Phonology" p. 1

46- A. Kaye. "Modern Standard Arabic and the Colloquials".

47- Wexler. "Diglossia, Language Standardization and Purism".

٤٨ - المقاد ، ساعات بين الكتب ص. ١٤٥ - ١٤٦

وقائع مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة

للدكتور عدنان الخطيب

انعقد مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة في دورته السادسة والاربعين، في المدة الواقعة من الثلاثين من ربيع الآخر ، الموافق ١٧ من آذار (مايس) ، حتى الرابع عشر من جمادى الاولى سنة ١٤٠٠ هـ ، الموافق ٣١ من آذار (مايس) سنة ١٩٨٠ م ؛ وعقد خلالها ثلاث عشرة جلسة : منها جلستا الافتتاح والختام .

وفي ما يلي عرض موجز لاهم ما دار في المؤتمر من ابحاث وأخذ من مقررات :

اولا : جلسة الافتتاح

كانت جلسة افتتاح المؤتمر علنية ، حضرها جمع من رجال الفكر والادب ومحبي العربية ، والقيت فيها كلمات ترحيبية ، كما عرضت اعمال المؤتمر في الدورة السابقة ، وتطلعاته في هذه الدورة .

وتضمنت كلمة رئيس المؤتمر الدكتور ابراهيم مذكور ، رئيس المجمع ، الخطوط العريضة لمنهج المؤتمر . وكان مما قاله : « لقد قيل من قديم ان المجمعين حماة اللفظة ، وظن خطأ ان هذه الحماية تقضي بان يقفوا عند القديم وحده ، ولا يفسحوا المجال لشيء سواه . وهذا دون نزاع زعم باطل ؛ ذلك لان اللغات حياة تسير بسير الزمن ، وتسد حاجات العصر .

ونحن نتحدث عن أدب معاصر ، وهذا التعبير نفسه خير شاهد على هذه
الحياة . . . »

وتحدّث الأستاذ الرئيس عن الأدب المعاصر ، مبينا السمات التي
تميّزه عن أدب العصور الخالية؛ ثم قال : « يتابع مجمع اللغة العربية سير
أدبنا المعاصر ، ويرقب حركاته ، ويبسّر له وسائل النهوض والتقدم ،
ويشجّع الشباب على الاقبال عليه والعناية به ، بما يقترح من موضوعات
بحث ، وما يُمنح عليها من جوائز ؛ ويُعنى عناية خاصة بلغة العلم والحضارة،
لأنها لغة الحاضر والمستقبل . ويسهم اسهاما واضحا في تعريب التعليم
العالي والجامعي . وفي وسعنا أن نقرّر أن ليس ثمة حياة علمية أخرى
عنيت بالمصطلح العلمي العربي عنايته . وهو يقدم منها كلّ عام في مؤتمره
زادا يفيد منه الدارسون والباحثون ؛ وليست عنايته بمستحدثات الحضارة
باقلّ من عنايته باللغة العلمية . . . » .

ثم تحدّث الدكتور مهدي علام ، الأمين العام للمجمع ، عارضا صورة
عامة عن النشاط المجمعى منذ انتهاء المؤتمر السابق ، ومعددا ما تمكّن
المجمع من إصداره من معجمات ومجموعات مصطلحات ومطبوعات أخرى ،
مؤكدًا على « أن لغتنا العربية الخالدة لغة علم وحضارة ، بل في طبيعته
اللغات العالمية القادرة على استيعاب الحضارة المعاصرة، والتعبير عنها في
مختلف المجالات . ولا عجب في ذلك ، فالتاريخ نفسه خير شاهد على أن
لغتنا ظلّت لها السيادة والريادة ، بوصفها لغة علم وأدب وفن ، عدة
قرون » .

ثم قال : « فلنعتنا — في هذا العصر — لا تبدأ من فراغ ، وإنما تستعيد
حيويتها ، وتستردّ مكانتها ، وتستأنف مسيرتها الحضارية ، فمجدها الحاضر
المعاصر يضرب بجذوره في أعماق ماضٍ مجيد عريق . إنها أطول لغة ظلّت

حية على مدى حقبة متواصلة، لم تعش مثلها اية لغة اخرى مهما كانت
قديمة» .

ثانيا - المصطلحات العلمية

درس المؤتمر وناقشوا ، خلال جلساتهم اليومية ، المصطلحات
العلمية والفنية التي رنعتها الى المؤتمر اللجان المختصة عن طريق مجلس
المجمع ، فأقر المؤتمر غالبيتها مجمعين ، وبعضها منها بأكثريةهم ، كما
أقروا بعضا آخر بعد تعديله .

وبلغ عدد المصطلحات التي عرضت على المؤتمرين (١٢١٧)

مصطلحا ، موزعة بين العلوم والفنون كما يلي :

١٤٠ مصطلحا في الفيزياء (الفيزيكا)

٩٥ مصطلحا في المياهيات (الهيدرولوجيا)

٩٤ مصطلحا في القانون التجاري

١٢٨ مصطلحا في الكيمياء والصيدلة

٦٦ مصطلحا في علم الرياضة

١٥٠ مصطلحا في علم التربية

٤٢ مصطلحا من الفاظ الحضارة الحديثة

١١٣ مصطلحا في فلسفة التاريخ

١٠٢ مصطلح في النفط

١٣٦ مصطلحا في علم الحيوان

١٥١ مصطلحا في فني السينما والتمثيل .

ثالثا - البحوث والدراسات

استمع المؤتمر ، خلال مدة انعقاد المؤتمر ، الى عدد من البحوث
والدراسات المتخصصة، القاها بعض الاعضاء . وفي ما يلي عرض موجز

لها، مع أهم ما دار حولها من مناقشات أو تعليقات :

١ - الأدب العربي المعاصر

بحث للأستاذ محمد خلف الله أحمد (١) . وقد حُدِّدَ للمعاصرة مدة قرن من سنة ١٩٥١ حتى ٢٠٥٠ م ، عرض فيه واقع الأمة العربية من خلال أدبها الحديث ناقداً محللاً ؛ ثم تطلع الباحث الى المستقبل والآمال المرجوة له ، وما يجب ان يكون عليه الأدب العربي ، موجهاً ، باذلا جهده وما لديه من نظرات عميقة وخبرات طويلة .

وشكر المؤتمرون للباحث دراسته القيمة وتطلعاته المستفيضة . وتوجيهاته النافعة . وكان من أهم التعليقات على البحث تعقيب الأستاذ اسحق موسى الحسيني ؛ وقد ايد ضرورة العناية بدراسة النصوص ، وكان مما قاله : « وبحسب تجربة لي خاصة ، اذ كنا نحمل الطلاب على قراءة كتب اضافية على البرنامج المقرر ، وندعو الطلاب الى ان يشترك كل واحد منهم سنويا بتقديم كتاب يختاره ، وتكون حصيلة هذا « مكتبة خاصة بالصف » يقرأها الطلاب في تلك السنة . والنصوص ليست مصدرا للغة فحسب ، بل للقواعد أيضا ، كما قرر ذلك ابن خلدون » .

٢ - اللغة الصامتة

بحث الدكتور اسحق موسى الحسيني ، وكان ممتعا طريفاً، تناول الأدب العربي والتراث الشعري بخاصة ، وما تَضَمَّنَه من رموز واشارات ذات دلالة معينة، كالتحية، او التذكير بوعدها ، او تدل على الموافقة او الرفض حيناً آخر ، وعلى الحب او الكره تارة ، وعلى الرغبة في شيء، او الاشمزاز من شيء تارة أخرى .

وانارت شواهد البحث واطرافه، تعليقات طريفة من قبل الزملاء

الاساتذة : الدكتور ابراهيم مذكور ، ومهدي علام ، وعبد السلام هارون ،
ومحمد عبد الغني حسن ، وعز الدين عبد الله ، وتمام حسان ؛ وقد تداعت
على سنتهم شواهد مماثلة فيها كل الطرافة والجمال في التعبير .

٣ - بين « مرضعة » و « منظر » في القرآن الكريم

بحث القاه الاستاذ علي النجدي ناصف ، في تحليل المسألتين التاليتين :

١ - ورود علامة التانيث في كلمة « مرضعة » في قوله تعالى : * يَوْمَ
تُرْوَنها تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ (٢) * والقاعدة النحوية
لا توجبها في الأوصاف الخاصة بالنساء .

٢ - ورود كلمة « مُنْظِرٌ » بصيغة التذكير في قوله عز وجل : * السَّمَاءُ
مُنْظِرَةٌ بِهِ (٣) * خلافا للقاعدة التي توجب مطابقة الوصف
للموصوف ، والسماء اسم مؤنث (٤) .

وعرض الباحث اقوال مختلف العلماء والمفسرين في تحليل هاتين
المسألتين ، رافضاً ذهاب بعضهم الى التعلل بالرخصة المتضمنة في
القواعد النحوية واللغوية ، أو القول بأن التذكير محمول على تأويل ان
السماء بمعنى السقف . وأكد الباحث بأن القرآن الكريم حين يقول : * وإن
طائفتان من المؤمنين أقتتلوا (٥) * فانه لا يقوله ترخّصاً ؛ والتعليل الصحيح
للأمر ، يحتاج الى بحث دقيق وعميق في التفسير : فالمرأة التي تبشر الرضاعة
لا توصف الا بكلمة « مرضعة » (٦) ، والوصف بمنظر من باب الوصف
باسم الفاعل من فعل مطاوعة يحمل كل معاني الانفال والتصدع ، والتفكير
فيه أولى .

وجرت تعليقات موسّعة ومهمّة حول هذا البحث ، اشترك فيها
الاساتذة : تمام حسان ، ومهدي علام ، وشوقي ضيف ، ومحمد عبد الغني

حسن ، مجمعين على شكر الباحث وتقدير دقته وتممته في البحث .

٤ - من كفاية النواذر (٧)

بحث القاه الأستاذ عبد السلام هارون ، ويتضمن نظرات مستأنية
وطرفا مستملحة، جمعها خلال مطالعته الطويلة في كتب اللغة والادب ،
وفي ما يلي نماذج منها :

أ - الإمعة : كلمة اصلها جاهلي ، وكانت تطلق على من كان يتبع الناس
الى طعام لم يُدْع اليه ، وهو الطُفَيْلي ؛ وهذه كلمة اسلامية (٨) ،
اما اليوم فهي لا تطلق الا على من لا رأي له ، ويقول لكل واحد : انا
معك .

ب - في حاشية الدمنهوري ورد ان لسيوييه كتابا باسم (القوافي) ولسم
يذكر هذا الكتاب في المصادر التي اوردت ثبنا بمؤلفات سيوييه .

ج - « ايوه » في عامية اهل مصر (٩) لها جذر فصيح هو : اي والله .

د - في وفيات الاعيان لابن خلكان خبر طريف يدل على مبلغ العناية بعلوم
اللغة العربية في دمشق ؛ فقد الزم احد الذين تُرجم لهم ابن خلكان
نفسه بدفع مئة دينار لكل من يستظهر كتاب « الفصل » للزمخشري .

هـ - سورية : في معجم البلدان لياقوت ما صورته : « سورية ، موضع
بالشام بين خناصره وسلمية ، والعامية تسميه سورية » . هذا
ما كان في القرن السابع ، ولكن السمودي ، المتوفى سنة ٣٤٥ ،
يذكر في « التنبيه والاشراف » ص ١٥٠ ما نصه : « والروم يسمون
بلادهم ارمانيا ، ويسمون البلاد التي سكاتها المسلمون في هذا الوقت
من الشام والعراق سوريا ، والفرس الى هذا الوقت تقارب الروم
في هذه التسمية ، فيسمون العراق والجزيرة والشام سورستان » .

وفي معجم البلدان في رسم (سورستان) يقول ياقوت : « وقال أبو
الريحان : والسرانيون منسوبون الى سورستان ، وهي ارض العراق
وبلاد الشام .. غير أن هرقل ملك الروم ، حين هرب من انطاكية ايام
الفتوح الى القسطنطينية ، التفت الى الشام وقال : « عليك السلام يا
سورية ، سلام مودع لا يرجو أن يرجع اليها ابدا » . وهذا دليل على أن
سورستان هي بلاد الشام » .

ويقول صاحب القاموس ، المتوفى سنة ٨١٧ : ان « سورية ،
مضمومة مخففة ، اسم للشام (١٠) » فيعقب عليه الزبيدي ، المتوفى بعده
بأربعة قرون ، أي في سنة ١٢٠٥ ، بقوله : « في القديم » ثم يقول : « والكلمة
رومية (١١) » .

وانهى الباحث عرضه قائلا : « وهكذا لا نجد في القديم الا اضطرابا في
دلالة هذه التسمية ، التي استقرت الآن في احد اقاليم الشام بوضع جغرافي
وسياسي معين ، بعد ان ظلت ردحا من الزمان كورة من كور الشام ، التي
تشمل أجناد قنشرين ، ودمشق ، والأردن ، وفلسطين ، وحمص ، بخلاف
الشفور ، وهي المصيصة ، وطرسوس وأذنة وانطاكية ، وجميع العواصم .
ثم صارت الى لبنان وفلسطين والأردن وسوريا (١٢) » .

وشكر المؤتمرون للباحث امتاعهم بنوادره المنتقاة من مختلف كتب
التراث ، وانادتهم بنظراته الثاقبة فيما وراء السطور ، وعلق الأستاذ محمد
عبد الغني حسن قائلا : « عرفنا في الزميل المحقق البارِع وكشف لنا اليوم في
كناشته عن شخصية المنقَرِّ الرائع » .

٥ - وقعة امام قبر الرسول (صلى الله عليه وسلم)

قصيدة القاها الدكتور حسن علي ابراهيم، استاذ الجراحة في كلية

الطب، بمناسبة عودته من زيارة الروضة الشريفة في المدينة المنورة ، وهي في ثلاثة وستين بيتا ، وهذه مقاطع منها :

مَشَيْتُ وفي قلبي وجيبٌ ورهبةٌ
وحولي من الأتوام حشدٌ ميمم
وفي النفس ما فيها من الحب والتقى
وعادت بي الذكرى دهورا سحيقة
هنا أكمل الروح الأمين رسالة
وشعنت وراء الأفق حبًا ورحمةً
إذا أمتحن الإسلام حينًا بشدة
وقد سار من نصرٍ لنصر مؤزرٍ
هنا شرع الإسلام فرضًا وسنةً
وقد قام بالتفصيل والشرح أحمدٌ
ولما دنا وقت الرحيل وأزلفت
دعا ربّه همسا ليأوي بمنزل
بحبك يا خير الأنام جميعهم
ويا ربّ عفواً من لذنك ورحمةً
لجأت إلى الرحمن أطلب عفوه
فيا ربّ ألف بين عربٍ تفرّقوا
مشيت ثقيل الخطو في القلب حسرةً
عليك سلام الله ما أشرق الضحى

الى خير قبر ضمم خير رفات
الى حيث يثوي منبع البركات
وفي النفس ما فيها من الحشرات
الى فجر دين عاطر النفحات
اضاءت فلاة البدو والعرضات
لتغشى بلاد الأرض والجنبات
فقد عمّ بالإيمان والعزمات
فأحيا نفوسا في عميق سبات
بما انزل الرحمن من كلمات
بفعلٍ وقولٍ ضمّ جمّ عظام
لعينيه انوار من الجنّات
رفيقا لعمالٍ مانح الخيرات
وهديك إني قد ملأت حياتي
لعبدٍ دعا في أقدس الحرمات
وربي غفور واسع الرحمات
ووحده خطاهم بعد طول شتات
لتركي مقام الأعظم العطرات
وما لاح نور البدر في الظلمات

وهنا المؤتمرون زميلهم الطبيب الشاعر بعودته الحبيدة، مشيدين بشاعريته وبقسيدته الرائعة .

٦ — كلمة (اريسين) في كتاب النبي (صلى الله عليه وسلم) الى هرقل —

ما الصواب في نطقها وفي معناها ؟

بُحِثُ القاه الدكتور أحمد الحوفي، عرض فيه لما هو ثابت في كتب الحديث والسيرة واللغة من أن النبي (صلى الله عليه وسلم) ، بعث الى هرقل ملك الروم ، بكتاب يدعو فيه الى الاسلام قائلا له : (.. وان توليت فان عليك اثم الأريسيين (١٣)) .

وَنَصَلَ الباحث اقوال رواة الحديث في ضبط كلمة « أريسيين » ؛ فقد اختلفوا ان كانت بياء واحدة أو بيايين بعد السين ، وقال بعضهم بكسر همزتها بينما نطقها آخرون ياء ؛ كما اختلفوا حول تشديد الراء وحسول حركتها . وقد تداخلت الروايات وتعدد بعضها (١٤) ، مما كان له أثر كبير فيما أثبته علماء اللغة في المعجمات (١٥) .

وعرج الباحث على المراد من كلمة « الأريسيين » ، فقد اختلف العلماء حوله على اقوال ، اشهرها: انها تعني : « الأكاريين » ، اي الفلاحين والزارعين ؛ وقد جاءت كلمة « الأكاريين » في بعض روايات النص نفسه (١٦) ، كما وردت كلمة « الفلاحين » في رواية أثبتتها صاحب كتاب الاموال (١٧) .

ثم ذكر صاحب البحث قول بعضهم : ان المراد بالأريسيين هم : أتباع عبد الله بن اريس، الذي تنسب اليه فرقة الأروسية من النصارى ، ويقال لهم « الأروسيون (١٨) » .

وانتهى الباحث الى ان المراد بكلمة « الأريسيين » هم أتباع أسقف اسكندري يدعى « آريوس arius (١٩) » كان ينكر الوهيبة السيد المسيح، فتبعه خلق كثير من النصارى، وانتشر أتباعه في بقاع كثيرة، كانت منها بلاد الشام ؛ وعرفوا بالأريسيين وعقيدتهم بالأروسيية

وشكر المؤتمر للباحث طرافة موضوعه وجهوده في استقصائه؛
وعلق بعضهم مؤيدا او مستنفها او مشيرا الى بعض ما جاء في كتب
التاريخ (٢١) .

٧ - توحيد المصطلح العلمي في التعريب

بحث للدكتور شوقي ضيف ، ضمَّنه عرضا للموضوع القديم الذي
لا تبلى جدته ؛ مبينا تاريخ المصطلح العربي عند العلماء المسلمين والعرب ،
وواقعه اليوم في مختلف الأقطار العربية ، متطلعا الى الغد المأمول يوم
تصبح اللغة العلمية فيه واحدة في العالم العربي ، مشيرا الى
أن المصطلح العلمي لا يوحد مثل وحدة السلطة التي تشرف على وضع
المطلحات ، ومدى نفوذها في مختلف المؤسسات والادارات ذوات العلاقة
بهذا الموضوع .

ولم يخل البحث من نقاط جديدة استثارت تعليقات قيِّمة من الاساتذة
ابراهيم الدمرداش، وعز الدين عبدالله، وتام حسان ؛ وقد عرض كل منهم
خبرته في الموضوع مؤيدا الباحث في تطلعاته وآماله .

وشكر الرئيس الدكتور ابراهيم مذكور للمحاضر آراءه المفيدة ،
وطمأنه بأن البلاد العربية في طريقها الى الهدف الذي ينشد ، معتمدة على
المعلم المحسن تاهيله ، مشيرا الى واجبات كل من اتحاد مجامع اللغة
العربية، واتحاد الجامعات العربية، ومؤتمرات التعريب التي تُعدها
المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

٨ - تاصيل بعض الدخيل من اسماء الملابس والاطعمة في كتاب الجبرتي

بحث القاہ الدكتور احمد السعيد سليمان ، مقدِّما له بالكلام على

اثر الوضع السياسي في بلد ما على الفاظ الحضارة فيه ، وكيف تتأثر هذه الالفاظ بتبدل الدول ؛ مبيّنا كيف ازاحت المصطلحات التركية في يوم من الايام في مصر المصطلحات المملوكية وحاولت طردها نهائيا ؛ ثم أوضح كيف وجدني تاريخ الجبرتي مصدرا من أهم المصادر في دراسة أسماء الملابس والاطعمة وما تدلّ عليه ، وأن هذا البحث استهواه، وهو في سبيله الى وضع معجم لالفاظ الحضارة في عهد الجبرتي .

وعلق بعض الاعضاء على طرافة الموضوع شاكرين للباحث جهوده فيه .

٩ - يزيد بن محمد المهلب

بحث للشيخ محمد رفعة فتح الله، عرض فيه لسيرة شاعر عربي كبير من بني المهلب بن أبي صفرة، عاش في القرن الثالث الهجري ، واتصل بالمتوكل العباسي، ونادمه حتى اذا مات رثاه بتصيدة من عيون الشعراء، اوردها المبرد في الكامل .

لقد اغفل مؤرخو الادب العربي سيرة هذا الشاعر الكبير (٢٢) ، حتى لم يبق منها الا متفرقات في مختلف الكتب، جمعها الباحث فكانت طريفة حلوة ممتعة .

رابعا : المحاضرات

تتضمن جدول اعمال المؤتمر في هذه الدورة محاضرتين عامتين عن الادب العربي المعاصر ، فتُح المؤتمر فيهما امام جمهرة الحضور من رجال الفكر والبحث والتعليم باب الحوار والنقاش العلني .

وكان الموضوع في المحاضرتين هو :

الأولى : لغة المسرح بين العامية والفصحى

القاهنا الدكتور شومى ضيف، عارضافها تاريخ المسرح فى مصر فى النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلاى ، يوم كان مسرحا للدمى المتحركة (خيال الظل) . وكان هذا المسرح قد عُرف فى مطلع القرن الثالث الهجرى ، ونال بعض عناية الدولة الفاطمية، ثم استمر فى عصر الممالىك الى العهد العثمانى بعدئذ ، وكانت العامية لفته ولغة الأغانى فيه .

وبدا المسرح فى مصر يحاكي المسرح الأوروبى فى النصف الثانى من القرن الماضى ، على يد بعض السوريين واللبنانيين ، وكانت لفته تتفاوت بين العامية والفصحى، تبعا لموضوع التمثيل، واختلاف الفرق التى تقوم به .

وبين المحاضر اثر اشتراك اعلام الآب العربى فى العصر الحديث ، أمثال شومى وتيمور وأباطة ، فى تزويد المسرح بمؤلفاتهم على لفته ، ثم خصّ اثر توفيق الحكيم على هذه اللغة، راسما الخط البيانى للغة التى كتب بها مسرحياته ، بدءا من لفته فى مسرحياته الذهنية، وهبوطا الى لفته فى مسرحياته الاجتماعية ؛ وشرح المحاضر الأسباب التى تؤدى الى توسع انتشار الكتابة باللغة العامية بين مؤلفى المسرحيات ، تقربا من أهلها وملقا لهم .

ثم أفاض المحاضر فى الحديث عن اللغة الثالثة التى دعا إليها توفيق الحكيم فى تقديمه مسرحية الصفقة سنة ١٩٥٦ ، ناقدا لغة هذه المسرحية ، مؤيدا الكتابة بلغة ثالثة، شريطة الارتفاع بها لتصبح فصحى مبسطة بمستوى مقبول عربيا .

وأعقبت المحاضرة مناقشات حامية بين الأساتذة المهتمين بلغة المسرح ، وكان أغلبهم من أنصار الفصحى .

الثانية : قضايا حول الشعر العربي

لقاها الشاعر الأستاذ محمد عبد الغني حسن، عرض فيها المشاكل التي يثيرها الشعراء ، مذ كان الشعر وكان للشعراء خصوم وأعداء يتتبعون زلاتهم وسقطاتهم ، او يهاجمون تحللهم من قيود الشعر، او مخالفتهم القواعد المتعارف عليها جهلا او اهمالا .

وعرض الحاضر للشعر المنسوب لغير قائله ، والى طرائف ناجمة عن اوهام بعض المؤلفين او المحققين .

واعقب المحاضرة حوار وتساؤل حول بعض القضايا التي اثارها الحاضر .

خامسا : المعجم الكبير

عُرِضت على المؤتمرين المواد التي انهى مجلس المجمع دراستها من المعجم الكبير، وهي المواد المبتدئة من اول حرف الجيم والراء وما يتلونها اى نهاية حرف الجيم والزاي مع الراء .

واستمع المؤتمرين الى الملاحظات التي قدمها الزملاء الاساتذة : علي النجدي ناصف، وعبدالسلام هارون، وعدنان الخطيب ، وقرروا احالتها الى اللجنة المختصة لاعادة النظر في مواد المعجم في ضوءها .

سادسا : اعمال لجنة الاصول

نظر المؤتمرين في ثماني موضوعات اقرتها لجنة الاصول، ورفعت اليهم بموافقة مجلس المجمع . وفيما يلي موجز عن تلك الموضوعات، وما انتهى اليه المؤتمر بشأنها :

الموضوع الأول : جواز مجيء المصدر الميمي واسمي الزمان والمكان

من الفعل الثلاثي المعتل بالياء على (مَفْعَل) بالفتح

كانت لجنة الأصول بعد مناقشة الموضوع اتخذت القرار الآتي :

« يجوز أن يجيء اسم الزمان والمكان — كالمصدر الميمي — من الفعل الثلاثي الأجوف اليائي على المَفْعَل بالفتح ، فيقال مثلا المسار لمعنى السير أو مكانه أو زمانه ، وكذلك يقال طار مطارا وآن مطاره وهناك المطار . »

وشرح مقرر اللجنة الأستاذ شوقي أمين الدافع الى القرار بقوله :

لو جرينا وراء القاعدة الصرفية المألوفة لكانت كلمة المطار وكلمة المسار في استعمالهما بمعنى المكان وخطة السير خطأ لا يفتقر ؛ ولما كان بعض العلماء قال : **ان تَمِيَّتْ فَتَحَّتْ وان تَسِيَّتْ كَسَرَتْ في الاسم والمصدر ، وفي هذا رخصة وتيسير للمصدر الميمي واسمي الزمان والمكان ، مما دفع اللجنة الى اتخاذ هذا القرار .**

وبعد مناقشة قصيرة وافق المؤتمر على قرار اللجنة بالاجماع .

الموضوع الثاني : الحاق تاء التانيث بمَفْعِيل ومَفْعَال ومَفْعَل صفة المؤنث

كانت لجنة الأصول بعد دراسة هذا الموضوع، انتهت الى القرار التالي : « يجوز ان تلحق تاء التانيث صفة مَفْعِيل ومَفْعَال ومَفْعَل، سواء أُنْكَر الموصوف أم لم يُنْكَر ؛ مثل : مسكين ومسكينة ، ومعطار ومعطارة . »

وشرح مقرر اللجنة الأستاذ شوقي أمين الدافع الى هذا القرار فقال : ان هذا الموضوع يتعلق بعقبات في اللفظة والاستعمال ؛ فقد كان نقاد اللفظة يخطئون قولهم فخورة وغيورة ، وعالج المجمع مثل هذه العقبات وحل منها الكثير ؛ وقد وجدت اللجنة من كلام العلماء ما يؤيد دخول التاء دلالة على التانيث في هذه الصيغ .

وبعد مناقشة الموضوع وافق المؤتمر على قرار اللجنة بالإجماع .

الموضوع الثالث : جواز المطابقة في توكيد المثني بالنفس والعين

بعد مناقشة الموضوع انتهت لجنة الأصول الى القرار الآتي :
« يجوز الامراد والمطابقة والجمع على أفعل في توكيد المثني بالنفس والعين ،
فيقال : جاء الرجلان نفسيهما ونفساهما وانفسهما » .

وشرح مقرر اللجنة الاستاذ شوقي امين الدافع الى اتخاذ هذا القرار ، فقال : جميع كتب النحو التعليمي تقول في توكيد المثني بالجمع على أفعل : جاء الرجلان انفسهما ؛ وهذا يخالف طبيعة الكلام ، اذ انه يجب ان يؤكد المثني بصيغة المثني والجمع بصيغة الجمع : عندما درست اللجنة هذا وجدت في آراء ائمة اللغة سندا لجواز المطابقة في التوكيد بالنفس والعين للمفرد والمثني والجمع ؛ وهذا ابو حيان قد نص على ان المطابقة هي الاصل : ونحن نقول بمجرد الاجازة .

ولم يعترض احد على ما انتهت اليه اللجنة فاجيز .

الموضوع الرابع : ضوابط رسم الهزمة

اولا : تقوم هذه الضوابط على الدعائم التالية :

١ — تتجنب الكتابة العربية توالي الامثال ، فيكتب الحرف المضعف حرفا

واحدا في « قُم » وكتب الحجازيون قديما : (داوود) و (رووس)

و (شوون) بوواو واحدة هكذا (داود) و (روس) و (شون) .

٢ — تُعدّ من الكلمة اللواصق التي تتصل بآخرها ، مثل الضمائر وعلامات

التثنية والجمع ، والف المنصوب ؛ ولا يُعدّ منها ما دخل عليها من

حروف الجر والعطف ، واداة التعريف ، والسين ، وهزمة الاستفهام ، ولام

القسم .

٣ - الحركات والسكون في الكلمة ترتب من ناحية الأولوية ترتيبا تنازليا على النحو التالي : الكسرة، فالضمة، فالفتحة، فالسكون .

ثانيا : تلخص قواعد كتابة الهزة بعد ذلك في القاعدة التالية : تُكْتَبُ الهزة في أول الكلمة **بالف مطلقا** ؛ أما في الوسط فإنه يُنظَرُ فيها إلى حركتها، وحركة ما قبلها ، وتكتب على ما يوافق أولى الحركتين من الحروف . فتكتب الهزة على ياء في مثل : المستهزئين ، والمنشئين ، وتطمئن ، وأئدة، وفئة ، وجئتلاء؛ لأن الكسرة أولى من كل الحركات والسكون .

وتُكْتَبُ على واو مثل : يؤز ، ويؤدي ، وسؤل ، وأولياؤهم ؛ لأن الضمة أولى من الفتحة والسكون .

وتُكْتَبُ على الف في مثل : نسال ، ويسال ، وكاس ؛ لأن الفتحة أولى من السكون .

أما في الآخر فتكتب بحسب ما قبلها ؛ فإن كان ما قبلها مكسورا فتكتب على ياء مثل : برىء وقارىء ؛ وإن كان مضموما كُتِبَتْ على واو مثل : جرى وتكافؤ ؛ وإن كان مفتوحا كُتِبَتْ على الف مثل : بدأ وملجأ ؛ وإن كان ما قبلها ساكنا تكتب مفردة مثل : بطيء وملء وشيء وجزاء وضوء وبطيء ومضىء .

ملحوظة : إذا تُرْتَبُ على كتابة الهزة على الف او واو توالي الامثال في الخط ، كُتِبَتْ الهزة على السطر مثل : يتساءلون ورعوس ؛ الا اذا كان ما قبلها من الحروف مما يوصل بها بعده، فاتها تُكْتَبُ على نبـرة مثل : بطئا وشئون ومسئول) .

استثناء من القاعدة :

١ - اذا اجتمعت الهزة والف المد في أول الكلمة او في وسطها اُكْتُفِي بعلامة

المد فوق الألف مثل : آدم، وأكل، وآخر، والآن ، ومثل مرآة، وقرآن .

٢ — تعد الفتحة بعد الواو الساكنة في وسط الكلمة بمنزلة السكون ؛ **ولذلك**

'تكتب الهزة مفردة في مثل : مروءة، وشنوءة، مولن يسوعك، وإن ضوعك .

كما تعد ياء المد قبل الهزة المتوسطة بمنزلة الكسرة ، **ولذلك**

تكتب الهزة على نبرة في مثل : خطيئة وبريئة ومشينة .

وتولى الأستاذ شوقي أمين مقرر اللجنة شرح أسباب تدوين هذه

الضوابط فقال : ليس موضوع الهزة جديدا على المجمع ، ولا على لجنة

الأصول ؛ فقد عني المجمع بموضوع الهزة ومشكلاتها حقبة طويلة ، وانتهى

المجمع الى قرارات منذ ثمانية عشر عاما تقريبا في تيسير رسم الهزة ؛

لكن جاءت قراراتها كثيرة الفروع والشعب، ولوحظ فيها التداخل ؛ ورغم ابلاغ

وزارة التربية والتعليم بما انتهى اليه المجمع في هذا الشأن فانها لم توضع

موضع التنفيذ ، وكان قولهم : ان تعليم هذه القواعد الكثيرة شقة لا تتسع

لها خطة التعليم . وقدم الدكتور رمضان عبدالتواب مشروعا **جعل لقسوة**

الحركات الاعتبار الأول في رسم الهزة .

وتبين للجنة الأصول عند دراسة مشروع الدكتور رمضان انه منذ

خمس وعشرين سنة قدم الى المجمع استاذ في المعاهد الازهرية يُسمى

الأستاذ الشيخ بشير سلمو ، ومعه مشروع لرسم الهمة — بـعنوان :

« قاعدة الاقوى » . وطوى الزمن هذا المشروع منذ ذلك الوقت، حتى عاد

الحديث حول كتابة الهمة ، **وعُثِرْتُ** أنا عليها بعد جهد في البحث عنها، ثم

جئت بقرارات المجمع القديمة **وعُنيت** بعقد المقارنة بينها وبين ما تقدم به

كل من الدكتور رمضان والأستاذ بشير سلمو ؛ وفي اثناء البحث هدى الدكتور

مهدي علام الى **طريقة الاقوى** هذه، وكان يعلمها بعض طلابه، وكان **يجسد**

تيسيرا كبيرا .

وُطَبِّقُ المَجْمَعِ القَوَاعِدِ الَّتِي وَضَعَهَا مُتَّفَقًا مَعَ مَا جَرَى بِهِ العَرَفُ فِي الكِتَابَةِ، اِلَّا فِي ضَابِطِينَ اِثْنَيْنِ هُمَا : « بِيئَةٌ وَشُنُونٌ » اِذَا كَانَ يَكْتُبُ الْاَوَّلَى هَمْزَةً عَلَى الْفِ ، وَالثَّانِيَةَ هَمْزَةً عَلَى وَاوٍ ، اِلَّا اِنْ هَذَا لَمْ يَجِدْ قَبُولًا ؛ وَفِي هَذِهِ الضَّوَابِطِ الْجَدِيدَةِ نَعُودُ اِلَى سِيرَةِ كِتَابَةِ « بِيئَةٌ وَشُنُونٌ » فَتَكْتُبُ الِهْمَزَةَ عَلَى نَبْرَةٍ كَمَا هُوَ الْمَالُوفُ (٢٣) .

وَجَرَتْ مَنَاقِشَاتٌ حَوْلَ بَعْضِ الضَّوَابِطِ ، وَاخْتُلِفَ عَلَى ضَابِطِ الثَّلَاثِي، وَانْتَهَى الْاَمْرُ بِالْمُؤَافَقَةِ عَلَى تَقْرِيرِ اللِّجْنَةِ بِالْاَكْثَرِيَّةِ .

الموضوع الخامس : الالف اللينة

بَعْدَ مَنَاقِشَةِ الْمَوْضُوعِ وَمَا قُدِّمَ فِيهِ مِنْ مَذَكَّرَاتٍ، اِنْتَهَتْ لَجْنَةُ الْاَصُولِ اِلَى الْقَرَارِ الْآتِي :

« تُرْسَمُ الْاَلِفُ اللَّيْنَةُ بِصُورَةِ الْيَاءِ (غَيْرِ مَنْقُوطَةٍ) اِمَّا الْيَاءُ فَتَنْقَطُ لِلْفَرْقِ . وَتُرْسَمُ الْاَلِفُ اللَّيْنَةُ فِي آخِرِ الْفِعْلِ عَلَى صُورَةِ الْيَاءِ نَحْوُ : رَمَى وَسَمَّى وَادْعَى وَاسْتَوْفَى ؛ فَاِنْ سُبِقَتْ بِيَاءٍ رُسِمَتْ بِالْاَلِفِ نَحْوُ : اَحْيَا وَاسْتَحْيَا ؛ اِمَّا اِذَا كَانَ الْفِعْلُ ثَلَاثِيًا مُضَارِعُهُ بِالْوَاوِ فَتُرْسَمُ الْفَا نَحْوُ : غَزَا وَدَعَا . وَتَكْتُبُ فِي آخِرِ الْاسْمِ بِصُورَةِ الْيَاءِ اِذَا كَانَتْ رَابِعَةً فِصَاعِدًا، نَحْوُ : بُشْرَى وَمَنْتَدَى وَمِصْطَفَى ؛ فَاِنْ سُبِقَتْ بِيَاءٍ رُسِمَتْ الْفَا نَحْوُ : دُنْيَا وَخَطَابَا ؛ وَاِنْ كَانَتْ الْاَلِفُ ثَالِثَةً جَازَتْ كِتَابَتُهَا بِالْاَلِفِ مُطْلَقًا نَحْوُ : عَصَا وَرَحَا وَخَطَا ؛ وَيَجُوزُ كِتَابَتُهَا بِصُورَةِ الْيَاءِ لَمَّا يَعْرِفُ الْفَرْقَ بَيْنَ مَوْقِعَيْهِمَا نَحْوُ : رَضِيَ وَهَدَى . وَتُرْسَمُ الْفَا فِي آخِرِ الْاسْمِ الْاَعْجَمِيِّ مُطْلَقًا مِثْلَ : تَسْلَا وَسَخَا وَشَبْرَا، اِلَّا مَا اِشْتَهَرَ بِغَيْرِ ذَلِكَ نَحْوُ : مُوسَى وَعَيْسَى وَكَسْرَى وَبِخَارَى وَمَتَّى (مُشَدَّدَةٌ) ، وَتَكْتُبُ فِي آخِرِ الْحُرُوفِ بِصُورَةِ الْاَلِفِ، مَا عَدَا : اِلَى وَعَلَى وَبَلَى وَحَتَّى وَمَتَّى »

وجرت مناقشات حادة حول بعض الضوابط اشترك فيها الاساتذة:
شوقي أمين، وتمام حسان، وعبد السلام هارون، ومحمد رفعت فتح الله، وأحمد
الحونى، واسحق موسى الحسينى، ومهدي علام، وخص الدكتور عدنان
الخطيب اللجنة بالشكر لتفريقها بين الالف اللينة والياء باقرارها نقط الياء
في آخر الكلمة؛ ورجا ان يأخذ بذلك المسؤولون عن الطباعة في مصر، ليزول
كل اختلاف املائي بين ما يُنشر في مصر وفي غيرها من الاقطار العربية .
وانتهى الامر بالمؤتمرين الى الموافقة على قرار اللجنة بالاكثرية .

الموضوع السادس : اقتران اسمين في تعبيرات محدثة

كانت لجنة الاصول اتخذت بالأغلبية القرار الآتي :

« اتفاقية سايكس — بيكو ؛ طيران مصر — السودان ؛ قطار دمشق
— معان »

درست اللجنة هذه التعبيرات ، ورات ان النمط الاول منها فيسه
المفاعلة لا يحتاج الى تاويل ، لانه مكون من جملة فيها عامل ومعمولين .
اما النمط الثاني والثالث فمفي تخريجها وجهان :
الوجه الاول : انها على تقدير حذف حرف العطف .
الوجه الثاني : ان الاسمين المقترنين متضايقان «

وجرت مناقشة حادة من اجل اجازة امثال هذه التعبيرات المستعارة
من غير العربية ، اعيدت خلالها المناقشات التي جرت في اللجنة المختصة ،
وقد لخصها الاستاذ علي النجدي ناصف مقال : ذهبت اللجنة في تخريج
اقتران اسمين في بعض هذه الاساليب ثلاثة مذاهب : أحدها اضافة الاسم
الاول الى الثاني ؛ والآخر تسكين او اخر كل من الاسمين اعتمادا على قرار
للمجمع في هذا ؛ والثالث جعل الاسمين معطوفين بلا عاطف مذكور . ثم

أردف يقول : والاحظ أن القول باضافة الاول الى الثاني لا يمكن حين يكون الاسم الاول مقرونا بالالف واللام ؛ والاحظ على التخريج الثاني ان التسكين يمكن ان يؤخذ به حين تكثر فيه الاسماء محسب ، ويكون التسكين حينئذ للتخفيف . اما القول بالمعطف مع حذف العاطف فهو الراي الاشبه باللغة ، وقد احتج له الدكتور شوقي ضيف بنصوص تجيز ذلك؛ وأزيد على احتجاجه ، الاحتجاج بأسلوب واو الثمانية (٢٤) ، وهي واو يتقدمها سبعة معطوفات ويجيء الثامن مقرونا بالواو ، وله ثلاثة امثلة في القرآن الكريم : الاول في سورة التوبة والثاني في سورة الكهف والثالث في سورة التحريم . وسكنت المناقشات ، وكاد المؤتمر يجمعون على ان امثال هذه التعبيرات العصرية المترجمة عن الاعجيبات ، تخرج على سنن العربية ، ولكن شيوعها اوجب البحث عن تخريج لها ؛ والقول بالمعطف مع حذف العاطف اشبهها بالعربية . وأعتبر قرار اللجنة مجازا .

الموضوع السابع : جواز جمع فعل على افعال من كل اسم ثلاثي

انتهت لجنة الاصول بعد مناقشة هذا الموضوع الى القرار الآتي :
« يجوز اذا لم يسعف السماع ان يجيء جمع التكسير على افعال من كل اسم ثلاثي ، بناء على ما قرره جمهور النحاة من ان (افعالا) يطرد في اسم ثلاثي لم يطرد فيه (افعل) ، وعلى ما قرره المجمع من اباحة جمع (فعل اسما صحيح العين) على افعال ، وهو ما استثناه النحاة من اطراد مجيء (افعال) في الثلاثي » .

ووافق المؤتمر على اجازة القرار .

الموضوع الثامن : وزن فعالة للدلالة على نفاية الاشياء ومثاراتها وبقاياها

انتهت لجنة الاصول بعد مناقشة الموضوع الى القرار الآتي :

« درست اللجنة صيغة فعالة للدلالة على نفاية الشيء وبقاياه وما تنأثر منه ، وتأسيسا على ما سجلته المعاجم وكتب اللغة الأخرى من عشرات الالفاظ على هذه الصيغة بهذه المعاني ، وعلى ما ذكره اللغويون من أن فعالة يدل على فضالة الشيء وما تحأت منه وبقي بعد الفعل — كما في ديوان الادب وغيره — يجيز المجمع ما ينشأ من كلمات على صيغة فعالة بهذه المعاني ، سواء ما كان منها في مصطلحات العلوم أم في الفاظ الحضارة (٢٥) .

واجمع المؤتمر على اجازة هذا القرار .

الموضوع التاسع : تعليق على تيسير دراسة النحو في التعليم العام

احيل الى لجنة الاصول تقرير عن دراسة النحو العربي في التعليم العام ، فوكلت اللجنة الى الدكتور شوقي ضيف كتابة تعليق عليه ؛ فكتب تعليقا اجازته للجنة ، وهو الآتي :

« من الواضح الجلي في التقرير ان — ما ادخلته مناهج اللغة العربية لتيسير النحو — أخذت فيه بطائفة من قرارات المجمع اللغوي في الدورة الخامسة والأربعين وما قبلها ؛ وهذا احصاء بها :

- ١ — اذا تقدّم المعدود على العدد جاز تذكير العدد وتأنينه .
- ٢ — اذا جُرّ المعدود بمن جاز تأنيث ادنى العدد (٣-١) .
- ٣ — اذا كان العدد مضافا جاز تعريفه مع بقاء المضاف اليه منكراً (الالف كتاب) .
- ٤ — المستثنى بالأّ وخلا وعدا وحاشا منصوب دائما .
- ٥ — المستثنى بغير وسوى يُجرّ بالاضافة وهما منصوبان .

٦ - الاستثناء المفرغ قصر لا استثناء .

٧ - لا يُقَدَّر العامل في أساليب الإغراء والتحذير والاختصاص ، وَيُكْتَفَى بعرض صورها .

٨ - يقال في « لا سيما » أنها للترجيح وما بعدها يُرْفَع أو يُنْصَب أو يَجْرُ . ولا يتعرض لتوجيه الأعراب في هذه الأحوال .

٩ - يُكْتَفَى في تعريف المفعول معه أنه اسم منصوب تالٍ لو أو بمعنى مع ، لا يشترك مع ما قَبْلَهُ في الفعل .

وأضافت اللجنة إلى هذه البنود البند العاشر التالي :

« ١٠ - في مصدر الفعل الأجوف واسمي الزمان والمكان منه ، يقال فيه بجواز الفتح والكسر ، مثل مسار ومسير ومطار ومطير - للمصدر الميمي واسم الزمان واسم المكان . »

وهذا البند من قرارات لجنة الأصول في الدورة السادسة والأربعين ؛ أما البنود التسعة السابقة فتلتقي مع قرارات المجمع في دورته الخامسة والأربعين وما قبل ذلك ، وهناك بنود صرفية أُخِذَ فيها بقرارات سابقة للمجمع .

وشكر المؤتمر بعد اطلاعهم على هذا التعليق للجنة الأصول جهودها الكبيرة .

سابعاً : أعمال لجنة الألفاظ والأساليب

نظر المؤتمر في أعمال لجنة الألفاظ والأساليب المحالة إليه عن طريق مجلس المجمع ؛ وفيما يلي عرض موجز لمناقشاته وما اتخذته من مقررات :

أولاً : الألفاظ

١ - المعلن إليه

قررت اللجنة ، بعد مناقشة الموضوع ، ما يأتي :

« مما يشيع في لغة أهل القضاء قولهم : المعلن إليه أي الشخص الذي يصل إليه إعلان بالحكم أو بالقضية .

ويؤخذ على هذا التعبير أن لفظ المعلن مُعَدَّى بالي مع أن فعله (اعلن) مُعَدَّى بنفسه ، يقال : اعلن رايه ، واعلن امره .

ولكن تعدية اعلن بالي أمر جرت به أقلام بعض اللغويين منذ وقت طويل ، إذ فسّر صاحباً القاموس واللسان : عالنه بقولهما : اعلن إليه . هذا مع إمكان أن يكون الكلام من باب التطمين ؛ وإذاً يكون اعلن قد عُدِّي بالي لأنه بمعنى أوصل .

وعلى ذلك يكون التعبير القضائي صحيحاً يجري على سنن العربية وضوابطها .

وبعد مناقشة قصيرة وافق المؤتمر على القرار بالاجماع ، مع إضافة الجملة التالية الى التعليق : « مُضلاً عن ازالة الالتباس بين المعلن والمعلن » .

٢ - التطويح

ناقشت لجنة الألفاظ والأساليب الموضوع المعروض عليها وانتهت الى القرار التالي :

« يشيع بين المعاصرين استعمال (التطويح) بمعنى الاخضاع والتذليل في نحو قولهم : تطويح التلاميذ أو تطويح القاعدة ، أو تطويح

اللغة ؛ وقد يؤخذ على هذا الاستعمال أن المعجمات لم تثبت هذا المعنى لكلمة تطويع ، وإنما اثبتت لها معاني أخرى كالتزيين والمطاوعة ، كما هي قوله تعالى : **﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ ﴾** .

وفي اللغة طاع يطوع ، وطاع يطاع بمعنى : اشاد ؛ ويجوز أن يَصْفَ هذا الفعل الثلاثي اللزوم – للتعدية – فيصير : طَوَّعَ بمعنى : اخضع .

وإذاً يكون المصدر وهو التطويع من الفعل طَوَّعَ المتعدّي مؤدياً لعنى الاخضاع والتذليل والتيسير ؛ ولا اعتراض على هذا لأن الفعل الثلاثي اللزوم مُتَعَدٍّ بتضعيف عينه .

ولهذا ترى اللجنة أن لفظ التطويع صحيح في المعنى الذي يستعمله المعاصرون فيه .

وبعد مناقشة سريعة وافق المؤتمر على القرار بالاجماع .

٢ – الانضباط

انتهت لجنة الالفاظ والاساليب الى القرار التالي :

« يشيع في اللغة المعاصرة استعمال لفظ الانضباط مراداً به حدوث الضبط والتزام القواعد او النظام العام ؛ ويؤخذ على هذا الاستعمال ان امهات المعجمات العربية لم تثبته ، وإنما اثبتت ضَبَطَهُ ضَبْطاً وُضْبَاطَةً . واذ كان الانضباط يمكن أن يكون مصدراً للفعل انضبط الذي هو مطاوع للفعل ضبط الثلاثي المتعدّي – والمطاوعة هنا تنطبق عليها الضوابط التي أقرها المجمع في قياسية المطاوعة – فان اللجنة تجيز لفظ الانضباط في المعنى الذي يستعمله المعاصرون . »

وقبل المؤتمر هذا القرار بالاجماع ، بعد مناقشات حول طبيعة المطاوعة والتعدية والقياسية فيها .

٤ - التصويب

انتهت اللجنة الى ما يلي :

« جاء في المعجم الوسيط : **صَوَّبَ الشَّيْءَ** : صَحَّحَهُ ، على معنى انه عالجه بما يجعله صحيحا .

وهناك مَنْ تَوَقَّفَ في هذا ، بدعوى ان تلك الدلالة ليست في مسموع اللغة ، وانما المسموع : **صَوَّبَ الشَّيْءَ** : رآه او عَدَّهُ صوابا (٢٦) .

وترى اللجنة ان ما سجله المعجم الوسيط من هذا الاستعمال ، له سنده في فقه العربية ؛ فان التعدية تحمل معنى **الجعل والصرورة** ، كما تقول : **حَقَّقْتُ الكِتَابَ** ، و**صَحَّحْتُ الحديث** ، و**ذَهَبْتُ الاناء** ؛ وعلى هذا تصويب الكلمة **جَعْلُها صوابا** ؛ وذلك بادخال عنصر تصحيح عليها او بديل يجعلها جديرة بالحكم لها بالصواب ، وهذا **تَصَرَّفَ مجازي سائغ** .

وبعد المناقشة اجاز المؤتمران القرار بالاجماع .

٥ - تصويب كلمات مزيدة بالهمز

انتهت اللجنة الى ما يلي :

« يجري في استعمال **الكِتَابِ قولهم** : **عَمِلَ مُرَبِّكُ** ؛ وقولهم : **اشهسار المزداد او البيع** ؛ وقولهم : هذا **التصرف يُضِرُّه بضم الياء** ، وقد **أُضِرُّ** في هذا الحادث .

وللناقد ان يتوقف في اجازة هذه الاستعمالات لان المسموع فسي انعمالها انها **ثلاثية متمدية بنفسها الى المفعول** ؛ واللجنة لا ترى مانعا من اجازتها على اساس ان **افعله** بمعنى **فعله** **مورَّد** منه في اللغة عشرات من الكلمات . وان صيغة **المزيد** انما **عُدِلَ** اليها لما فيها من **الاسراع الى افادة**

التعدية ، ومن قياسية مصادرها ، ويسر الضبط لماضيها ومضارعها » .

ووافق المؤتمر على اجازة القرار بالاجماع .

٦ - التصفية

انتهت اللجنة الى القرار التالي :

« يشيع في اللغة المعاصرة قولهم : تصفية المشكلات ، وتصفية الخلاف ، وتصفية البضائع ، وتصفية الحساب ، مرادا بها **الانهاء والحل والازالة** .

وقد يبدو للناقد المتعجل أن استعمال هذا المصدر بهذا المعنى غير جارٍ على سنن العربية؛ لأن معنى الصفاء في اللغة هو الخلو من الكدرة والخلاء مما يشوب ، فيقال : **أصفى الشاعر** : انقطع شعره ، واصفت الدجاجة : انقطع بيضها ، واصفى الأمير الدار : اخلاها .

ولما كان الاصفاء والتصفية تجمعهما مادة واحدة هي (صفا) فإنه **يجوز قياس صفى على اصفى بمعنى ما تؤول اليه التصفية** ، وهو **الانهاء والاخلاء والازالة** .

ولهذا ترى اللجنة ان التصفية في معناها العصري بمعنى الازالة والحل والانهاء صحيحة ، ولا مانع من تداولها في أساليب الكلام » .

وبعد مناقشة وجيزة اجاز المؤتمر الكلمة .

٧ - الأنشطة

انتهت اللجنة الى القرار الآتي :

« يشيع في اللغة المعاصرة استعمال « الأنشطة » مرادا بها **الدلالة على جملة الأعمال المتنوعة التي يمارسها المرء او الجماعة في الحياة العامة**

من رياضية واجتماعية وثقافية .

وقد يؤخذ على هذا الاستعمال أن الأنشطة جمع نشاط ، وهو مصدر ،
والأصل في المصدر الا يثنى ولا يجمع ، لأنه يدل على القليل والكثير ، ثم
ان جمعه في حالة جوازه على صيغة أفعلة غير مسموع .

واللجنة ترى اجازة التعبير على اساسين :

الاول : ان جمهرة علماء اللغة يجيزون جمع المصدر اذا تعددت
أنواعه ؛ والنشاط متعدد الانواع .

والآخر : ان جمهرة علماء التصريف يجيزون فعلا على أفعلة جمع قلة ؛
هذا وقد سبق للمجمع ان اصدر قرارا يجوّزُ فعلا على أفعلة جمع قلة « .

ودارت مناقشات انتهت باجازة القرار بالاجماع .

٨ - هذا عامل كسول

ناقشت اللجنة الموضوع واتخذت القرار التالي :

« يُخَطِّىء بعض الباحثين مثل هذا التعبير ، ويقولون ان الصواب فيه
كُسِلٌ أو كُسْلَان ، لان المعجمات اثبتت لفظ الكسول بين اوصاف المؤنث
دون المذكر .

درست اللجنة هذا ثم انتهت الى ان التعبير صحيح بدليلين :

(١) ان صيغة فعول جاءت كثيرا مشتركة بين المذكر والمؤنث مثل : غُيُور
وَكُنُودٌ وَعُضُوبٌ ؛ ولا مانع ان يكون « الكسول » مثلها، اذ الكُسْلُ
في اصله من المعاني المشتركة بين الجنسين .

(٢) انه قد ثبت ورود لفظ الكُسول عينه وصفا للمذكر في بيتين من
الشعر وهما : قول الشاعر الجاهلي أُحِيْحَةُ بن الجُلاح (كما نسي

الصاحح مادة زمل) :
لا وأبيك ، ما يغني غنائسي من الغتيان زميل كسول
وقول الراعي في ملحمة :
طل التقلب والزمان ورابه كسل ويكره أن يكون كسولا
وعلى هذا يكون مثل قولهم : عامل كسول ، صحيحا لا مانع من استعماله .

وبعد المناقشة وافق المؤتمر بالإجماع على اجازة القرار .

ثانيا : الأساليب

١ - ما هي الأسباب - ما هو راك - من هو مؤسس الدولة ؟

انتهت اللجنة الى القرار التالي :

« يخطئ بعض نقاد اللغة ما تجري به الاقلام في اللغة المعاصرة من امثال هذه التعبيرات التي يُستعمل فيها الضمير بعد (ما) او (من) الاستفهاميتين ؛ وحثّهم في ذلك ان الضمير لا مرجع له هنا بحسب الظاهر .

وقد انتهت اللجنة بعد دراسة المسألة الى انه يمكن تخريج هذه التعبيرات ونحوها بأحد الأوجه الآتية :

١ - أن يكون الضمير ضمير فصل ليدل على ان ما بعده خبر عما قبله .

٢ - أن يكون الاسم الظاهر بدلا من الضمير قبله .

٣ - أن يكون الضمير مبتدأ ثانيا وما بعده خبر والجملة خبر المبتدأ الاول .

ولهذا ترى اللجنة ان هذه التعبيرات المذكورة فيما يستعمله

المعاصرون صحيحة .

ووافق المؤتمر على اجازة القرار بالاجماع .

٢ — دلالة الحرف (عن) في محدث الاستعمال

انتهت اللجنة الى القرار التالي :

« يجري في الاستعمال مثل قولهم : تقرير عن مشكلة التعليم —
الاساسي ، ومحاضرة عن تربية الاسماك ، وحلقة اذاعية عن النقد
الادبي .

ويلاحظ ان (عن) في هذه التعبيرات غير دالة على (المجاوزة) التي
هي المعنى الاصلي للحرف في ظاهره .

وقد استبان للجنة ان (عن) في هذه الاستعمالات ونحوها تدلّ على
معنى الاتصال والتعلق والارتباط ، وقد نبّه فقهاء اللغة الى ان دلالة (عن)
الاصلية على (المجاوزة) تتضمن معنى : (الاصاق) او (السببية) او
(الظرفية) بمعنى (في) وقد فسّرت بذلك شواهد من المنثور والمنظوم في
نصيح الكلام .

فلهذا ترى اللجنة اجازة امثال تلك الاستعمالات « .

وبعد مناقشات حول هذا القرار اعلنت موافقة المؤتمرين على اجازته

بالاجماع .

٣ — تطريف كلمات في محدث الاستعمال

انتهت اللجنة بالمناقشة الى القرار التالي :

« يشيع في اللغة المصرية ايقاع كلمات موقع الظرفية المكائبة ،
على حين انها ظروف مختصة غير مبهمة ، وذلك مثل : طيّ ، ضمن ، باطن ،
ادناه ، رُفق (بفتح الراء) ، وسَط (بفتح السين) فيقولون : ارسلته طيّ

كتابي ، قدّمته ضمن أوراقتي ، رفق هذا مذكرة ، جلس وسط الدار .

ويرى بعض الباحثين أن هذه الاستعمالات لا توافق اللغة ، لأنها ظروف مختصة ، لا بد أن تُسبق بحرف الجر ، وقد بحثتها اللجنة وانتهت الى اجازتها بناء على أن النحاة قد أجازوا من قبل كلمات منها : جهة ، ووجه ، وناحية ، وداخل ، وخارج ، على أساس أنها تشبيهة بالجهات في الشيوخ ، وأنها لا تخلو من الإبهام وعدم الاختصاص ، على الاتساع ، سواء اكانت الاسماء مصادر أم كُنَّ غير مصادر .

وأجاز المؤتمر هذا القرار بعد مناقشته ، وشكر الرئيس للجنة ولقررها جهدهم الطويل .

ثامنا : اعمال لجنة اللهجات

عُرِضت اعمال لجنة اللهجات على المؤتمر ، وكان مجلس المجمع أحالها اليه ، بعد تعديله بعض ما فيها وموافقته عليها .

وكانت لجنة اللهجات درست جملة من المسائل ، وانتهت الى قرارات ؛ وفيما يأتي موجز لما تم فيها :

١ - الظواهر اللغوية للهجات العربية القديمة

كانت اللجنة قد عُرِضت على مجلس المجمع ومؤتمره في الدورات: ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٥ مجموعات من المصطلحات اللغوية في اللهجات العربية القديمة ، فوافق على طائفة منها ، كالتثنية والشئشنة والقُطعة . ورات اللجنة الانتقال من مرحلة رصد الظواهر الجزئية ، الى مرحلة رصد الظواهر الكلية لقبيلة بعينها . . .

وقد قامت اللجنة بجمع ما يتعلق باللهجات العربية في لسان العرب ونقل نصوصه في جزايات ، وصنفت المادة المجموعة بطريقة تُيسر الانتفاع

بها في البحث ؛ وكان التصنيف وفقا لمستويات اللغة بالترتيب الآتي :

ما يتصل بعلم الأصوات ، وما يتصل بعلم الصرف ، ثم ما يتصل بعلم النحو: وفي هذا العام رجعت الى ما وجدته من تلك الجزارات . وشرعت في استخلاص الخصائص مستأنسة بما كُتِبَ من دراسات وبحوث في القديم والحديث ...

وقد انتهت اللجنة الى قرارين في لهجتي طيء وهذيل ، مصحوبين بالمذكرات المقدمة من الدكتور رمضان عبدالقواب في خصائص لهجة طيء، والدكتور احمد علم الجندي في خصائص لهجة هذيل .

أما القرارات فهي :

أ - الظواهر الصوتية في لهجة طيء هي :

١ - الميل الى التخلص من صوت الهمزة ، فتبدل حرفا من جنس

حركة ما قبلها مثل : يواخي ، ويؤاكل ، ويؤاسي، فتصير :

يواخي ، ويواكل، ويواسي ؛ أو يبدلونها هاء في بعض المواضع،

يقولون : هِنُ فَعَلْتُ ، يريدون إن فعلت .

٢ - جهر السين والصاد ، بقلبيهما زايا ، فيقولون في سَقَرٌ وصَقْرٌ :

زُقَرٌ وزُقَرٌ .

٣ - قلب الياء والواو والفا ولو لم يكن ما قبلهما مفتوحا فيقولون :

بُقَى وبُقِيَتْ مكان : بُقِيَ وبُقِيَتْ .

٤ - قلب الف المقصور ياء فيقولون : انعمي وحبلي مكان : انعمسى

وحبلى .

ب - الظواهر الصوتية في لهجة هذيل أهمها :

قلب الف المقصور ياء عند اضافته الى ياء المتكلم ، ثم تدغم الياء في الياء مثل : فتىً وهويً. وبعد قراءة المذكرات المشار اليها جرت بعض المناقشات حولها، ثم أعلن الرئيس الشكر للجنة على جهودها .

ب - ما بين الفصحى والعامية من الوحدة في الالفاظ

تُعنى لجنة اللهجات بالحديث منها كما تُعنى بالتقديم ؛ وقُدِّمت هذه السنة الى المؤتمر طائفة من الالفاظ العامية التي تجري في البيت والمصنع والسوق والحقل ، مستهدفة توثيق علاقتها بالفصحى ، والتنبه الى انه لا وجه لاغفالتها او الترفع عنها في لغة الكتابة، وهي تُعاش الحياة اليومية في التفاهم والتحدث والخطاب .

وتأمل اللجنة ان تواصل دراستها لمجموعات متتابعة من الالفاظ، وُصلاً لجهود الباحثين في مختلف البلاد العربية خلال قرن مضى في ابراز العروة الوثقى بين الفصحى والعاميات في اوطان العروبة .

وقُدِّمت اللجنة قائمة بمئة كلمة عامية ، سجلتها معجمات الفصحى في مفرداتها ؛ وفيما يلي بعض منها :

العَيْل : الولد

الشُّجِيع : الشُّجاع

الشَّبَّ والشَّبَّة : الشاب والشابة

السُّبوع : الاسبوع

الرَّيحة : الرائحة

حَرْج : حَرَمٌ وَضَيْقٌ

زُوق : زَيْنٌ

المراجيع : الاراجيح

محصور : حابس البول
السُّفرة : المائدة
الزُّور : القوة والشدة
الجُرْسُة : الفضيحة وسوء السمعة
الاطرش : الأصم
كُوَّس : جمع
الشَطَّ : الشاطئ
بَيَّاع : بائع
حُوْد : مال
الصيفة : المصوغات
الضُّنا : الولد والنسل
هُجَّج : شرد ونفر

وجرت مناقشات طريفة حول بعض الالفاظ ودورها في الشعر القديم؛
وشكر الرئيس للجنة جهودها آملا مواصلتها في سبيل التقريب بين لغسة
الناشئين التي تمرسوا بها وما يُعْرَض عليهم في الكتب المدرسية في مرحلة
التعليم الاساسي .

تاسعا : جلسة الختام

عقد المؤتمر جلستهم الختامية صباح يوم الاثنين في الرابع عشر من
جمادى الاولى ١٤٠٠ هـ وفق الحادي والثلاثين من آذار (مارس) ١٩٨٠م،
عُرِض فيها الدكتور مهدي علاّم، امين المجمع، ما انجزه المؤتمر خلال هذه
الدورة ؛ ثم تليت اقتراحات الاعضاء وملاحظاتهم حول الجهود المبذولة في
سبيل تعريب التعليم الجامعي، وتوحيد المصطلح العلمي ، وحول مؤتمرات
التعريب التي تدعو اليها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ؛ وتساءل

بعض الأعضاء عما تم بالتوصيات السابقة للمؤتمر ، من أجل اعداد العاملين بالاذاعة المسموعة والمرئية ، وما يتعلق منها بلغة المسرحيات والتثليليات والصحف ، والدعوة الى الاقتصار على استخدام لغة فصحي يسهل فهمها على العربي من مختلف المستويات وفي جميع اقطار العروبة .

وطالب بعض الاعضاء ببذل جهود لتكوين هيئة ذات سلطات نافذة تقوم بالتنسيق مع اتحاد الجامعات العربية بتوحيد المصطلح العلمي ونشره في انحاء العالم العربي .

وبعد اقرار التوصيات النهائية للمؤتمر ، تقرّر تبليغها الى سائر الجامعات العربية، وائى كل من اتحاد الجامعات، والجامعات، وجامعة الدول العربية، والمنظمات الأخرى، ووزارات التربية والتعليم، والثقافة والاعلام في جميع البلاد العربية .

ثم تبادل عدد من الاعضاء كلمات وداعية ، مبدئين أسفهم لافتقادهم وجوها كريمة من أعضاء المؤتمر غابت عنهم في هذه السنة .

والقى الدكتور عز الدين عبد الله كلمة واعية، ضمّنها الأسى لعدم الثناء شمل جميع العاملين في خدمة العربية ، تبعا للظروف السياسية المؤلمة التي مرّقت كلمة العرب وشئتت صفّهم ؛ ورجا أن تتبدل هذه الظروف لتساعد جميع أعضاء المؤتمر على حضور المؤتمر القادم .

ووقف الدكتور اسحق موسى الحسيني ليشكر للقائمين على المؤتمر بالغ حفاوتهم ، وليشاطرهم الاماني في مستقبل مضيء، عسى أن يكون قريبا ؛ فاذا بأبيات من الشعر تنثال عليه فيقول :

في كل عام لنا في مصر مادبنة
غنية بغذاء الروح والجسد

فلتبقُ مصرُ على الأيام شامخةً
تزداد خيراً بلا حدٍّ ولا عددٍ
وليُبقُ جمعنا للمُربِ مؤنَّةً
تُذاع من فوقها الفصحى الى الأبدِ

وقبل أن تلتهب الأكف بالتصفيق استحساناً ، لاحظ المؤتمر دمعتين تتلألآن في عيني الدكتور الحسيني ، وهو يتطلع الى مقاعد أبناء الاقطار العربية التي شغرت بغيابهم ؛ فكانت الدمعتان أبلغ من أي كلمة قيلت في حال الأمة العربية وما آل اليه من تشتت وفرقة في السياسة ؛ حال على بالغ سؤئه ما كان ينبغي أن يبدو في مؤتمر لا هدف له الا خدمة لغة الذكر الحكيم .

ثم اعلن الدكتور ابراهيم مذكور، رئيس المؤتمر، ختام الدورة السادسة والاربعين ، متمنيا للأعضاء كل خير، آملا اللقاء بهم في الدورة القادمة التي ستعقد ان شاء الله في الاسبوع الثاني من شباط (فبراير) سنة ١٩٨١ .

عدنان الخطيب



- (١) القى البحث الدكتور مهدي علام نيابة عن صاحبه ، وقد عاقته ظروف صحية عن متابعة أعمال المؤتمر .
- (٢) الآية ٢ من سورة الحج ٢٢ .
- (٣) الآية ١٨ من سورة المزمل ٧٣ .
- (٤) وردت لفظة السماء في القرآن الكريم عشرات المرات ، وُصِفَتْ كلها بمؤنث ، الا في موضعين ، احدهما المسألة المبحوث فيها .
- (٥) الآية ٩ من سورة الحجرات ٤٩ .
- (٦) جاء في تفسير الامام النسفي في هذه المسألة : « وقيل (مرضعة) ليدل على ان ذلك الهول اذا حدث وقد أُلْقِيَتْ الرضيع نديها نزعته من نيه لما يلحقها من الدهشة . اذ المرضعة هي التي في حال الارضاع ملقمة نديها الصبي ؟ والمرضع التي شأنها ان تُرضع وان لم تباشر الارضاع في حال وحفها به « انظر ص ٤٢٤ ، ج ٢ من مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، القاهرة ١٩٦٧ .
- (٧) انظر القسم الاول من هذا البحث المتع في ابحاث مؤتمر الدورة الخامسة والاربعين ؛ وسبق للمجلة ان نشرت وقائع هذا المؤتمر في العدد المزدوج (٣ - ٤) .
- (٨) طفيل ، وزن زُيِّر ، اسم ابن زلال الكوفي ؛ كان يدعى طفيل الاعراس ، لانه ياتسي الولاثم من دون دعوة (القاموس المحيط) .
- (٩) ليست الكلمة في عامية اهل مصر نصيب ، فهي وامثال لها في عاميات بلاد الشام واطار اخرى ؛ وهي وان بدا انها مولدة ، فقد جرت منذ القديم على السنة الفصحاء وعلى اقلام كبار الكتاب .
- (١٠) من هذه النصوص يبين ان الرسم الصحيح لكلمة (سورية) الاسم الذي عرفت به بلاد الشام ، يكون بالناء المربوطة ، وهي مضمومة السين مخففة الباء ، وهو الرسم الشائع بين الكتاب في سورية نفسها . كما ان الحكومة السورية تلزم به دوائرها (بلاغ ١٩٥٥/٥/٢١ وتعميم ١٩٦٢/١/٦) ، خلافا لما جرى عليه الكتاب في مصر . وقد اشار المرحوم عبد القادر المغربي الى خطأ رسم سورية بالالف (انظر كتابه عشرات

اللسان ، دمشق ١٩٤٩) وكان الامر مصطلحاً الشهابي من المتمصين الى كتابة سورية بالتاء المربوطة ، تبعاً للسليقة العربية ، وتبعاً بقرار مؤتمر المجمع السدي يرجع الرسم الصحيح (انظر كتابه المصطلحات العلمية ، دمشق ١٩٦٥ - ومحاضر المؤتمر في دورته ٢٨) .

(١١) يقول فيليب حتي ان اسم سورية يوناني (انظر تاريخ سورية ص ٦٢ ج ١ بيروت ١٩٥١) ويربط هرتزفيلد اسم سورية بكلمة آشور ، او انورا (انظر مجلة مجمع دمشق ص ٢٢ ص ١٧٨) والمؤرخون السريانيون ينسبون سورية الى سورس ، او كورش ، ملك فارس ومادي (انظر كنيسة انطاكية للبطريرك يعقوب . دمشق ١٩٧١) .

(١٢) ورد اسم سورية في بحث الاستاذ هارون بلاليف تبعاً للرسم الشائع في مصر. ومما هو جدير بالتنويه ان الاستاذ وهيب دياب كان اشار في نقده معجم تهذيب اللغة للازهري، الذي حققه الاستاذ هارون ، الى هذا الامر (انظر « المجلة العربية » السعودية ، عدد ٥ سنة ٢ / ١٩٧٧) .

(١٣) هذا هو رسم الكلمة في النص الاكثر شهرة والاصح ، وهو المعتمد في كتاب «مجموعة الوثائق السياسية للمعهد النبوي والخلامة الراشدة » ، لحمد حميد الله تحت رقم ٢٦ - القاهرة ١٩٥٦ . ومما هو جدير بالتنويه ان الحسين ملك الاردن أعلن في نيسان (ابريل) سنة ١٩٧٧ ان أهل كتاب النبي (ص) دخل في حوزته بعد ان عرضه على خبراء الآثار والمخطوطات المالميين وأقرّوا بصحته . وفي رسبه اختلاف بسين (انظر مجلة اكتوبر القاهرية عدد ٢٥ الصادر في ١٧ ابريل ١٩٧٧) .

(١٤) انظر جماع ذلك كله في شرح الامام النووي لصحيح مسلم ص ١٠٩ ج ١٢ القاهرة - ١٩٣٠ - وجميع المصادر التي تضمنت النص على اختلاف الروايات مشار إليها في كتاب حميد الله السابق ذكره .

(١٥) انظر ما جاء في اللسان وما جمعه الزبيدي في التاج، بينما قال ابن فارس « الهسزة والراء والسين ليست عربية . ويقال ان الاراريس : الزارعون، وهي شامية ! » واتى المعجم الكبير على ما ذكره ابن فارس وعلى ما ورد في المعجمات الاخرى ، وكثير

منها تطلعت صحته النظر !

(١٦) اورد الطبري في تاريخه خبر كتاب النبي الى هرقل، واثبت نصه بصيغة : « وان تقول

نان اثم الأكارين عليك » انظر ص ٦٤٩ ج ٢ من طبعة دار المعارف بمصر ١٩٦١ .

(١٧) جاء في الرواية التي اثبتها القاسم بن سلام : « . . وإلا فلا تحل بين الفلاحين وبين

الاسلام » لم قال : « لم يرد الفلاحين خاصة ولكنه اراد اهل مملكته جميعا » . انظر

ص ٢٢ ج ١ من كتاب الاموال . القاهرة ١٣٥٢ .

(١٨) انظر شرح الامام النووي السابق ذكره آنفا - وقارن مع ما اورده ابن منظور نسي

اللسان عن الاروسية . وكان ابو الفتح الشهرستاني ذكر ان النصراني افترقوا اثنتين

وسبعين فرقة، وذكر أهم الفرق وما انشعب منها دون أي اشارة الى الاروسية ! غير

انه نقل بعض اقوال آريوس قائلا: « وهذا آريوس قبل الفرق الثلاث ، فتراوا منه

لمخالفتهم اياه في المذهب » . انظر كتاب الملل والنحل ص ٢٠٨ ج ١ القاهرة ١٩٥٦ .

والم محمد ابو زهرة بمختلف الفرق والمذاهب النصرانية، وبراى آريوس؛ مشرا

الى انتشار هذا الرأي في مصر والشام وبتدوينه . انظر « محاضرات في النصرانية »

القاهرة ١٩٦١ .

(١٩) عاش القس آريوس في الاسكندرية في اوائل القرن الرابع بعد الميلاد ، وأعلن اراءه

في طبينة المسيح حوالي سنة (٣١٨) ، معارضه فيها كبير الاساقفة، ودعا السى

حرمه ؛ غير أن اعوانه اختلفوا فيه ، وعرض الامر على الامبراطور قسطنطين بعد

تنصره، فدعا الى مجمع نيقية سنة ٣٢٥ ، وانتهى المجمع الى حرم آريوس واتباعه ؛

فنفاه الامبراطور ثم عفا عنه ؛ ويقال انه مات مسموما سنة ٣٣٦ (انظر ول ديورانت

في « قصة الحضارة » ج ٢ مج ٢ القاهرة ١٩٥٥) .

ولما مات قسطنطين سنة ٣٣٧ خلفه على العرش في الشرق ابنه قسطنس ،

وكان متعاطفا مع الاروسيين ، فازداد انتشار المذهب ورسوخه ؛ ولم يقتصر انتشاره

على المشرق فحسب بل انتشر في الغرب أيضا ، وكان الخلاف حول الاروسية شديدا

في اسبانيا قبل فتح العرب لها (انظر قصة الحضارة المرجع السابق ذكره ج ١ ص ٤)

(٢٠) حدث من عهد تريب أن أعلن رشيد سليم الخوري (الشاعر القروي) في وصية طريفة له أتباعه آراء أريوس . انظر مجلة الحوادث البيروتية العدد ١٠٨٤ الصادر بتاريخ ١٩ أغسطس ١٩٧٧ . وانظر ما أعقب اعلان هذه الوصية من رمود وبحوث حول الاروسية في مختلف المجلات العربية - وانظر ما علق به على هذا الموضوع أنور الجندي في كتابه « صفحات مضيئة من تراث الاسلام » ص ٢٧١ القاهرة ١٩٧٩ .

(٢١) مؤرخو النصرانية في غالبيتهم يوجزون البحث في العقيدة الاروسية ومدى انتشارها باعتبارها بدعة تناقض الايمان الكنسي لسنة ٣٢٥ م ؛ غير أن واحدا من كبار الاجبار المعاصرين اعترف في تاريخه بأن (الاروسية التي نفذت الى الغرب باستيلاء البرابرة ، لم تكن راسخة شأنها في الشرق) . انظر « الدرر النسيبة في مختصر تاريخ الكنيسة » للبطريك برصوم ج ١ ص ٥٤٦ حمص ١٩٤٠ . وفي كتاب « تاريخ العالم » الذي نشره جون ا . هامرتن بالانكليزية ، واشرفت على ترجمته الى العربية وزارة التربية بمر بدا من سنة ١٩٤٨ ، تجد تفصيلات هامة في هذا الموضوع ، كما تجد في كتاب « روما وامبراطوريتها » ، لاندريه ايمار وجاتين اوبويه ، الذي ترجمه يوسف اسعد داغر ومريد داغر ، تحليلات قيمة ، وهما بطلقان لفظة الآرية على الاروسية . بيروت ١٩٦٤ .

(٢٢) ترجم الزككي للشاعر في اعلامه وقال فيه : « كان يبه امتزاز وترفع ، قال من ابيات يمدح بها اسحق بن ابراهيم :

ان أكن مهديا لك الشعر اني لأبن بيت تُهدى له الاثمارُ

واشار الزككي الى المصادر التي اعتمدها في الترجمة للمهني ، وذكر الموشح للمزبانم وتاريخ بغداد للخطيب ، وسمط الالي ، ورغبة الآمل ، وبتيمة الدهر (الاعلام ج ١٠ ص ٢٤٢) .

(٢٣) تكاد تكون غالبية الضوابط المذكورة هي المعتمدة في سائر الاقطار العربية ، اما مما (شؤون ومسؤولية) نما زالت في اقطار كثيرة كتكتب المهزة لهما على واو على الاصط (٢٤) اشارة الى (الواو) التي سبقت كلمة ثامنهم في الآية ٢٣ من سورة الكهف .

(٢٥) من الكلمات التي يجيزها هذا القرار ، الآكالة والجرادة والجراشة والجزارة والحلقة

والخياطة والرصانة والفتاة والكمارة .

(٢٦) انظر مقال الاستاذ صبحي البصام في الجزء الاول من المجلد الرابع والخمسين مسن

مجلة مجمع اللغة العربية يمشق سنة ١٩٧٦ .

مع كتاب "الفرج بعد الشدة" للتونسي للدكتور ابراهيم السامرائي

مصنف الكتاب هو التونسي أبو علي الحسن بن علي القاضي المتوفى سنة ٣٨٤ هـ ، صاحب «نشوار المحاضرة» . وكتاب «الفرج بعد الشدة» نشر غير مرة نشرات لم تنل شيئا من الضبط والعناية ، شأنه شأن «النشوار» .

غير ان الاستاذ عبود الشالجي المحامي قد اضطلع بنشر «النشوار» باديء ذي بدء ، ثم أعقبه بنشر «الفرج بعد الشدة» . وليست بي حاجة الى بيان فضل هذه النشرة المحققة ، فقد أغناها الاستاذ الشالجي بفوائد سنية ، وأخرج الكتاب بهيأة حظيت بالاحسان التام والعناية الفائقة .

وكتاب «الفرج بعد الشدة» من كتب الادب العامه لما عيها من ادب كثير ؛ فقد اشتملت على طائفة من الشعر ، ومثلها من عيون النثر والملح والنوادر . ثم ان الكتاب مما لا يستغني عنه المؤرخ لعلاقة الاخبار والقصص المذكورة بأحداث تاريخية معروفة مشهورة . وهذا الضرب من التصنيف كثير في المكتبة العربية التي تتصل بالتراث المشترك بين الادب والتاريخ . ولعل هذا النمط غير بعيد مما عرفناه في كتابه (نشوار المحاضرة) من حيث الجمع بين فوائد عدة .

ان موضوع «الفرج بعد الشدة» معروف من اسمه ، فهو عرض

لأحداث وأخبار وقصص عرضت فيها الشدة والكرب لجماعة من الناس،
ثم هيا الله لهم فرجا قريبا خُفّف عنهم الكرب فقُرت نفوسهم .

قلت: ان الأستاذ الشالجي المحقق قد أعان الدارسين فهياً لهم كتباً فيها
جهد كبير وفوائد سنوية . ولكني وددت أن أقف على أشياء يسيرة فأقول
فيها ما أقول :

الجزء الاول :

١ - جاء في الصفحة ٦٨ قول المصنف :

« عُلِّمَ أن البُشرى الأُوْلَة تمنع من ذبح اسحاق » .
عَلَّقَ الأستاذ المحقق على قول المصنف « الأُوْلَة » فقال :
« تعبير بغدادي بمعنى الاولى ، اما التعبير البغدادي الآن فهو
« الاولية او الاولانية » .

اقول : لقد وجدتُ الأستاذ المحقق يفرع كثيرا الى وصف طائفة
من المواد اللغوية بقوله : « تعبير بغدادي » ؛ ولا أدري كيف استطاع
ان يتوثق من عامية بغدادية في القرن الرابع الهجري ، وابن لنا
من المظان التي نعرف فيها هذه الشوارد العامية التي وصفت بـ
« التعابير البغدادية » ؟

اقول : كان دليل الأستاذ ما ذكره من التعبير البغدادي المعاصر
« الاولية او الاولانية » ؛ ولا أرى ان في ذلك ما يعين على معرفة
لسان دارج قديم ، فان لم يكن هذا فما الحاجة الى الاكثار من الوان
العامية البغدادية المعاصرة في هذا الكتاب ؛ ايكون ذلك من سبب
الموازنة ام يكون للفائدة التاريخية ؟

وقد وجدت ان كثيرا مما وصفه الأستاذ المحقق بقوله : « تعبير
بغداديا » هو من الكلم العام الشائع الذي نجده في مصنفات
شامية أو مصرية أو غيرها كما سنرى .

اقول : ليس من الصحيح ان نفزع الى القول بالعامية قبل ان
نتوثق مما في عربيتنا النصيحة . جاء في ترجمة « وال » في « لسان
العرب » :

وحكى ثعلب : هن الأُولات دخولاً والآخرات خروجاً ؛ واحدها
الأولة والآخرة . ثم قال : ليس هذا اصل الباب، وانما اصل الباب الاول
والاولى كالأطول والطولى .

وجاء في ترجمة « صَمَحَح » في « لسان العرب » :

قال ابن جنى : الحاء الاولى من « صَمَحَح » زائدة ، وذلك انها
فاصلة بين العينين ؛ والعيان متى اجتمعتا في كلمة واحدة مفصولا
بينهما ، فلا يكون الحرف الفاصل بينهما الا زائداً؛ نحو عَثُوْثُلٌ وَعَقَنْقُلٌ
وَسُلَالِمٌ وَحَفِيْفُدٌ . وقد ثبت ان العين الاولى هي الزائدة ، فثبت ان
الميم والحاء الاوليتين في « صَمَحَح » هما الزائدتان ، والميم والحاء
الاخريتين هما الاصليتان ؛ فاعرف ذلك .

اقول : وهذا يعنى ان « الأولة » لغة نصيحة وليس تعبيرا
بغداديا .

٢ - وجاء في الصفحة ٨٠ من قول المصنف ذكر « بختنصر » فعلق المحقق
بقوله : بخت نُصْر أو نبوخذ نُصْر ٦٠٤ - ٥٦١ ق. م ، ملك بابل، اغار

على مصر ، وفتح اورشليم (انظر المنجد) .
اقول: ليس من الأصالة العلمية أن يُوثق العُلم التاريخي ، وهو
مشهور في مظانه الموثقة ، بكتاب « المنجد » !

٣ - وجاء في الصفحة نفسها قول المصنف :

« و جا بدانيال » ، فعلق الأستاذ المحقق بقوله :

« جا » أصلها « جاء » ، حذفت الهمزة على طريقة البغداديين
في حذف الهمزة في آخر الكلمة ، قال الشاعر :
عُشِيَّةُ جا اهلُ العراق كأنهم سحابٌ خريف صَفَّتُهُ الجَنائبُ
(العقد الفريد ٤ / ٣٤٤)

اقول : ألم يكن من الأجود والاولى أن تعاد الهمزة الى الفعل
« جا » فيكون « جاء » ؛ وذلك لعلنا الاكيد ان جمهرة النساخ نسي
المخطوطات كلها تتخفف من رسم الهمزة في اواخر الكلمات . رايناهم
يكتبون « الادبا » و « الالبأ » و « السما » و « البيغا » وكثيرا
غير هذا بحذف الهمزة * ومن المعروف ان هذه من الاسماء الممدودة ،
ومدّها اكثر من قصرها ، وان كان القصر جائزا وواردا ولا سيما في
الشعر ، فأعيدت الهمزة الى هذه الكلمات عند نشر الكتب .

ثم ان حذف الهمزة الأخيرة غير خاص بالبغداديين ، فهو أمر
شائع في بلاد العرب عامة، في العربية الفصيحة واللسن الدارجة
قديما وحديثا ؛ وكتب القراءات وكتب الادب خير شاهد على هذا .

ثم ان استشهاد الأستاذ المحقق بالببيت دليل ضعيف؛ ذلك ان
الشاعر ممتحن بالوزن، وحذف الهمزة بني بالوزن وابتلاؤها يُخَلُّ به .

ولا ادري كيف جاز للمحقق أن يُعَدَّ قول « الشاعر » على طريقة
البغداديين وهو مجهول ؟ اليس من الجائز أن يكون اندلسياً أو مصرياً
أو شامياً ؟

٣ — وجاء في الصفحة ٨٣ قول الأستاذ المحقق في التعليق على كلمة
« الفرث » :

« الفرث السرجين ما دام في داخل الكرش » .

اقول توخى الأستاذ المحقق أن يكون عمله مفيداً غنياً بما يحتاج
اليه القارئ وما قد يكون فيه غنى عنه . وما اظن أن هذه الفائدة
تدخل في جملة اضافاته الممتعة .

٤ — وجاء في الصفحة ٨٣ حاشية طويلة استهلكت صفحة وشيئاً من صفحة
عن « أبي سفيان » .

اقول : « الأصل في التعليق والحواشي أن تكون مما يفيد، كأن
يكون التعريف برجل غير معروف لدى جمهور القراء ، أو أن اسمه
من باب المشتبه، أو أنه عرض له تصحيف فأفسده ؛ وفي هذه الأحوال
يكون عمل المحقق من الاعمال الجليلة . أما أن يكون تعريفاً بعلم
من المشاهير، كأبي سفيان، فليس هذا مما يفتقر اليه الدارس الطالب
للفوائد . وإذا كان من تعريف لهذا المشهور، أفلا كان من الحق أن
يُكتفى بالقليل مع ذكر المصادر الضرورية المتقدمة لا المتأخرة ؟ ثم إن
الأستاذ المحقق بعد هذه البسطة الطويلة عن « أبي سفيان » ترك
المادة غفلاً من المصادر .

٥ — وجاء في الصفحة ٨٥ حاشية للمحقق عن كلمة « المنافق » ذكر فيها
علاقة الاسم بالنافاء، وهي جحر اليربوع

ثم اعتمد في قوله هذا على « المنجد » ؛ الم يكن من المفيد أن يرجع الى « لسان العرب » فيجد فيه « اليربوع » و « نافقاه » ، ثم يجد فيه معنى « المنافق » في القرآن والحديث ، كما يجد فيه أنه من المصطلح الاسلامي ؟ وفي مجموع هذا فوائد لغوية وتاريخية .

٦ - وجاء في الصفحة ٩٢ في تعليق المحقق على « اليقطين » قوله :

اليقطين واحدته يقطينة وهو كل ما لا ساق له من النباتات كالقثاء

اقول : ليس من العلم أن يرجع الى « المنجد » في مادة قديمة هي « اليقطين » . ومن فوائد المحقق في هذه الكلمة اشارته الى أن القرع المستطيل يسمى في بغداد الآن : « الشجر » ، وفي لبنان نوعان هما الكوسة والقرع .

اقول : وفاته ان يشير الى ان « اليقطين » بهذا اللفظ ما زال معروفا لدى القرويين في جنوب العراق ولا يعرفون غيره من الاسماء .

٧ - وجاء في الصفحة ٩٣ قول المصنف :

« كهياة الفرخ الممعوط الذي ليس له ريش » .

نعلق المحقق بقوله :

الممعوط الذي سقط شعره ؛ وعامة بغداد يكون عن اوغُل

في الشر والحيلة بقولهم : « ذيب امعط » .

اقول : لا ارى مناسبة كبيرة تستدعي ان يشار الى قولـة

البغداديين ، وان كان غير البغداديين من العراقيين وغيرهم يعرف

« الامعط » .

٨ - وجاء في الصفحة ٩٨ قول المصنف :

ولكن أَطْلِهْ بِفِرَا ...

وعلق الأستاذ المحقق على كلمة « الفِرا » فقال : مادة لاصقة؛
ما زال هذا اسمها في بغداد .

أقول : ان « الفِرا » أو « الفِراء » معروف، والاسم نفسه في
كثير من بلاد العرب في عصرنا هذا .

٩ - وجاء في الصفحة ٩٩ قول المصنف :

قال : حدثنا أبو عبد الله أحمد بن أبي دؤاد

أقول : ليس في العربية مادة « داد » ؛ وعلى هذا ليس فيها
« دؤاد » ، بالهمزة من الأعلام ، والصواب : « دُواد » بالواو . وعرض
هذا الوهم لكثير من المحققين والناشرين .

جاء في « الاشتقاق » لابن دريد ص ١٦٨ قوله في الكلام على أبي
دواد الشاعر :

واشتقاق « دواد » من الدود ؟ والدوادة والدودة واحد .

أقول : ولم يرد هذا الاشتقاق في « اللسان » ؛ فقد جاء فيه
في ترجمه « دود » :

قال ابن الأعرابي : الدوادي مأخوذ من الدواد، وهو الخُصْفُ
الذي يخرج من الإنسان ، وله كني أبو دواد الأيادي .

وليس شيئاً اختلف الاشتقاق بين ما ورد في كتاب الاشتقاق
لابن دريد . وبين ما ورد في « اللسان » ، ذلك أن الذي يهمنا هو

الأصل الواوِيّ لا المهموز .

١٠ - وجاء في الصفحة ١٠٠ قول المصنف :

« ان قوما ركبوا البحر فقام رجل من أهل المركب » .

فعلّق المحقق الفاضل على كلمة « المركب » فقال :

المركب واحد المراكب البحرية والبرية . وفي بغداد تعني الكلمة

المركب البحري اي السفينة .

اقول : والذي وعيته من أيام الصبا ان « المركب » في العراق

للسفينة النهرية كثيرا ، كما هي للسفينة البحرية .

١١ - وجاء في الصفحة ١٠٣ قول المصنف :

فجعلت بين يدي نفاطة . . .

فعلق الأستاذ المحقق على « النفاطة » فقال :

النفط دهن معدني سريع الاحتراق توقد به النار ويُتداوى به . .

اقول : ما اغنانا عن هذه الحاشية المستقاة من « المنجد » الذي

ما اظنه « منجدا » في هذه الكلمة .

ثم تحدث الأستاذ المحقق عن التداوي بالنفط، وكيف تُطلَى به

الإبل الجُرب، مستفيدا ذلك من « لسان العرب » . ولم يكتف بهذا بل

رجع الى « قانون » ابن سينا ، و « مفردات » ابن البيطار في هذا

الموضوع .

وما اظن ان الامر محتاج الى هذا، لا سيما اذا عرفنا ان « النفط »

لم يرد في النص بل وردت « النفاطة » وهي سراج يستضاء به .

اقول : كان على الأستاذ المحقق ان يشرح « النفاطة » ويشير

كعادته الى « النفطية » وهي الاسم المتداول في عصرنا ببغداد وغيرها
من الحواضر :

ولم يكتف الأستاذ المحقق بهذا بل عرض للنفاطة وهي من
أدوات الحرب؛ وإشار الى استعمال الرشيد للنفاطة في حربه مع
الروم . وزاد فذكر ان « النفاطة » : الموضع الذي يُسْتَخْرَجُ مِنْهُ
النفط .

أقول : لقد أشرت في « المقدمة » الى جهد المحقق باغناء الكتاب
بالفوائد الكثيرة .

١٢ - وجاء في الصفحة ١٠٤ قول المصنف :

« ثم انتبهت فاذا أنا بمشعل قد أقبل من بعيد » .

نطق الأستاذ المحقق تعليقا طويلا على كلمة « المشعل » ،
واستعمال البغداديين للمشاعل، وهيأته وما يوضع فيه من المواد
للاشتعال في رعوسه .

أقول : وما أظن هذا الوصف مفيدا لخبر العراقي ولا اخص
« البغدادي » وحده ؛ وذلك لأنه لا يعرفه ولا يستطيع تصويره .
والمشاعل اعمدة يمتد على احد رأسها اعمدة أخرى بهيأة عمودية ،
فيها رعوس تحشى بالخيش وتشعل بعد غطسها بالنفط، وتستعمل
في مواكب التابين بذكرى مقتل الامام الحسين، عليه السلام، في أيام
المحرم العشرة الأولى .

واناد الأستاذ المحقق ان « المشعل » من أعلام الذكـور ؛
ويصفون الجميل الوجه بأنه « مشعل » .

وقد اناض في هذا التعليق فذكر رجلا عاميا فيه كلمة المشاعل .

وهذا كثير لعله يفتقر الى المناسبة وقيمتها . وفي الزجل كلمة
« اللالات » ، وهي عامية عراقية لنوع من المصاييح شرحها المحقق
شرحاتا تاما .

١٣ - وجاء في الصفحة ١١١ ذِكرُ ابي الحجاج مجاهد بن جبر؛ فعلق الاسناد
المحقق بقوله :

ترجم له صاحب « الخلاصة » ص ٣١٥ ، وصاحب ميزان
الاعتدال ٤٣٩/٣ .

اقول : وكان من المفيد ان يشار الى المصادر الاخرى ؛ اما كان
من المفيد ان يستأنس بالمصادر التي اثبتتها الزركلي في « الاعلام » ،
وفيهما سير « اعلام النبلاء » و « غاية النهاية » و « الارشاد »
وغيرها ؟

١٤ - وجاء في الصفحة ١١٠ تعليق للمحقق على ابي الاحوص عوف بن
مالك بن نضلة الجشمي؛ قال فيه :

ترجم له صاحب الخلاصة وقال : انه قُتل أيام الحجاج .

اقول : وفي تاريخ بغداد ١٢ / ٢٩٠ ترجمة مفيدة لابي الاحوص
هذا .

١٥ - وجاء في الصفحة ١٦٩ تعليق طويل على « عبد الله بن الزبير » من
دون ذكر اي مصدر .

اقول : ولا اريد هذا وحده؛ ولكنني اقول اننا في غنى عن التعليق
على الاعلام المشهورة كابن الزبير هذا • ومثل هذا ما ورد من
ترجمة معز الدولة بن بويه صاحب العراق؛ في الصفحة ٩٤ ، ومثل

هذه التراجم للأعلام المشهور قدر عظيم في « الفرج بعد الشدة » .

١٦ — وجاء في الصفحة ١٧٦ تعليق الاستاذ المحقق على قوله تعالى
« فان مع العسر يُسرًا » .

قال الأستاذ المحقق : اليُسْر اللين والانقياد ؛ واستشهد بقول
الشاعر :

قوم اذا سُوسوا جَدُّ الشماس بهم ذات العناد وان ياسرتهم يُسروا
ثم قال :

والعسر الضيق والشدة ؛ قال الشاعر :

... ..

اقول : ما اظن ان اليسر والعسر من الكلم اللغوي الذي لا
يعرفه القارئ العام بله الخاص . ان الآية الكريمة من الآيات التي
يستشهد بها ، وقد ترد في كلام العامة، فهي مما يعرفون ويرددون .

١٧ — ومثل هذا الشرح للكلم المعروف تعليق المحقق على « البُرد » وشرحه
في الصفحة ١٨٠؛ وهو مما يعرفه عامة القراء .

اقول : كان الأستاذ المحقق حين شرح « البُرد » اراد ان يقول
لنا ان « البغداديين يسمونه الحالب » فاذا اصيب الزرع بالبرد
قالوا : تحولب فهو محولب .

وهذه اضافة مفيدة لولا تخصيصها بالبغداديين ، وذلك لان
عامة العراقيين يعرفون هذا .

١٨ — وعلق المحقق في الصفحة ١٨٣ على « الجبل » فقال :

اسم شامل لاقليم عراق العجم ... (المشترك صقعا

لياقوت ص ٩٥) .

وأضاف : أدركت الناس ببغداد وهم اذا ذكروا الجبل فهم يريدون جبل بشت كوه في بلاد ايران

اقول : وليس من صلة بين اقليم الجبل في كتب البلدان القديمة وبين المتعارف في العراق عن « الجبل » الا من باب « الشيء بالشيء يذكر » !

١٩ - وجاء في الصفحة ١٩٠ كلام على الحجاج من زيادات الاستاذ المحقق استوفت ثلاث صفحات، وقد ضُمَّت الى مادة الكتاب دون الاشارة الى انها تعليق المحقق .

اقول : وليس هذا مقبولا ؛ والصحيح ان يشار الى ان هذا من كلام الاستاذ المحقق، وهو حاشية وتعليق، لا ان يُضَمَّ الى مادة الكتاب .

ثم ان ثلاث الصفحات كثير في حاشية او تعليق ، وهي تشتمل على اخبار الحجاج وظلمه بداها بقوله :

وبلغ من شنيع سمعة الحجاج وشهرته بالظلم

اقول : وستأتي حواشٍ اخرى تعليقا على الحجاج يؤلف مجموعها صفحات عدة، وكلها مُتَحَمَّ على نص الكتاب من غير اشارة الى انها تعليقات .

٢٠ - وجاء في الصفحة ٢٠٣ قول المصنف :

« اتعلّمت السحر ؟ »

فراح الأستاذ المحقق يتحدث عن « السحر » في « لسان

العرب « وفي آي القرآن الكريم ، وما ورد في « الفهرست » لابن
النديم في المقالة الثامنة عن المعزمين والمشعبذين والسحرة
ثم قال : انظر دائرة المعارف الاسلامية .

اقول : ما اظن ان كلام المصنف محتاج الى هذا العرض الواسع
عن « السحر » .

٢١ - وجاء في الصفحة ٢٠٤ كلام طويل مُتَّحَمٌ على نص الكتاب على
« عبد الملك بن مروان » دون اشارة الى ان ذلك تعليق . ثم ان
عبد الملك بن مروان من المشاهير الكبار ؛ فهل من حاجة الى هذا
التعليق الطويل ؟

٢٢ - وجاء في الصفحة ٢٠٥ قول المصنف :
وقد رايته نُقِشَ ذلك على خاتمه
فعلق المحقق فقال : الختم في اللغة السد والاعلاق ، وقوله

تعالى : « ختم الله على قلوبهم »
ثم صرفت الى نهاية الشيء . وكقولنا خاتم النبيين .
ثم تكلم المحقق على الطين الذي يُسَدُّ به المزود او الكتاب عند
الانتهاء منه ، ثم صرفت الى الطبعة ثم الى النص الذي يطبع
به الطين ، ثم . . . ثم . . .

اقول : ان هذه من الفوائد وفيها لون حضاري ؛ ولكن هذا كله
يتجاوز التحقيق لنص من النصوص .

٢٣ - وجاء في الصفحة ٢١٠ تعليق المحقق على « بنت وردان » فذكر انها
دويبة كريهة الرائحة

ثم قال : تسمى الآن ببغداد « مردانة » وجمعها « مردان » ثم
استشهد ببيت شعر .

أقول : وليس هذا كله من همّ المحقق فهو معروف .

٢٤ - وجاء في الصفحة ٢١٣ قول المصنف :

« ورجوت أن نعاونه بأموالنا وجاهنا ليمشي أمره » .

أقول : ومن المفيد أن نعلق على قول المصنف « يمشي أمره » ،
وهو من الأساليب العامية التي ما زلنا نتداولها في لغتنا الدارجة في
العراق في الأقل . ولم يشر المحقق الفاضل الى ذلك على شدة
اهتمامه بالكلم العامي الذي وصفه بـ « البغدادي » .

٢٥ - وجاء في الصفحة نفسها قول المصنف :

« واخذ خطي بالمال على نجومه » .

وقد علق الأستاذ المحقق بقوله : « نجم الدين : أداه نجومًا
أي اقتطاعا في أوقات معينة » .

أقول : ومن المفيد أن يشار الى أن هذا من المولدات العباسية
في الأقل ؛ وفي ذلك فائدة تاريخية .

٢٦ - وجاء في الصفحة ٢١٥ قول المصنف :

« ورد كتاب عامل مصر » .

وعلق المحقق بقوله : « العامل، الموظف المالي الذي يناط به جمع
الارتفاعات وما يقتضي صرفه » .

أقول : وليس في النص ما يدعو الى أن يكون « العامل » بهذه
الحدود وهذا الاستعمال، وفلك لأن « العامل » بمعناه المشهور كما

بيدولي هو الوالي أو الحاكم أو الأمير القائم في البلد .

٢٧ - وجاء في الصفحة ٢١٥ قول المصنف :

« ورد كتاب عامل مصر بمبلغ مال مصر لهذه السنة مجملاً
في مبلغ الحمل والنفقات » .

وقد علق الأستاذ المحقق بقوله :

أي المال الذي يحمله العامل إلى الحضرة خالصاً بعد سداد
النفقات .

أقول : وهذا من فوائد الأستاذ المحقق السنية في عمله المفيد .

٢٨ - وجاء في الصفحة نفسها قول المصنف :

« فوَّجَع إلى ديواني باخراج العبرة لمصر » .

قال المحقق : العبرة : ثبت ارتفاعات الكورة « أي الواردات » .
وعبرة سائر الارتفاعات : المعدل الوسط بين أعلى الارتفاعات
وادناها .

أقول : وهذا من الفوائد الكبيرة في شرح هذه الكلمات
الاصطلاحية من الالفاظ العباسية الخاصة . ولكني أتساءل : لِمَ
لَمْ يوثَّق الأستاذ المحقق هذه الفوائد بعض التوثيق ؟

٢٩ - وجاء في الصفحة ٢١٧ تعليق المصنف على « المتوكل » الخليفة
العباسي .

أقول : و « المتوكل » غني عن التعليق، شأنه شأن المشاهير؛
وإذا كان من تعليق فهو شيء موجز كل الإيجاز، لا ثلاث صفحات
كاملة من غير مصدر ؛ ثم تضاف إلى مادة الكتاب ولا يشعر القارئ

ان الكلام مقتحم على النص ، وهو من اضافات المحقق .

٣٠ - وجاء في الصفحة ٢٢٠ حاشية المحقق على كلمة « الديوان » ، وأنه في الاصل جريدة الحساب ، ثم ...

والكلام مقتبس من « المنجد » وزاد عليه بما يقرب من ———
صفحتين .

قلت غير مرة ان هذه الاضافة غير ذات قيمة كبيرة لتجاوزها
المظان المعتمدة .

٣١ - وجاء في الصفحة ٢٢٩ تعليق على كلمة « الدهليز » فقال :

الممر الذي بين باب الدار ووسطها ، ويسمى ببفسداد الآن
المجاز .

اقول : كان الاستاذ المحقق اراد ان يعرف بالكلمة العراقية
المعاصرة .

٣٢ - وجاء في الصفحة ٢٤٥ تعليق طويل على « الحرّ » و « الحُرّة » ،
ودلالة الحرية وشرح الأمة والهجين ونحوهما . وهذا
التعليق مضاف الى مادة الكتاب من غير اشارة الى انه من اضافات
المحقق .

٣٣ - وجاء في الصفحة ٢٥٢ شرح لكلمة « الطفيان » بأنه الاسراف في
الظلم .

اقول : وهل من حاجة الى هذا الشرح ؟

٣٤ - وجاء في الصفحة ٢٦٩ حاشية استغرقت صفحة كامل عن « زياد بن
أبيه » وقد أضيفت الى مادة الكتاب من غير اشارة الى أنها من صنيع
المحقق واطافته .

٣٥ - وجاء في الصفحة ٢٨٠ قول المصنف :

« محمد بن القاسم ظلمني » .

وقد علق الأستاذ المحقق على ذلك بكلام على « الظلم » استوفى صفحة كاملة ، واضيف الى مادة الكتاب من غير اشعار بأنه من كلام المحقق .

أقول : كان المحقق الفاضل يتصيد أقل صلة ليتكلم في مسائل كثيرة تتجاوز العلاقة أو المناسبة، فيذهب بعيدا كل البعد عن الموضوع .

٣٦ - وجاء في الصفحة ٢٨١ قول المصنف :

« لما خرج طاهر بن الحسين الى محاربة علي عيسى بن ماهان ، جعل ذات يوم في كُمَّه دراهم » . فعلق المحقق الفاضل على « الكُمَّ » تعليقا طويلا ذكر فيه القميص والثوب والجيب و « العُبَّ » من العامية المراقية ، كما ذكر ترنيمة يُترنمُ بها للأطفال لتتويعهم من الشعر العامي من جملة أبياتها :

هُنَّ يَجِينَا بِأَبْنِ شَائِلٍ تَمْرٌ بِأَعْبَابِنِ

وينصرف الأستاذ المحقق الى شرح كلمة « هُنَّ » العامية ، وشرح كلمة « شَائِلٍ » ؛ فابن هذا من النص ، وما علاقة « الكُمَّ » بكل هذا ؟

٣٧ - وجاء في الصفحة ٢٩٩ حواشٍ لشرح كلمات هي : البرذون ، والسرّج ، واللجام ، والطيلسان ، والقميص ، والشائسية .

أقول : وليس في هذه المواد ما يدعو الى الشرح والتعليق ، فأمرها

معروف للخاصة والعامّة .

٣٨ - وجاء في الصفحة ٣٠٢ تعليق الأستاذ المحقق على « صاحب البريد »
استوفى صفحتين أضمتا الى النص دون أن يكون فيهما ما يشعر بانهما
من كلام المحقق لا المصنف .

اقول : وهذا النمط من التعليقات يتجاوز حد التحقيق ؛ ولو
رغب المحقق في أن يأتي بهذه الفوائد التي ادركها في قراءته لكان أولى
له أن يفرد لها مصنفاً خاصاً يضمّ فيه هذه النماذج الحضارية
والتاريخية واللغوية وغيرها . وان شيئاً منها ، من غير شك ، الصق
بمادة « الكنايات الشعبية » التي أفرد لها المحقق كتاباً وسُمِّمَ بـ
« الكنايات البغدادية » .

٣٩ - وجاء في الصفحة ٣٠٥ تعليق المحقق على كلمة « المال » التي وردت
في كلام للمصنف .

لقد أتى المحقق بما ورد في « لسان العرب » عن « المال » ، وما
جاء في كتاب « التلخيص » لأبي هلال العسكري عن المال ، ودلالته
على الأبل والغنم وغيرها من الماشية .

غير أن المحقق لم يكتف بهذا فقال :

أما في بغداد وما يجاورها فان كلمة « المال » تقوم مقام كلمة
« الهن » ؛ أي أنها كناية عن عضو التناسل سواء عند المرأة والرجل
أو الحيوان . ثم ذكر قول أحد الشعراء العراقيين وزاد قول أحد
شعراء الحلة .

اقول : ولا أرى في حاجة أن أذكر قول أحد الشعراء العراقيين
ولا الشاعر الحلبي فأسئء اليهما ، ولكني أقول : انهما كناية عن

« المتاع » بشيء آخر هو « مال » وليس « المال »، اجتناباً لذكور
السواة .

قلت : « مال » وليس « المال » وأريد بذلك أن « مال » هذه
بغير الالف واللام هي شيء ينطوي فيه قولنا : « ماله » و « مالنا »
و « مالكم » و « ما لهن » الى آخره ثم اجتزىء من ذلك بلفظ
« مال » على طريقة الضم أو النحت والخرم للضمير، فكانت الكلمة
« مال » ؛ وهي غير « المال » المعرفة التي تعني ما تعنيه من الدلالة
على الأبل والغنم وسواهما .

٤٠ - وجاء في الصفحة ٣٥٦ قول المصنف :

« اخبرنا ابو الفرج الاصبهاني عن المدائني » .

فعلق المحقق على « المدائني » فقال : نسبة الى « المدائن » ؛
وَرَكَلَ يتكلم على المدائن وفيها ايوان كسرى، وقرب الايوان قبر سلمان
الفارسي الملقب بـ « بك » أي الطاهر ، ومن ذلك « باكستان » البلاد
المعروفة ؛ ثم ذكر كيف يجتمع العراقيون البغداديون في المدائن
للنزهة .

أقول : ليس هذا كله من التجاوز على عمل المحقق !

٤١ - وجاء في ٣٦١ تعريف بالجاحظ ذكره المحقق ؟

أقول : ان ابا عثمان أشهر من أن يعرف به في حاشية من

حواشي كتاب « الفرج بعد الشدة » .

٤٢ - وجاء في الصفحة ٣٦٦ كلام طويل أضيف الى النص دون اية اشارة،

على جعفر البرمكي . وهذا على شاكلة ما صنع المحقق في جملة

أعلام ومواد أخرى .

٤٣ — ونختم الجزء الأول فنرى في الصفحة ٤٠٠ تعليقا طويلا في قسوة
الحجاج وظلمه ضَمَّ الى مادة الكتاب .
الجزء الثاني :

٤٤ — وجاء في الصفحة ٢٧ قول المصنف :
« فَأَحْضَرْتُ وَشَلَّحْتُ لِلضَّرْبِ » .

فعلق الأستاذ المحقق على « التشلح » وقال : انه التعرية ؛
ثم أتى كعادته فأشار الى دلالة التشلح عند البغداديين، وهو —
« انكشاف العورة » (كذا) ؛ والتعرية عندهم « التصلح » وهو
مصلح أي عار .

أقول : ولا أرى من داع الى هذا الاسهاب في هذا الضرب من
الأدب العامي .

٤٥ — وجاء في الصفحة نفسها قول المصنف :

« فان كانت الرفيعة صحيحة فليس بفوتك عقابه » .

فعلق المحقق بقوله : « الرفيعة ما يُرْفَعُ على الانسان من
التهم » .

أقول : وهذه فائدة جلييلة تدخل في باب المُحَدَّثَاتِ العباسية
في اللغة .

٤٦ — وجاء في الصفحة ٢٨ قول المصنف :

« وجدت المستحَمَّ ضيقا غير نظيف » .

أقول : لقد أشار المحقق الى أن المراد بـ « المستحَم » المرحاض،

وهذا نظير قولهم : بيت الادب وبيت الراحة هو المستراح، كناية عن بيت
« المرحاض » .

٤٧ - وجاء في الصفحة ٤٦ قول المصنف :

« والبسني جبة صوف قد نُقِعْتُ بماء الاكارع » .

اقول : وقد علق الاستاذ المحقق في الصفحة ٥٠ تعليقا طويلا
على « ماء الاكارع » واضيف التعليق الى النص كأنه جزء منه ، ذكر
فيه شيئا عن « الكرع » وجمعه كوارع على لغة المصريين ، وتسمى
« الاكلة » في الشام (كذا) وفي لبنان (كذا) وفي بغداد (كذا) وما
يتصل بذلك في بغداد المعاصرة .

اقول : وفي هذا بعض الفائدة وان تجاوز حد التحقيق .

٤٨ - - وجاء في الصفحة ٤٧ قول المصنف :

كتبت الى بعض عمال المشرق بمطالبتهم بأموالهم وودائعهم، فكتب
الي بالطاعة، فكتبت اليه بأن يُغَلَّ . . .

اقول : ولم يعلق المحقق على قوله : بالطاعة . والإلطاء الستر
والاخفاء، فكانه اراد ان يقول : انه انكر الاموال والودائع .

٤٩ - وجاء في الصفحة ٤٨ قول المصنف :

« ولم يبرح حتى امروا باخذ حديدي وادخالي الحمام واخذ
شعري » .

اقول : اردت ان انبه على قوله « اخذ شعري » وهذا من
معاني الاخذ التي جَدَّتْ ، والمراد به قص الشعر .

٥٠ - وجاء في الصفحة ٥٣ « دار مؤنس » وهو مؤنس المظفر، من القواد

الأتراك في الدولة العباسية .

لقد علق الأستاذ المحقق على « دار مؤنس » تعليقا استوفى صفتين ضمهما إلى نص الكتاب من غير إشارة إلى صنيعه هذا . كما أشار إلى موقع الدار المذكورة وأين مكانها في بغداد الحديثة ، وهو سوق « اليمينجية » . ثم تكلم على ما يسمى في العراق الآن « يمني » وهو ضرب من الأحذية خاص لونه أحمر وله مقدم متجه إلى الأعلى ؛ ولا أدري لم سمي « يمني » ذلك أننا لا نعرف أنه مستورد من اليمن مثلا ، أو أن جُلده من اليمن !

أقول : الأثرى معي، أيها القارئ ، أن المحقق قد ابتعد في هذا الاستطراد عن مادته ؟

٥١ - وجاء في الصفحة ٦٤ قول المصنف :

« فمن أين أنفق الأموال وأقيم الأنزال » .

أقول : الأنزال جمع « نَزَل » بفتحين وهو الأرزاق والاعطية . وهذا من مؤلّفات العصر العباسي .

٥٢ - وجاء في الصفحة ٨٠ قول المصنف :

« وخرج وصرف التوكيل عني » .

لقد أشار الأستاذ المحقق إلى التوكيل وأفاد أنه مصطلح عباسي يراد به حجز الحرية ؛ فيقال : وكُلُّ به إذا نصب عليه حارسا بحول بينه وبين الفرار .

٥٣ - وجاء في الصفحة ٨١ قول المصنف :

« إلى أن أزيح علة قائد يصحبك إلى الرملة » .

وقد علق الأستاذ المحقق على « ازاحة العلة » قائلا : انه مصطلح عباسي يعني القيام بجميع ما يحتاج اليه من يراد ازاحة علة ، فالجيش مثلا يعتبر « مُزاح العلة » اذا كان افراده قد أُعْطُوا أرزاقهم وسُدَّتْ نفقاتهم

أقول : وهذا من المواد المفيدة، ذلك انها تكشف عن العربية الخاصة وكيف جدّ فيها من مقتضيات العصر ما اضاف اليها كَلِمًا فنيا .

٥٤ — وجاء في الصفحة نفسها قول المصنف :

« وقد حطت من الارتفاع وزدت في النفقات » .

« الارتفاع » كما يُستقرى من مادة الكتاب هو « الوارد » في لغتنا المعاصرة ؛ وقد اشار الأستاذ المحقق الى ذلك .

٥٥ — وجاء في الصفحة ٨٣ تعليق طويل على « الفرش » ، ذكر فيه الأستاذ المحقق أنواع المفروشات قديما وحديثا، كالطنافس والزرابي وما هو معروف منه في العراق في عصرنا بأسمائه المحلية الدارجة .

٥٦ — وجاء في الصفحة ٨٦ قول الأستاذ المحقق على كلمة « ايش » فقال:

هي « اي شيء » اختصرها البغداديون الى « ايش » .

أقول : ان « ايش » بمعنى « اي شيء » قديمة، وقد وردت في تاريخ الطبري في أخبار قديمة تسبق تمصير بغداد . وقد أشار الحريري في « درة الفواص » الى انها عامية ؛ وكذلك فعل الخفاجي في « شفاء الغليل »، ولم يخصص اي منهما انها بغدادية .

٥٧ — وجاء في الصفحة ٨٨ قول المصنف :

« ... فدق الباب فكلّمه من خوخة » .

وقد علق الأستاذ المحقق على كلمة « خوخة » فقال :

الخوخة الباب الصغير يفتح في الباب الكبير .

أقول : قد تكون « الخوخة » بهذا المعنى وإن كان الدليل غير واضح من النص ؛ ولكنني أعرف الخوخة في كتب اللغة : انها كوة في البيت تؤدي إليه الضوء .

٥٨ — وجاء في الصفحة ٩٠ قول المصنف :

« ... فأرمني اليه من رُوْزَنَة لي ... » .

وقد علق الأستاذ المحقق على كلمة « روزنة » فقال : هي الرازونة عند البغداديين ، وهي روشن ... يريدون به تجويفا غير نافذ توضع فيه الحاجيات .

أقول : والصواب توضع فيه الحاجيات؛ وليس في العربية الفصيحة « حاجيات » على شيوعها في اللغة المعاصرة .

٥٩ — وجاء في الصفحة ٩٩ قول المصنف :

« ... وينشوان في دولتك ... » .

وقد علق الأستاذ المحقق على الفعل « ينشوان » فقال : انها لغة بغدادية وقد درج البغداديون منذ القديم وما زالوا الى الآن على حذف الهمزة اذا كانت في آخر الكلمة ، وابدالها واوا أو ياء اذا كانت في وسطها ...

وقد مثل لذلك فجاء ب : رياسة، وجيسة وصايم ... وحسن النشوة .

اقول : لقد قلت في حذف الهمزة الاخيرة وجوازها لغة وضرورة
في العربية الفصيحة ، كما قلت في تسهيل الهمزة الى الواو والياء
والالف .

ولكني اقول الآن واضيف : انه ربما كانت الكلمة « ينشوان »
في نص الكتاب عامية بغدادية او غير بغدادية لان ذلك امر شائع ، بل
اقول : ان في العربية الفصيحة « ينشوان » ايضا .

جاء في كتب اللغة :

نشوت في بني فلان : ربيت ، نادر ؛ وهو محوّل من « نشات »

وقال قطرب : نشا ينشوا لغة في نشأ ينشأ ، وليس عنده

على التحويل .

٦٠ - وجاء في ١٠٢ تعليق طويل استوفى صفتين اضيف الى مادة الكتاب
من غير اشارة ، على عبيد الله بن زياد .

٦١ - وجاء في الصفحة ١٤٦ كلام طويل على سياسة الحجاج المخريسة ،
استوفى ثلاث صفحات وضم الى الكتاب .

٦٢ - وجاء في الصفحة ١٤٩ قول المصنف :

« ... حدثني ابو علي الوكيل على ابواب القضاة ببغداد » .

اشار المحقق الى ان الوكيل هو المحامي في مصطلح هذا

العصر .

٦٣ - وجاء في الصفحة ١٦٠ قول المصنف :

« ... وقعت على سترة الحجاج ... » .

وقد علق الأستاذ المحقق على كلمة « سترة » وافتاد أنها ما استمر من الجدار الخارجي الى فوق سطح الدار ، وهو ما يسمى الآن « ستارة » في بغداد ؛ وأشار الى حادثة معاصرة استُعمل فيها طابوق الستار في خصومة بين طرفين ، سلاحا يتراشقون به .

٦٤ - وجاء في الصفحة ١٦٨ قول المصنف :

... وشاع في اليمن ... » .

وانطلق الأستاذ المحقق يتكلم على اليمن والشام واليمن والشمال كلاهما طويلا .

٦٥ - وجاء في الصفحة ١٨٣ ذكر « الكوز » ، فراح الأستاذ المحقق يشرح الكوز والكيزان وأنواعها ، وما استجدّ من صناعاتها ، وقد أضيف كلاً الى مادة الكتاب .

ومثل هذه التعليقات الطويلة تعليق على السكر ، وآخر على النبيذ ، وآخر عن يزيد بن معاوية .

٦٦ - وجاء في الصفحة ٣٢٣ ذكر « المسبحة » ، فأطال الأستاذ المحقق في الكلام عليها ، وان في مدينة الحلة في العراق تصنع « مسبحة الباقلاء » وليس هذا الا من باب ما يتندر به على أهل الحلة لشغفهم بالباقلاء زراعة وأكلها .

الجزء الثالث :

٦٧ - وجاء في الصفحة ١٠٧ تعليق على « الحمّار » استوفى عشر صفحات . كما ورد تعليق طويل على البرامكة .

٦٨ - وجاء في الصفحة ٣٦٤ تعليق على مادة العذاب استوفى اربسع

صفحات .

كلمة ختام :

لقد أشرت الى هذه المسائل، ولكنني اعترف ان اخراج الكتاب
وتحقيقه حظي بالعناية الكبيرة، فـجاء مصدرا يُعتمد عليه في ضبط
النص واحكامه مع الفوائد التي وشي بها .

الدكتور ابراهيم السامرائي



تعلیمات
و
مناقشات

مناقشة رأي في علامة التانيث

بقلم : محمد شيت صالح الحياوي

في مجلة (المورد) الشامخة — المجلد التاسع ، العدد الاول — مقال
جليل جاء بالعنوان الآتي : —

— ديوان الادب لاسحاق بن ابراهيم الفارابي — الجزء الاول ، تحقيق
د. احمد مختار عمر ، القاهرة ٧٤

— بقلم الدكتور ابراهيم السامرائي ، جامعة بغداد ، كلية الآداب —
والحقيقة أن كاتب المقال قدحالفه التوفيق، وواجهه في نقده وتعليقه
أيما اجادة ؛ ولا عجب فهو بحائثة مشهور ومحقق بارع، ضرب بسهم وانر
في مجالي الادب واللغة فيما قَدَّمَ من بحوث ، وما أنتج من مؤلفات تشهد بطول
باعه وسعة اطلاعه . ومع ذلك فالكمال لله ، ولن ينجو كاتب من زلل ،
ولا سيما في معرض الاجتهاد ؛ وهذا ما حصل في المقال آنف الذكر — برأيي
الذي قد اكون مصيبا فيه وقد اكون مخطئا ، والقول الفصل أولا وآخرا
للعلم والتفكير السليم —

يقول الكاتب ص ١٦ ما نصه: (وعندي أن علامة التانيث واحدة في
العربية، هي هاء التانيث، كما في (حجرة و فاطمة) التي تتحول تاء في درج
الكلام . واذا عرفنا أن علامة التانيث هذه ، أي الهاء ، تقتضي أن يكون
قبلها فتح ، وعلى هذا يكون الفتح العلامة الاصلية للتانيث ، وهي نفسها

الف التانيث المقصورة في (ليلي وسلمى) وهي نفسها الالف المدودة في (صحراء وحسنا) ، وما الفتح القصير كالفتحة ، والفتح المتوسط كالالف المقصورة ، والفتح الطويل كالالف المدودة ، الا صوت واحد يختلف في فسحة طوله .) ويقول ايضا في الحاشية (وهذا الفتح هو علامة التانيث ، ولان الفتحة لا ترسم في الخط العربي ، ذُيِّلت الكلمة بهاء لتقرأ مفتوحة الآخر قبل الهاء ، ثم رسم الفتح فكان الالف المقصورة والالف المدودة . ولو عرفت ان (ليلة ويلي وليلاء) مادة واحدة ، أدركت ان علامة التانيث واحدة فيها جميعا ، وهي الفتح بصورة الثلاثة) .

فحوى اجتهاده ما هو آت : —

أولا — علامة التانيث واحدة في العربية هي هاء التانيث ، كما في (حجرة وفاطمة) التي تتحول تاء في درج الكلام .

ثانيا — هاء التانيث لا تأتي الا بعد حرف مفتوح .

ثالثا — الفتح هو العلامة الاصيل للتانيث .

رابعا — الفتحة لا ترسم في الخط العربي ، ولذلك ذُيِّلت الكلمة بهاء ليقرا ما قبلها مفتوحا .

خامسا — حينما رسم الفتح استغنى عن الهاء، وتطورت الفتحة واستطالت فصارت الفاء مقصورة، كما في (ليلي وسلمى) ثم الفاء المدودة كما في (صحراء وحسنا) .

سادسا — بما ان فتحة الحرف الثالث مشتركة في الكلمات الثلاث (ليلة ، ليلي ، ليلاء) وهن مادة واحدة ، لذلك فالفتحة وحدها هي علامة التانيث لا غيرها .

لذلك كله نرجو أن يسمح لنا بمناقشة اقواله وآرائه، عسى أن نتوصل

الى نتيجة حاسمة .

أولا — سمي التاء المربوطة هاء التانيث ، لاننا حين نقف عليها نلفظها هاء . وفاته أن الأصل هو الدرج لا الوقف ، كما أن من العرب من يقف عليها ويلفظها تاء . فهي تاء اقوى من هاء ، والتسمية للأقوى ، وشتان بين المخرَجين ، فالهاء حلقية والتاء نطقية .

ثانيا — لا يُشترط أن يكون ما قبل التاء المربوطة حرفا مفتوحا، فقد يكون ألفا ، والألف لا يكون الا ساكنا ، مثل (فتاة وقضاة) .

ثالثا — ذكر أن الفتح هو العلامة الأصلية للتانيث ، كما ذكر أن الهاء وحدها هي علامة التانيث . أفلا يتناقض القولان ؟ أم يريد أن يقول: ان للتانيث علامتين اثنتين واحدة أساسية هي الفتحة، والأخرى فرعية هي الهاء ، فلم يحسن التوضيح !

رابعا — التاء كما سميناها، أو الهاء كما سماها، زائدة على رأيه، هجيء بها لظهار الفتح الذي قبلها لأنه غير مرسوم، وليس لها غرض آخر أو فائدة أخرى. وهو رأي ضعيف على ما اظن لا يتناسب مع دقة ملاحظات الكاتب فيما يحلل ويدقق ؛ فقد شرح اللغويون هذه التاء وبيّنوا أغراضها المختلفة في مواضعها المتعددة ؛ ولا حاجة لتسطير ما وضحوا وبيان ما قرروا .

واني — بتواضع — أجازف ولا اسمي التاء المربوطة هاء كما سماها فحسب، بل لا اعتبرها علامة تانيث ! . فبعد أن فحصت مواضعها وحللت أغراضها، تبين لي أنها تعطي معنى واحدا يشترك فيه جميع الأمثلة المختومة بها ، وهذا المعنى المشترك هو ما نسميه (الوحدة !) .

ومعنى الوحدة هو الذي يجعلنا نعامل الكلمة معاملة المؤنث، سواء أكان مجازيا أم حقيقيا أو مذكرا أو جمعا كما سنرى . والوحدة جزيئة أو

نسخة او مجموعة قد تمثل عدداً رقمه واحده كما قد تمثل عدداً يزيد على اثنين . وهاكم أمثلتها مع الشرح : —

شَرْبَةٌ : وحدة من الشرب

شِرْبَةٌ : وحدة لهيئة الشرب

تمرّة : وحدة من ثمر التمر

صخرة : وحدة من جماد الصخر

بطّة : وحدة من الطير المسمى بَطَّاً

طلحة : وحدة من شجر الطلح

فارة : وحدة من الفئران ، أما الفار فليس بوحدة بل فردا من الفئران ، وهكذا جاء تانيث فارة من الوحدة لا من الفار، الذي بدوره جاء تذكيره من الجمع ايضا !

حليمة : وحدة من الحلم متصفة به ؛ أما حلیم فليس بوحدة بل فردا من الحلم متصفاً به .

رحالة : وحدة من الرحل متصفة به توية .

قضاء : وحدة (مجموعة) من معنى القضاء .

عبارة ، عبادلة ، مغاربة : وحدة (مجموعة) من العبقرية وعبد الله ، واهل المغرب على التوالي .

حُجْرَةٌ : وحدة من معنى الحَجْر (بفتح الحاء وسكون الجيم)

تذكرة : وحدة من معنى التذكير

خِبْرَةٌ : وحدة من معنى الخبر .

نُسْخَةٌ : وحدة من معنى النسخ .

مسابقة : وحدة من معنى السباق .

هبة : وحدة من معنى الوهب .

بنية : وحدة من معنى البناء أو البنيان .

اعانة : وحدة من المعنى المستفاد من أعان — يعين .

استقامة : وحدة من المعنى المستفاد من استقام — يستقيم . فإذا

أردناها لمرة واحدة، أي ليس وحدة أو نسخة مكررة، قلنا استقامة

واحدة !

لغة : وحدة من معنى اللغو... الخ التاءات المربوطات .

ونستفيد من هذه الأمثلة ما يأتي : —

أ — لو كانت الكلمة المختومة بالتاء المربوطة مؤنثة، وكانت التاء علامة

التأنيث، لجاز حذف التاء وتحولت الكلمة الى مذكر. وهذا لم يحصل

الا مصادفة في فأرة — فأر ، فناة — فتى ، كلبه — كلب وأمثالها؛ وقد

شرحنا ذلك .

ب — لو كانت مؤنثة لما نُقل معناها الى مذكر؛ مثل طلحة حمزة معاوية ...

الخ

ج — لو كانت مؤنثة لما دلت على جمع مذكر مثل قضاة عباقرة ... الخ

فالمؤنث إذا ما دلَّ على التأنيث في الوضع والمعنى المعجمي، أو في

الصيغة، سواء كان مختوما بالتاء أو بالالف أو لم يكن مختوما بهما .

خامسا — أما الالف المقصورة والالف المدودة فليستا وحدهما

علامتي تأنيث، لان التأنيث سواء أكان حقيقيا أم اعتباريا مفهوم بالصيغة، فني

سلمى وعطشى وفضلى جاء التأنيث من وزني فَعْلَى وفُعْلَى بفتح الحرف

الأول أو ضمه وسكون ثانيهما ووقوع الالف في رابعهما .

وفي صحراء وحسناء وحمراء جاء التأنيث من وزن فَعْلَاء بفتح فسكون

مع الالف والهمزة وفي كلا النوعين نجدالفتحة قبل الالف كما نجدها قبله
حيثما جاء . ولو حذفنا الالف،او الالف والهمزة،لم يكن لما تبقى من الكلمة
أي معنى ؛ ولذلك فالالف ليست وحدها علامة تأنيث لانها امتداد للفتحة
ذو صيغة لا علاقة لها بصيغة المؤنث؛مثل افضل مذكر فُضلى واحمر مذكر
حمراء .

ومن الظريف أن كلمة عطشى،مثلا،التي زعم الكاتب أن الفهاء دال
على انوثتها،إذا أضيفت اليها نون فصارت (عطشان) تحولت الى مذكر؛
فكيف صارت الكلمة الجديدة مذكرا مع ان علامة التأنيث (الالف) على
زعمه باقية ايضا ؟!

سادسا — بقي اشتراك الكلمات الثلاث (ليلة ليلي ليلاء) في المادة
وفي فتحة الحرف الثالث — وقد تكلمنا عن الفتحة ما فيه الكفاية — . أما
المادة فلو كانت علامة التأنيث واحدة في الكلمات الثلاث وهي الفتحة — على
رأيه — لكان المعنى واحدا لا ثلاثة معان .

فليلة ليست مؤنث ليل،لأن الليل نفسه جنسان:تارة يكون مذكرا
وتارة يكون مؤنثا،ولذلك لا يحتاج الى مؤنث.بل معنى (ليلة) المختومة بالتاء
وحدة من وحدات (الليل) كما مثلنا وشرحنا .

وأما ليلي ، وهي كوكب الزهرة عند العوام،لا الخمر ، فمعناها —
على ما أتصور — ذات الليل أو ربة الليل،لأنها أشد الكواكب السيارة ضياء .

وأما ليلاء من اللبالي فهي الفريدة اوالمتميزة في أمر ما كالطسول
او الظلام أو غيرها .

وبعد فاني أرى التاء المبسوطة الزائدة التي تأتي مع الفعل أو الاسم

هي علامة تانيث كما في: ذهبت، ورجعت، والتلميذة تذهب وترجع؛ وكما في التلميذات مهذبات؛ حيث التاء تدل على التانيث، والالف يدل على الجمع، ولا يمكن فصلهما ولا بد أن يأتيا مجتمعين .

قضية أخيرة أذكرها لعلني أكون مصيبا فيها وهي على عكس ما ارتأى الكاتب ، فإن كانت الفتحة عنده علامة تانيث — وقد فُئِدْنَا رأيه — فإن الكسرة عندي فه تكون من علامات التانيث؛ والدليل ورودها — في كثير من مواضع التانيث مثل: أنتِ، ذهبتِ، تذهبين، لن تذهبي، عندكِ، كتابكِ، هذي، هذه، ذه، هاتيه، ته، تلك، التي، اللاتي، حذام، قَاطَمٍ، يا لكاع، ويا خبساك .
عالماتِ كتاباتِ (في حالتي الجر والنصب) . . . الخ .

خلاصة بحثنا كما يلي : —

- (١) التاء المربوطة لا الهاء تأتي لأغراض مختلفة، وتتفق معانيها جميعا في معنى واحد مشترك هو (الوحدة) فهي علامة على الوحدة أصلا لا على التانيث .
- (٢) الالف المقصورة والالف المدودة اذا وجدت احدهما في كلمة، وكانت تلك الكلمة مؤنثة، كان التانيث بالصيغة والوضع وليس بوجود الالف .
- (٣) علامة التانيث هي التاء المبسوطة الزائدة مع الفعل أو الاسم .
- (٤) قد تكون الكسرة علامة تانيث .

محمد نسيت صالح الحياوي

حول كتاب مبادئ التحليل الرياضي

تأليف الدكتور عبد المجيد نصير - جامعة اليرموك

بالأمس تلقيت نسخة من هذا الكتاب ؛ واشهد لقد غمرتني بفيض من مشاعر الرضى التي قلّما يجود بها الزمان في هذه الأيام . ذلك أن الدكتور نصير يقدم لكتابه بقوله ان « المكتبة العربية بحاجة الى مثل هذا الكتاب ليساهم في تنفيذ عملية التعريب الجامعي التي نحرص جميعا عليها » .

ولقد بعث لي الزميل المؤلف بكلمة نحوها ان كتبه انما هو اول الفيث الذي سينهر ، دفعا بعملية التعريب ، ولكن لا بالترجمة وحدها ، بل أيضا بالتأليف . ومثل هذا الاتجاه لحته لدى اساتذة في كلية العلوم في الجامعة الأردنية .

وجوابا عن ذلك أقول ، من اعماق القلب : الحمد لله ، الحمد لله ان قد انضم الى العاملين في التعريب دم جديد . ان الكرة التي تذف بها مجمع اللغة العربية في مضمار التعليم الجامعي لم تطوَّحها الريح ، ولقد اعطتها جامعة اليرموك الفتية ، ممثلةً بالدكتور عبد المجيد نصير ، دفعة جديدة وامتدتها بدفق من الحيوية والطاقة ؛ فهي تدور وستدور ؛ والدعوة الصادقة لم تذهب كصيحة في واد .

الحمد لله ، واهلا بالاستاذ نصير وزملائه فتيحة مؤمنة واثقة تصنع الرجال .

ويقينا ، مذرع مجمع اللغة العربية بترجمة الكتب العلمية

الجامعية ، كان نصب عينه أن هذا الذي يصنعه انما هو في اطار مشروع اوسع ؛ ذلك هو ترجمة الفكر العلمي العالي الى العربية ، وهذا مسار طويل عريض ، بطول المستقبل وعرضه ، وهو دائم ما دام هنالك فكر ينتج ونتاج يُكْتَب . ولكننا نرى ان الحاجة تفرض علينا ان نعطي الاولوية فيما نترجم الى ما يفيد الشباب في مرحلة تكوّنه ؛ اعني الكتب التدريسية الجامعية على الاخص ، لتكون نواة تعين الطالب والمدرس ، ولا سيما في المراحل الاولى من تعريب التعليم . ولم يغرب عن بالنا لحظة ان ترجمة هذه الكتب سيتلوها ، عاجلا او آجلا ، تأليف كتب فيها من اصالتنا وابتكارنا ، ومن خبراتنا المتزايدة ما يجعلها تنبثق من واقعنا ، وتتلاءم مع طبيعتنا ، وترتفع بهذا الواقع والطبيعة الى رحاب حضارية اسمى ، اذ تعمل على مساندة احداث الكتب التي تنتجها مطابع العالم وتمضي معها في مستوى واحد .

فعملية الترجمة وعملية التأليف ترفد احدهما الاخرى وتسندها ، وكلاهما جهد لا ينتهي ومعين لا ينضب . وهما هو الدكتور عبد المجيد نصير واخوانه يمضون في سبيل التأليف على بركة الله ، في حين يمضي الجمع في سبيل الترجمة ، ترجمة الفكر العلمي والكتب التعليمية ؛ وعلى الله التوفيق . على انا جميعا مطالبون الان بالتخطيط لرفع مستوى اللغة الاتكليزية لدى طلبة العلوم كي نضمن الا يخسر الطلبة شيئا ، لا في حاضرهم ولا في مستقبلهم .

واذ يمضي الزملاء في سبيل التأليف ، بعد ان خاضوا تجربة بها تميزت كلياتنا العلمية ، هي تجربة تصيد احداث ما تصدره المطابع وانسبها ، ليضعوه بين ايدي طلابهم ، كي يبقوا واياهم مسافرين للتطور العلمي السريع ، فلن يكونوا في عهد التأليف اقل مساندة للتطور ، او اقل تفتحا

على كتب الغرب أو تصيدا لها . ان التطور العلمي ، من ناحية ، وتنافس دور النشر الاميركية ، من ناحية اخرى ، جعلت كل كتاب علمي جامعي قصير الاجل ، لا يعمر اكثر من خمس سنوات ، في غضوننا يجدد ليلحق الركب ، أو يلقي في زاوية النسيان . وهذا ما ينبغي أن يكون عليه شأن الكتب التي نؤلفها . فلن يكون تأليف الكتب العلمية احتكارا يدعو الى التحجر ، بل سيكون تداعيا الى التطوير فيه يتنافس المتنافسون ، أما الزيد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض .

يبقى الآن الحديث عن كتاب الدكتور نصير بالذات :

يقول الأستاذ في مقدمته انه اختار الأرقام المغربية « انسجاما مع توصيات لجنة خاصة من المجمع اللغوي في الاردن » . فاليه اقول مؤكدا ان المجمع لم يوص بشيء في هذا الصدد ، بل هو لم يتصد أصلا لدراسة امر الأرقام ، لا على صعيد المجلس ، ولا على صعيد اللجان . وكل ما في الامر مما يتعلق بموضوع الأرقام ، انني ، شخصيا ، نشرت في مجلة المجمع مقالة دعوت فيها الى استعمال المجموعتين المشرقية والمغربية ، كلا في ميدان تخصص له . واشهد ان من زملائي في عضوية المجمع من خالفني الرأي .

ولقد دعوت ، وما زلت ادعو ، الى استعمال المجموعتين ، كلا في مجال ، لأنني أرى أنها مجرد رموز معروفة لدى الكاتب والقراء ، وان للكاتب أن يستعملها بلا تحرج ، لان الامتناع عن استعمال رمز يرى فيه مزايا تجعله ينقل أفكاره الى قرائه على نحو أوضح ، انها هو خضوع لحساسيات أولى بالعالم ان يعلو فوقها .

وكل ما في الامر مما يتعلق بالمجمع — من بعيد — ان لجنة الترجمة والتعريب والنشر ، التي عنها انبثق المجمع ، درست في الماضي امر هاتين

المجموعتين دراسة لم تفض الى توصية . ثم ان الجامعة الاردنية انتدبت لجنة لدراسة الامر عينه ، برئاسة الاستاذ الكبير الدكتور عبد العزيز الدوري ، وقد كنت من اعضاء هذه اللجنة ، ولقد حاولت ان احصل على توصية باباحة استعمال المجموعتين ، كلا في مجال ، فلم توافق اللجنة . ثم ان الاستاذ الدوري كتب بلباقته ودقته المهودتين ، تقريراً لخص فيه الآراء ، ولم يوص بشيء .

واضيف انني التقيت في بغداد باخوان كرام عاتبوني ، بالادب العراقي الجم ، والبيان العراقي المشهود ، اذ ادعو الى مثل هذا التغيير في وقت نحن نعاني فيه من عقدة الهزيمة . فليدع الاستاذ نصير ربه ان تزول هذه العقدة قبل ان يخرج كتابه خارج الاردن ، والا فليتحمل ، جمل المحامل ، وحده تبعة ما ضيع .

لست اعني اني لا اقر المؤلف على تغيير يراه نحو الافضل بحجة ان الناس لا يستحسنونه ، ولكني لا ارضى له ، وهو المعروف بشجاعته ، ان بتواري خلف غيره . هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى لا تقنعني حجته بأنه اختار هذا السبيل لأنه يريد لكتابه ان ينتشر في العالم الواسع ، فان الذين يستعملون الأرقام المشرقية في العالم العربي اكثر من الذين يستعملون الأرقام المغربية .

اني اوافق الدكتور نصير على ان المجموعة المغربية انسب للاعمال الرياضية والعلمية عامة ، والعملية أيضا ، من المجموعة المشرقية ، وكنت اتمنى لو جاءت هذه الخطوة في مرحلة مبكرة ، كبداية المرحلة الثانوية مثلا .

ولكن اذا كان مجرد استبدال ارقام بأرقام ، ومجرد استعمال الأرقام المغربية الى جنب المشرقية ، كلا في مجال يخصه ، ما يزال يلقي معارضة ،

فما بالك بنقل الجداول تصويرا عن الاصل الانكليزي ، عناوين وترتيبا ورموزا !

اني اخشى على صديقي الدكتور نصير ان يتهم بصدد هذه الجداول بالدعوة الى التغريب لا الى التعريب .

ولقد احسن الدكتور نصير اذ جعل محاولته الاولى في الطباعة تصويرا عن الالة الكاتبة كيما يبقى المجال مفتوحا للتعديل حسبما تملي التجربة ويقتضي الاستعمال . وفي هذا ما يفوت علينا فرصة محاسبته على شكليات كثيرة فرضتها قيود الالة الكاتبة . وانا على يقين من انه سيتلاناها فسي الطباعة .

فاذا تجاوزنا الشكليات ونظرنا في المضمون مثل امامنا سؤال جوهرى: ما المقرر الذي يستوفيه هذا الكتاب ؟ واذا نفتقد المقرر نفترض ان المؤلف قد وضع كتابه ليكون ، كله او اكثره ، كما جاء في المقدمة ، وافيا بمقرر مساقين اوليين في الرياضيات لطلبة الاقتصاد والادارة والتجارة .

فاذا حاسبناه على اساس من هذا الفرض نحكم بان الكتاب يناسب طلاب القسم العلمي لان اكثره انما هو مراجعة لما سبق ان درسوه فسي المرحلة الثانوية .

واما طلاب القسم الادبي فلهم الله . هاهنا ، كثنائي في مناسبات اخرى ، اجدني اتوجه الى صديقي عبد المجيد بكلمتين لطيفتين : « رفقا بالقوارير ! » والقوارير هنا هم الطلاب من غير المتخصصين بالرياضيات او المؤهلين للتخصص بها .

تبقى كلمة واحدة اقولها الى الدكتور في هذه العجالة :

اني اوافق على ان الرمز « لن » خير من « لط » الذي لا يستسيغه

الذوق العربي . واعترف بأنني أنا وحدي المسؤول عن هذا الرمز القبيح .
ولكن لو سأل طالب انكليزي معلمه : من أين جاء الرمز (Ln) ، لأجاب المعلم
أنه مختصر عن الاصطلاح (Logarithm natural) . وإذا سأل
طالب عربي معلمه : من أين جاء الرمز (لظ) أجاب المعلم أنه مختصر عن
الاصطلاح (لوغرتم طبيعي) ؟ فماذا يجيب المعلم إذا سئل : من أين جاء
الرمز (لن) ؟

يبدولي في هذه اللحظة أن « له » خير من « لن » باعتباره
اللوغرتم للأساس هـ . وأحب أن تبقى الهاء هنا بمثل شكلها في أول الكلمة
لنذكر القارئ بأنها رمز متميز .

الدكتور أحمد سعيدان

(عضو مجمع اللغة العربية الأردني)

أخبار جمعية

السدورة الخامسة

للجنة الاستشارية لمكتب تنسيق التعريب

شارك الدكتور عبد الكرم خليفة ، رئيس المجمع ، في السدورة الخامسة التي عقدتها اللجنة الاستشارية لمكتب تنسيق التعريب في الرباط من ١٠ الى ١٥ / ١٠ / ١٩٨٠ . وكانت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم قد انتخبت الدكتور خليفة عضوا في هذه اللجنة .

وانتخب الدكتور عبد الكرم خليفة رئيسا للجنة الاستشارية ،

وتضمن جدول أعمال الدورة امورا متعددة ، من اهمها ما يلي :

انتخاب رئيس اللجنة ونائب رئيسها ،

والنظر في تقرير مدير المكتب الدائم لتنسيق التعريب عن انجازات المكتب ،

والنظر في برامج المكتب وخطته من خلال الموازنة المقترحة للسدورة المالية ١٩٨٠ / ١٩٨١ ،

والاعداد لمؤتمر التعريب الرابع ، ومن ضمن ذلك عقد ندوة للخبراء المتخصصين ، وندوة اخرى لمنهجية وضع المصطلح الموحد .

وكذلك نظرت اللجنة في المشاريع المعجمية التي ستعرض على مؤتمر

التعريب الرابع .

توصيات الدورة الخامسة

للجنة الاستشارية لمكتب تنسيق التعريب

في ما يلي ننشر التوصيات التي صدرت عن الدورة الخامسة للجنة الاستشارية لمكتب تنسيق التعريب ، التي عقدت في الرباط من ١٠ الى ١٥ / ١٠ / ١٩٨٠ :

١ — زيادة عدد المطبوع من مجلة اللسان العربي التي يصدرها المكتتب الى خمسمئة وسبعة آلاف نسخة نظرا للاقبال عليها وللتوسع في توزيعها ، ومواصلة الجهود الرامية الى اخراج المجلة اخراجا سليما خاليا من الازطاء اللغوية والمطبعية .

٢ — اعطاء الاولوية للمكتبات العامة والجامعات والمؤسسات العلمية واللغوية في توزيع مجلة (اللسان العربي) ومطبوعات المكتب ثم الخبراء المختصين .

٣ — توطيد العلاقات بين الاساتذة المختصين في مجالات العلوم المختلفة والمنظمات العلمية والمؤسسات اللغوية في الوطن العربي وخارجه وعقد ندوات متخصصة والعمل على ان تساعد الجامعات والمؤسسات العلمية في استضافة هذه اللقاءات والاجتماعات .

٤ — حث المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم على مواصلة القيام بدراسة احصائية للكفايات العربية ولا سيما المهاجر منها والاستفادة منها في المجال العلمي والتعريب .

٥ — عدم الاقتصار على الانكليزية والفرنسية وحدهما في معاجم المكتتب ، وادخال لغات معاصرة اخرى .

٦ - توثيق اتصال المكتب بلجان التعريب التي تشكلت في الدول والجامعات العربية .

٧ - اضافة اللسانيات (علوم اللسان) ، وعلم الاجتماع والانثروبولوجيا ، والاقتصاد ، والاعلام ، والآثار ، والفلك والفنون كالموسيقى والرسم الى المشروعات المقدمة من المكتب لعرضها على مؤتمر التعريب الخامس ، مع الاسترشاد بتوصيات مؤتمر التعريب الرابع والمؤتمرات السابقة بهذا الخصوص .

٨ - عقد ندوتين للخبراء العرب تمهيدا لمؤتمر التعريب الخامس ، احدهما حول استكمال المشروعات المعجمية الخاصة بمواد التعليم المهني والتقني وثانيتهما حول المشروعات المعجمية الخاصة بمواد التعليم العالي .

٩ - قيام المكتب بالاتصال بالجامع اللغوية بالقاهرة وبغداد ودمشق وعمان والرباط ، والجامعات والمعاهد اللسانية في الاقطار العربية من اجل موافاته بقراراتها الخاصة بمنهجية وضع المصطلح العلمي ، واستنساخ ما يرده منها وتوزيعه على جميع الجهات المعنية ، تمهيدا لعقد ندوة توحيد منهجيات وضع المصطلحات باللغة العربية .

١٠ - قيام تعاون وثيق بين مكتب تنسيق التعريب ومعهد اللسانيات في الجزائر ومعهد الدراسات والبحوث للتعريب في الرباط مع رجاء ان يتقدم المسؤولون في هذه الهيئات او المؤسسات بمذكرة لمؤتمر التعريب الرابع لبيان اوجه التعاون والتكامل ووسائل دعمها .

١١ - انشاء بنك عربي للمصطلحات في مكتب تنسيق التعريب وضرورة قيام المكتب بالاتصالات مع بنوك المصطلحات المتخصصة العالمية والتعاون

معها في نشر المصطلح العربي والاستفادة من خبرتها في هذا الميدان
ودعم المكتب بالتقنيات الحديثة في انجاز اعماله .

وبعد الاطلاع على مشروعات مكتب تنسيق التعريب وجهوده
في مجال تنسيق المصطلحات العربية تتوجه اللجنة الاستشارية
بالشكر على الثقة التي اوليت لها وتشيد بالجهود المثمرة التي يقوم
بها المكتب وترجو من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم زيادة
الدعم له حتى يستطيع ان يحقق الاهداف التي انشئ من اجلها .



استقبال زمراء

استقبل مجمع اللغة العربية الأردني ، في منتصف شهر أيلول الماضي ،
مجموعة من الزملاء من بلدان عربية شقيقة ، من أعضاء لجنة المعجم الطبي
العربي ، الذين كانوا يزورون عمان في ندوة خاصة بالمعجم الطبي . وكان
من بينهم الدكتور حسني سبح ، رئيس مجمع اللغة العربية في دمشق ،
والدكتور محمود الجليلي ، عضو المجمع العلمي العراقي ، والدكتور
مروان المحاسني ، من دمشق ، وغيرهم .

وقد اقام المجمع حفلة شاي تكريما لهم في مقر المجمع الجديد ، وكانت
الحفلة مجالا لتبادل الانكار والآراء حول عدد من القضايا التي تهم المجمع
العربية ، ولا سيما قضية التعريب ، والمصطلحات العلمية والتكنولوجية
الحديثة ، وضرورة اغناء اللغة العربية بها .

اعادة انتخاب الدكتور حسني سبوح

رئيساً لمجمع اللغة العربية في دمشق

جدد مجمع اللغة العربية الشقيق في دمشق انتخاب الزميل الاستاذ الدكتور حسني سبوح رئيساً له لمدة اربع سنوات اخرى .

وقد تم ذلك في الجلسة الثانية عشرة للدورة الجمعية ١٩٧٩/١٩٨٠ .
وقد انعقدت في ١٥ شعبان ١٤٠٠ هـ ٢٨ حزيران ١٩٨٠ م .

ومجمع اللغة العربية الاردني يبارك للزميل الدكتور حسني سبوح ،
متمنيا له السعادة والعمر المديد ، والنشاط المستمر في خدمة اللغسة
العربية العزيزة .



الاستاذ عبد الكريم زهور

تلقى مجمع اللغة العربية الاردني من شقيقه مجمع اللغة العربية في
دمشق ، نبأ انتخاب الاستاذ عبد الكريم زهور عدي بصوا عاملا في مجمع
دمشق ، وقد تم استقباله في ٨ رجب ١٤٠٠ هـ . ٢٢ ايار ١٩٨٠ م .

نبارك للزميل الاستاذ عبد الكريم زهور عدي ، متمنين له كل التوفيق
في مواصلة الجهد في خدمة الضاد العزيزة .

تابين البطريك الراحل يعقوب الثالث

وتنصيب البطريك الجديد اغناطيوس زكا الاول

انتدب المكتب التنفيذي لمجمع اللغة العربية الاردني الاستاذ عيسى

الناعوري الامين العام للمجمع ، لحضور حفلة تابين البطريك الراحل يعقوب الثالث ، بطريك السريان الأرثوذكس ، وعضو مجمع اللغة العربية في دمشق ، التي اقيمت في دمشق مساء يوم الجمعة ١٩٨٠/٩/٥ ، وكذلك لحضور حفلة تنصيب البطريك الجديد مار اغناطيوس زكا الاول عيواصر عضو المجمع العلمي العراقي ، والعضو المؤازر في المجمع الاردني ، التي جرت في دمشق صباح يوم الاحد ١٩٨٠/٩/٧ .

وقد نقل الامين العام تهنئة المجمع الى البطريك الجديد ، مثلما نقل قبلها تعزية المجمع بالبطريك الراحل .

كتب العلوم للسنة الجامعية الاولى

كان اقبال الطلبة في بداية هذا العام الدراسي ٨١/٨٠ على شراء الكتب العلمية المترجمة الى اللغة العربية رائعا في الجامعة الاردنية وجامعة اليرموك ، بفضل تعاون الجامعتين واعضاء الهيئة التدريسية فيهما مع المجمع ، لاحتلال اللغة العربية محل اللغة الانكليزية في تدريس العلوم .

وكانت الكتب التي خرجت من المطبعة واصبغت معدة للاستعمال هي : الرياضيات (جزآن) ، والبيولوجيا (جزآن) ، والجيولوجيا (جزء واحد) . وتأخر في المطبعة كتابا الفيزياء والكيمياء لظروف قاهرة .

ولقد كان المجمع يأمل أن يشمل مشروعه لتعريب تدريس العلوم الجامعات العربية برمتها ، والامل كبير في أن يتم هذا في الاعوام التالية .